الملف السري لاغتيال
الشهيد مصطفى بن بولعيد

محمد عجرود

الملف السري لاغتيال
الشهيد مصطفى بن بولعيد

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب، 2015.

ردمك : 978-9947-39-044-3

الإيداع القانوني : 2013/4026

الإهداء

بمناسبة الذكرى الخمسين لاسترجاع السيادة الوطنية

نهدي هذا العمل إلى روح

الشهيد الرمز « مصطفى بن بولعيد »

أحد عمالقة الجزائر المعاصرة

و كل شهداء ثورة التحرير الوطنية الكبرى.

مقدمـة

في سنة 1985 – بعد أكثر من ثلاثين سنة من اندلاع ثورة التحرير – كتب السيد جان بوجور (وقد كان عند تاريخ وقوع الأحداث يشغل منصب رئيس مديرية حماية الإقليم) في مؤلفه « من التمرد إلى الثورة، الأيام الأولى لحرب الجزائر » : « **الآن يمكننا التصريح دون احتمالات كبيرة للخطأ، لو لم يكن يوجد بن بولعيد مصطفى بن امحمد، كانت محاولة التمرد قد أخذت مسارا آخر. من المؤكد أن فرنسا كانت ستعرف في يوم أو في آخر مشاكل هامة لأن الجزائر ضمن السياق الدولي كانت متوجهة بصفة حتمية نحو التحرر وبالتالي نحو الاستقلال، لكن غياب بؤرة التمرد في الأوراس عند تاريخ 1 نوفمبر 1954 كان من المؤكد أنه سيؤدي إلى تغيير طبيعة الثورة** ».

إذا كان هذا هو تقييم الشرطي الفرنسي الأول في الجزائر آنذاك لعمق دور بن بولعيد، العدو رقم 1 بالنسبة إليه، فكيف قيمنا نحن الجزائريين هذه الشخصية التي ساهمت بفاعلية في تغيير جذري للتاريخ الوطني المعاصر ؟

ليس في نيتنا تقزيم دور باقي الذين تحملوا مسؤولياتهم الوطنية في حينها وقرروا اللجوء إلى الشعب الذي آمنوا بطاقته الثورية لوضع حد لهيمنة استعمار استيطاني عنصري مستبد لا مثيل له في العالم العربي والإسلامي سوى في فلسطين. كما ليس في نيتنا الانحياز لبطل على حساب الآخرين، بل إنصاف من كان يناضل ويكافح بصمت وتواضع.

بعد أكثر من نصف قرن من استشهاده مازال الغموض يكتنف ملابسات موت بن بولعيد رغم أن الجزائر المستقلة أصبحت تملك من الوسائل العلمية والقدرات

الأكاديمية ما يمكّنها من تأميم الحقائق وجعلها تراثا مشتركا لجيل الاستقلال الذي أصبح في أمس الحاجة لتبني رموزه الوطنية الأصيلة والارتباط العضوي بالمرجعيات الخالدة التي أفرزتها ثورة نوفمبر.

بن بولعيد الشهيد كان ضحية استعمار – هذا قدره عند الله ونعم القدر – بن بولعيد الرمز عمل خارج مجال الأضواء الكاشفة والترويج الإعلامي والإثارة السياسية.

مصيبة التاريخ أنه يكتب من طرف الأحياء للأحياء ويشهد على أحداثه أحياء ويقرأ وثائقه وأرشيفه الأحياء ويفسره الأحياء ويستفيد منه أيضا الأحياء. لكن التاريخ لا يرحم الأحياء لأن الحقيقة تظهر طال الزمن أو قصر.

في نظر البعض كان بن بولعيد قائدا محليا، ربطوه بجهة، حاصروه في جغرافية الأوراس، لم يعترفوا له سوى بمسؤوليته عن العمليات العسكرية التي رافقت الحدث في 1 نوفمبر 1954 ثم تناسوه عند محطة الاغتيال في مارس 1956.

في السياسة الحدث لا يملك قيمة بذاته بل بتداعياته وانعكاساته. أول نوفمبر كان حلقة في مسار شاق وطويل. بن بولعيد كان حاضرا في أدق التفاصيل كما سيظهر في هذا العمل المتواضع. أول نوفمبر كان زلزالا مازالت ترددات تصلنا إلى اليوم وعند كل موجة تبرز من جديد شخصية بن بولعيد والمشروع الذي ضحى من أجله. إنه كان باختصار الحوصلة الإيجابية لوعي الإنسان الجزائري بهويته وقيمة أرضه وقدرات شعبه الخلاقة والرائعة عندما تجند من أجل قضية عادلة أو مشروع طموح.

إحداث عمل شغب في سنة 1954 في أي بقعة في الجزائر كان ممكنا، لكن تفجير ثورة وطنية بكل الأبعاد التي جاء بها بيان 1 نوفمبر 1954، تلكم كانت المعجزة التي صنعها بن بولعيد ورفاقه من لا شيء، ولكن ببسطاء من عامة الشعب المستضعف الذي يستحق كل احترام.

لم يكن هذا العمل سهلا على الإطلاق، عند كل محطة من حياة بن بولعيد وجدت العشرات من القصص وفي كل قصة كان علينا التحقق من أدق التفاصيل والروايات، كل جزئية كانت تستدعي التدقيق وإعادتها إلى نصابها.

في بحثنا هذا اعتمدنا على الأحداث والوقائع الموثقة والوثائق المكتوبة التي يمكن لأي قارئ الرجوع إليها في أي وقت ودراستها والتأكد من توجهات أصحابها ومصادرها والخلفيات التي بنيت عليها والسياق الذي تم نشرها فيه.

انطلقنا من سؤال : « من قتل بن بولعيد ؟ » الإجابة حتمت علينا أن نتعرف على بن بولعيد وكيف استشهد ؟ ولماذا تم اغتياله ؟ وما هي الأطراف الفعلية المتورطة في ذلك ؟ وما هي الأدلة التي تدينها ؟ وما هي مضاعفات الجريمة ؟ ومن كان المستفيد والخاسر فيها ؟ وماذا ترك بن بولعيد من تراث رمزي ؟

حاولنا الإجابة على هذه التساؤلات عبر محطات نقدمها لجيل الاستقلال بلغة القرن الواحد والعشرين.

وإليكم القصة من بدايتها...

محمد عجرود

المولد، النشأة وبوادر الوعي السياسي

ولد الشهيد مصطفى بن بولعيد يوم 5 فيفري سنة 1917 بأريس ولاية باتنة، والده السيد امحمد بن عمار. ينتمي إلى « أولاد تاخريبث » أحد فروع التوابة العرش الشاوي الأوراسي المعروف باسم « ولاد داود » وهو السادس من بين سبعة إخوة.

تزوج بالسيدة « بن مناعة علجية » المولودة في 30 نوفمبر 1928 بأريس، توفيت – رحمها الله – يوم 5 نوفمبر 2004. فهو أب لسبعة أبناء من بينهم بنت وحيدة « نبيلة ».

كانت عائلته ميسورة الحال نسبيا بالقياس مع الظروف العامة المزرية لسكان المنطقة إبان العهد الاستعماري الذي شهدت خلاله تراجعا في ثروتها العريقة.

دخل المدرسة الفرنسية حتى المرحلة الإعدادية وهو مستوى مقبول بالنظر إلى فرص التعليم المتاحة للجزائريين من سنه في ذلك الوقت حيث كان المتعلمون يعدون على أصابع الأيدي.

هاجر للعمل بفرنسا سنة 1937 - Villerupt en Meurthe et Moselle - أين احتك عن قرب بالحركة العمالية النشطة وبأوساط المغتربين وعايش أوضاع فرنسا عشية الحرب العالمية الثانية.

أدى عند عودته للجزائر الخدمة العسكرية الإجبارية عام 1939 ضمن الفيلق 11 للقناصة التابع لجيش حكومة فيشي المستسلمة للألمان (الهدنة العسكرية) وعمل كجندي في المناطق الصحراوية أين أصيب بجروح. بعد حل وحدته تم تسريحه في نوفمبر 1942 برتبة عريف.

تم تجنيده مرة ثانية سنتي 1943 و1944 في خنشلة بعد تكوين حكومة فرنسا الحرة في الجزائر العاصمة بقيادة الجنرال ديغول، شارك في حملتي تونس وإيطاليا

إلى جانب قوات الحلفاء، قلد وسام الحرب عرفانا له باستماتته في القتال، عاد للأوراس برتبة مساعد.

في هذه المرحلة الأولى من عمره (27 سنة) الحافلة بالتنقلات والنشاطات، تشكلت الخلفية التي تبلورت فيها بعض الملامح الأساسية في شخصيته :

عاد ثلاث مرات إلى مسقط رأسه وفاءً منه لارتباطه بالبيئة الأوراسية وفق معايير الانتماء السوسيولوجي الجغرافي. كان فردا ملتزما بجماعة (العائلة – العرش) وبموطن (الأوراس – الجزائر).

مكنته هجرته القصيرة إلى فرنسا وهو شاب في العشرين من عمره من إدراك الفروقات الصارخة بين عوالم تدور في فلك كيان مصطنع واحد : عالم فرنسا الأم الغارقة حتى الرقبة في صراعات ما قبل الحرب والبعيدة كل البعد عن اهتمامات وانشغالات سكان المستعمرة الأصليين، الذين لا تتذكرهم إلا كوقود لحروبها، وعالم المهاجرين الجزائريين الأوائل المستعبدين في جحيم الغربة، لكن المهتمين بأفكار وشعارات « نجم شمال إفريقيا » والحركة اليسارية، وعالم الكولون الذين تركهم في الجزائر يتنعمون باستهتار دون سواهم بخيرات وبوضعية مكتسبة تعسفا في وطن يسيطرون عليه بالقهر ويمارسون فيه أبشع أنواع المييز العنصري، وأخيرا عالم الأهالي الذي لا يخرج من مجال دائرة الفقر المدقع والجهل العام والمرض المستفحل والمجاعة المزمنة والأفق المسدود.

استوعب بن بولعيد من فترة تجنيده المزدوجة في صفين متناقضين تحت علم فرنسي واحد أن الاستعمار – ذلك الجسم الغريب بالمنظور الأوراسي / الجزائري الدائم عبر العصور – ليس بالقوة والهالة التي كان يدعيها لنفسه ويروج لها أعوانه. ألم تكن فرنسا عاجزة عن تحرير نفسها بعدما فشلت في حماية أراضيها من الغزو الألماني ؟ لقد كان شاهد عيان على أن الذين أطاحوا بعملاء حكومة فيشي والذين طردوا « الفاشيست » والنازيين من المغرب العربي الكبير وإيطاليا كانوا من الأمريكان والإنجليز وأبناء المستعمرات ومن الذين تم تجنيدهم في الجزائر من أمثال بن بولعيد والذين بلغ عددهم 150 ألف. بعد أمر التجنيد الأول الصادر

في 1942/12/24 الخاص بدفعات سنوات 1936، 1937، 1938، 1939 بلغ مجموع الدفعات المجندة 25 دفعة[1].

لوضع القارئ في الصورة نشير إلى أن التجنيد الإجباري لا يراعي أي ظرف اجتماعي أو شخصي أو عائلي، وأن المجندين الجزائريين كانوا من الأوائل الذين يوضعون في الخطوط الأمامية على جبهات القتال ويكلفون بأصعب المهام وبالمهمات الانتحارية.

المحطة الأولى في حياة بن بولعيد وسعت الأفق لديه، فالمحنة لم تعد أوراسية محلية بل صارت جزائرية عامة تتعدى حدود الإقليم الجغرافي الذي ترعرع فيه لتشمل كامل الوطن الراضخ تحت نفس الظروف التعيسة. تغير في ذهنه منطق المقاربة، فمجال المقارنة لم يعد بين العائلات والأعراش بل أصبح بين الوطنيات : وطنية جزائرية مقهورة ووطنية فرنسية قاهرة.

Jacques Cantier, *L'Algérie sous le régime de Vichy*, Editions Odile Jacob Histoire, Paris (1 2002, p. 372.

دروب الانخراط في العمل الوطنـي

تجد القناعات الناشئة لدى بن بولعيد تأكيداتها في مجازر 8 ماي 1945. وفقا لمزاجه الشاوي الأصيل أحس على غرار أترابه من الشباب الجزائري بأن ما وقع يعد « حقرة » حقيقية، فالذين كان من المفروض أن يشكروا هذا الشعب على التضحيات الجسام التي قدمها لتحرير فرنسا يكافئون بالتصفية العامة والقمع غير المبرر.

رغم أن الأوراس لم تكن مسرحا لتلك المجازر إلا أن صداها وصل إلى أبعد المداشر والقرى. لم يتردد بن بولعيد لحظة في الانضمام إلى صفوف حزب الشعب الجزائري – حركة انتصار الحريات الديمقراطية – على يد المناضل الوطني الحاج زراري مسؤول خلية الحزب بأريس[2] ليجد فيه الإطار الأنسب للتعبير عن تطلعاته الوطنية.

في فترة وجيزة يتحول سي مصطفى إلى زعيم سياسي محلي، مكانته الاجتماعية الطلائعية بحكم الاحترام الكبير الذي تحظى به عائلته في المنطقة حفزت العربي بن مهيدي الذي أراد الاستثمار فيه سياسيا على اقتراح اسمه في انتخابات « المجلس الجزائري » في 4 أفريل 1948 على قائمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

يفوز بن بولعيد عمليا بالانتخابات، لكن الإدارة الاستعمارية – في عهد الحاكم نياجلان (1948–1951) – تتلاعب بأصوات الناخبين لصالح أحد أعوانها المحليين (القاضي عبد القادر)، عقب الدور الأول حاول حاكم أريس أن

2) محمد عباس، ثوار... عظماء، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 39.

يساومه نجاحه لصالح مرشح الإدارة، وكان رد بن بولعيد : « **إذا نـجحت عند الشعب فلا يهمني النجاح عند فرنسا** » بهذا التصريح العفوي يكون قد فرز بوضوح طرفي الصراع المستقبلي. على المستوى الشخصي ورغم حداثة عهده بالممارسة السياسية وبنضج قل مثيله، يبرهن بن بولعيد بأن التقدم للانتخابات ليس وسيلة لتحقيق مآرب خاصة بل هو التزام حزبي وطني غايته استغلال الهامش الضيق للحريات المتاحة للترويج للأفكار التحررية وكسب ثقة الجماهير الواسعة استعدادا للمعركة التي تحضر في الخفاء.

مجازر 8 ماي 1945 والصدمة التي أحدثتها في نفوس الجزائريين من السواد الأعظم، تزوير الانتخابات على نطاق واسع ودنيء وبشكل مفضوح بالإضافة إلى تواجد عشرات المعتقلين السياسيين في سجن تازولت (لامبيز) السيئ الشهرة، كلها خلفيات ذهنية ومعطيات حقيقية أدت إلى زيادة قناعة بن بولعيد ومن معه بأن اللعبة السياسية المسموح بها والمستعملة كمنبر دعائي لنشر مبادئ الحركة الوطنية وأهدافها لا يمكن لها أن تكون إلا غطاء لعمل سري أعمق وأهم، محتواه الواضح يتلخص في التحضير لثورة مسلحة حتمية كخيار وحيد لم يترك الاستعمار سواه. من منطلق تطورات الأحداث وميزات الرجال يجد سي مصطفى نفسه واحد من العناصر القيادية النشطة في المنظمة السرية نهاية عام 1948.

هذا النشاط السياسي الكثيف بشقيه السري والعلني الذي انقاد تلقائيا للقيام به بفطرة الثائر لم ينسي مصطفى بن بولعيد بن امحمد، التزاماته العائلية والاجتماعية ذات الأهمية الكبيرة في منطقة الأوراس، حيث يستحيل كسب الهيبة والمصداقية بمعزل عن المكانة الاجتماعية التي يفرزها الصراع الدائم مع ظروف الحياة الصعبة والتعامل الشريف مع مقتضيات الأعراف والتقاليد الأوراسية الأصيلة، إذ لا تكون المراهنة إلا على الحصان الرابح في بيئة البقاء فيها للأجدر.

في هذا الجانب يترأس مصطفى بن بولعيد « نقابة حرفيي وتجار النسيج » المحليين في الأوراس والزيبان ليدافع على مصالح مهنة أصابها الكساد من جراء إفرازات الحرب العالمية الثانية على الاقتصاد التقليدي المحلي. عمل كذلك على تثمين ثروته العائلية بحصوله على حق استغلال خط حافلة أريس – باتنة. في هذه النقطة بالضبط نوضح بأن هذا الحق ليس امتيازا تمنحه الإدارة الاستعمارية لمن تريد، بل هو عملية تجارية محضة لا دخل للإدارة فيها.

من ممتلكاته مزرعة مساحتها 93 هكتارا للحبوب جزء منها مسقي بالإضافة إلى ضيعة في فم الطوب (أسلاف) ومطحنة في أفرا وبيت به مستودع بأريس. هذه النشاطات الحيوية وفق معايير ذلك الوقت ومعطيات جزائر الخمسينيات من القرن الماضي مكنت بن بولعيد من الاحتكاك المباشر والعضوي بغالبية الشرائح الاجتماعية ونسج شبكة قوية من العلاقات ساعدته كثيرا على الاضطلاع بمهامه النضالية بشقيها السري والعلني، وسمحت له بهامش واسع من الحركة والاستقلالية والتستر على نشاطاته الخفية.

المنظمة الخاصة، الحقيقة المرة

ورد ذكر اسم بن بولعيد في إطار نشاطه السري منذ سنة 1947 حيث جاء في تقرير مصالح الدرك في باتنة بتاريخ 27 جوان 1947 : « **يحاول المدعو (بن) بولعيد مصطفى السفر إلى تونس، ومن هناك يعتزم التوجه إلى مصر. لقد استفسر المعني حول الإجراءات (الإدارية) عن طريق وسطاء ...** » مصالح الدرك ترجح سفره هذا لغاية البحث عن شراء أسلحة.

هذا التقرير يعد أول علامة مادية حول عضوية سي مصطفى المبكرة في المنظمة الخاصة التي أنشئت في فيفري 1947. ومما لا يترك أي مجال للشك بأنه أصبح محل رقابة شديدة ما جاء في تقرير غولار قائد مجموعة الدرك لعمالة قسنطينة بتاريخ 6 سبتمبر 1951 : « **يخفي بن بولعيد نشاطا حقيقيا لتهريب الأسلحة تحت غطاء خط نقل باتنة – أريس، لكنه لم يعاقب سوى بحكم يغرمه بـ ألف فرنك** » يبدو أن هذا التقرير يشير إلى غرامة مالية على إثر ضبط قطعة سلاح غير مصرح بها في حوزة مسافر احتجزت في حاجز للدرك. نفس التقرير يتأسف عن الحماية السياسية – حسب اعتقاد موقعه – التي يحظى بها بن بولعيد لدى الأستاذ مالبيل رئيس بلدية باتنة والمستشار العام المندوب في الجمعية الجزائرية[3].

هذه المعلومات تتطلب الوقفات التالية :

- قدرة بن بولعيد على إخفاء نشاطاته السرية بتفنيد كل المعلومات والإدعاء بأنها وشايات كاذبة يقف من ورائها الحاسدون عليه من بين منافسيه المحليين أو الناقمون عليه بسبب النزاعات العشائرية.
- لم يكن المحامي مالبيل رئيس بلدية باتنة من المتعاطفين معه، بل الاحتجاجات التي كان يقوم بها بن بولعيد ضد تعسفات الإدارة وغياب

(3) SHAT.1H.2892., cité par Jean Charles Jauffret in actes de sciences politiques, Aix-en-Provence, France.

الأدلة المادية ضده أبعدت عنه التهم والشبهات. من المفيد التذكير بأن التجارة اللاشرعية للسلاح كانت من الأمور العادية والمألوفة في الأوراس في ذلك الوقت.

- التزام بن بولعيد بالتعليمات حول كيفية التعامل مع الاستعمار من طرف مناضلي المنظمة الخاصة وتطبيق الإجراءات الاحتياطية جعلته يفلت بمهارة من مغبة الكشف عن طبيعة نشاطه الحقيقي. من الأخطاء الفادحة التي تجنبها التهور وعزة النفس الزائدة عن اللزوم والمغامرة وسوء تقدير المواقف والتصلب في التعامل مع سلطات الاحتلال.

المتمـردون الأوائل

بين ديسمبر 1948 وديسمبر 1949 كانت المنظمة السرية في أوج الاستعدادات لتفجير الثورة على مستوى القواعد (هيكلة، انتقاء عناصر، جمع سلاح، تدريب، تعيين المخابئ، معاينة ميدان...). كانت منطقة الشرق بقسميها الشمال القسنطيني والأوراس –الزيبان مازالت تحت القيادة المباشرة لمحمد بوضياف. أولى المهام التي أسندت لبن بولعيد كمسؤول في التنظيم السري تمثلت في إيواء مجموعة من مناضلي حزب الشعب لمنطقة القبائل هذه قصتهم :

بين 1945 و1948 وجدت مجموعة (قرابة الـ50) من المنتسبين لحزب الشعب المحظور نفسها في حالة تمرد معلن ضد السلطات الاستعمارية في جهة القبائل بسبب الملاحقات البوليسية ومحاولات التصفية بواسطة ميليشيات محلية تزعمها الباش آغا « آيت علي » مما دفع بهؤلاء المطاردين للالتحاق المبكر بالجبال. في مرحلة أولى سحبت قيادة الحزب هاته العناصر نحو الأحياء العربية بالعاصمة، الأمر لم يعجب هؤلاء الذين هددوا بالعودة إلى جرجرة. توخيا للحذر ومن باب اليقظة وتجنبا لصدامات محتملة مع الاستعمار تكون عواقبها كارثية على التنظيم ككل في زمن اشتدت فيه الملاحقات والاعتقالات قررت قيادة الحزب إبعاد أفراد المجموعة المتمردة فكلفت بن بولعيد ومن معه باستقبال جزء منهم في الأوراس، بينما كلف بن بلة بإيواء الجزء الآخر في الجهة الغربية من الوطن أين كان مسؤولا عن المنظمة الخاصة الناشئة.

لم تمضِ سنة على هدوء العاصفة حتى وقعت « حادثة خياري » الشهيرة في تبسة يوم 18 مارس 1950 وتحل الكارثة. حملة واسعة من الاعتقالات بين 19 مارس و27 ماي 1950 عبر كامل التراب الوطني (تبسة، سوق أهراس، عنابة، سكيكدة، تنس، الشلف، مليانة، المدية، سور الغزلان، تلمسان، وهران، معسكر، تيارت، عين تيموشنت). بن بلة يتم اعتقاله على إثر وشاية يوم 13 ماي 1950 بالجزائر العاصمة.

قضية خياري : الخلفيات والانعكاسات

من المغالطات التاريخية الكبرى التي مازالت – مع الأسف – راسخة لحد الساعة في الذاكرة الوطنية اعتبار الحادثة سببا مباشرا في حل المنظمة الخاصة. الحقيقة غير ذلك، ونرى من الواجب إعادة سردها في سياقها مع الإشارة لخلفياتها الفعلية وتداعياتها التي كانت الأساس في بلورة الوعي المتمرد لدى المجموعة التي سيرجع لها الفضل في تفجير الثورة لاحقا وفي مقدمتها بن بولعيد مصطفى. إليكم القصة استنادا إلى شهادة محمد يوسفي، عضو القيادة العامة للمنظمة والإطار الأمني رفيع المستوى أثناء ثورة التحرير وبعدها[4] : « نشرت الجريدة التونسية الساخرة « الزهو » التي كان يديرها السيد عثمان الغربي موضوعا حول إقصاء السيد لمين دباغين من قيادة حزب الشعب بعد تحميله جورا الأخطاء التي وقع فيها الحزب في تسيير مظاهرات ماي 1945. العناصر المعتدلة والمهادنة استغلت تبعات مجازر ماي 1945 للتخلص وتحييد أكثر القادة راديكالية وثورية وانتقادا لزعيم الحزب مصالي الحاج ».

هذا الخبر نزل كالصاعقة على مناضلي الحزب في تبسة المدينة الحدودية ذات الصلة الوثيقة مع تونس. سارع السيد زعايمي عبد الله للأكشاك قصد شراء أعداد الجريدة بهدف حرقها لكتمان الأمر، لكن فات الأوان فالخبر قد شاع بين أعضاء الحزب المتذمرين. راح مسؤول قسمة تبسة في حركة انتصار الحريات الديمقراطية عبد الرحمن خياري المدعو « رحيم » يشن حملة تنديد بموقف القيادة تعاطفا مع الدكتور لمين دباغين. الأمر لم يتوقف هنا بل صار رحيم يهدد بالكشف عن سر المنظمة الخاصة، ورغم دعوات التعقل والعودة إلى الرشد تمادى هذا المناضل غير المنضبط في سلوكه والمنحرف تنظيميا.

4) M'hamed Yousfi, *L'Algérie en marche,* ENAL, Alger, 1975, T1

وصلت أخبار هذه الحالة الشاذة إلى مسؤولي التنظيم السري في عمالة قسنيطينة سي علي (محمد بوضياف) وسي عبد القادر (ديدوش مراد) اللذان قررا تأديب هذا العنصر الخارج عن الصف والذي أصبح سلوكه يشكل خطرا على التنظيم.

تتشكل مجموعة بقيادة ديدوش مراد وبعضوية بن عودة، بن زعيم، بكوش، عجومي، وتقوم بخطف المعني قصد تخويفه. حسب شهادة بن عودة لم تكن النية أبدا قتل « رحيم[5] ». يتمكن المخطوف من الفرار ويسلم نفسه للشرطة الفرنسية ويفشي سر المنظمة الخاصة وتبدأ عملية التفكيك.

في آخر الشهادات حول الموضوع ما جاء في مذكرات المناضل المرحوم عمور غزالي تحت عنوان « شظايا الذاكرة » المنشورة سنة 2003. المناضل كان طرفا وشاهدا باعتباره مسؤولا سابقا في الحزب (نائب رئيس دائرة تبسة) ولديه ما يخالف الرواية الشائعة ويبرئ « رحيم » من إفشاء سر التنظيم.

بتاريخ 9 مارس 1950 وتحسبا للجمعيات العامة التي برمجت مساء 10 مارس 1950 (تاريخ إنشاء الحزب) اختار مسؤول المنظمة الخاصة لمنطقة تبسة المدعو « فارس » العودة إلى منطقته عبر حافلة قسنطينة – تبسة، في حدود الحادية عشرة توقفت الحافلة في يوكس الحمامات حاليا فنزل مع المسافرين للاستراحة حيث كان يحتل مقعدا في الصف الأول، ولتعليم مكانه ترك سترته على ملف، في تلك الأثناء صعد عونا أمن برفقة المحافظ على الأرجح، لاحظوا أوراقا تطل من الجيب الخارجي للسترة (منشور داخلي موجه لاجتماع ذكرى تأسيس الحزب) ثم قاموا بتفتيشها ليجدوا بطاقة هوية المعني، أدركوا أهمية الاكتشاف، فسألوا الركاب والسائق عن ملامح « فارس »، هذا الأخير كان يراقب الموقف عن بعد، غادر المكان وعاد إلى تبسة. قامت الشرطة بتوقيف « عمور غزالي » في اليوم الموالي، ومن هنا ظن الجميع أن الواشي هو « رحيم[6] ».

المهم في الموضوع سخط متهور لمناضل غاضب تعامل مع موقف سياسي عميق بعاطفة ساذجة لم يجد في حزبه من يوضح له قضية سياسية شائكة، بالإضافة إلى تعامل أعرج مع حالة تنظيمية بأسلوب فيه الكثير من المخاطرة وحدوث ما لا

5) عمار بن عودة، استجواب للشروق اليومي، العدد 2478، السبت 13 ديسمبر 2008.
6) الخبر الأسبوعي، العدد 599، 18 أوت 2010.

تحمد عقباه، والمحصلة انطلاق واحدة من أكبر المطاردات البوليسية في تاريخ الجزائر الحديث.

لا يمكن حصر مسؤولية الحادثة في خيانة « خياري » أو غيره ولا في المجموعة التأديبية التي لم تقم سوى بواجبها، بل لقيادة الحزب آنذاك التي لم تنجح في حماية التنظيم الناشئ من خطر التداخل بين الهياكل وخطر الاختراق، وإلا كيف يمكن تفسير سرعة عمليات الاعتقال (شهر ونصف) وكيف يمكن فهم أن التفكيك طال جهات دون أخرى. يبدو أن الوشايات كانت من أكثر من طرف. ألم يتم اعتقال بن بلة في العاصمة بناء على معلومات المخبر « عبد القادر جيلالي » الذي كان إطارا ساميا في المنظمة الخاصة مكلفا بالتدريب ؟ هذا الشخص سنجده حاضرا في سجل العمالة قبيل الثورة مباشرة وأثنائها وهذا موضوع آخر.

لم تجد عناصر التنظيم التي تمكنت من الإفلات من قبضة مصالح الأمن الفرنسي من حل سوى اللجوء إلى الأوراس – القلعة الآمنة – والدخول تحت حماية بن بولعيد ومن معه، ومن بين هؤلاء رابح بيطاط، لخضر بن طوبال وعبد السلام حباشي...

لهذا الفوج ينضم فوج من الفارين من سجن عنابة من بين نشطاء المنظمة الخاصة في ربيع سنة 1951 : زيغود يوسف، عمار بن عودة، بكوش عبد الباقي، سليمان بركات. من بين الأسماء الواردة في هذا السياق سنجد الكثير منها في صدارة الأحداث لاحقا.

في خضم هذه التطورات تزداد التزامات بن بولعيد الذي يجد نفسه مجبرا على القتال على عدة جبهات في نفس الوقت، ويقوم بعدة أدوار ليس من السهل الجمع بينها.

ـ نشاط سياسي علني في إطار نضالات حركة انتصار الحريات الديمقراطية الواجهة الرسمية لحزب الشعب وما يفرضه ذلك من حضور دائم للترويج لمواقف الحركة وأطروحاتها في مواجهة منافسة التنظيمات الوطنية الأخرى كأتباع فرحات عباس وجمعية العلماء وأقطابها في المنطقة وأنصار الحزب الشيوعي الحاضر بقوة في الأوراس. يجمع المؤرخون جميعهم على أن بن بولعيد حافظ على علاقات طيبة وتضامنية مع فصائل الحركة الوطنية. أما

في الجانب الآخر فلقد كان في صراع مستميت ومتعدد الأشكال مع الإدارة الاستعمارية التي عرف كيف يفرض عليها احترامه والكولون الذين تعامل معهم الند للند والقياد والوجهاء المحليين الذي عرف كيف يتقي شرهم.
ـ نشاط شبه عسكري سري في المنظمة الخاصة استلم مشعله من المناضل عبد القادر لعمودي حيث عجل في تكوين الخلايا الأولى في أريس والحجاج والمدينة وفم الطوب...

بن بولعيد وتحديات العمل السري

من منطلق الالتزام بواجباته السرية كان على بن بولعيد أن يحسن التعامل مع قضايا هامة وحساسة فرضتها الظروف.

1. قضية الفارين للأوراس

منذ وصولهم للأوراس وُزِّع الفارون من طرف مسؤولي الحزب المحليين الحاج لكحل وعبد الحميد بوضياف على مختلف الأعراش، بيطاط عند التوابة (قبيلة بن بولعيد)، وسي المكي تليلاني في دوار يابوس قرب خنشلة، وحباشي عبد السلام لدى أحد فرق بني بوسليمان في عين أوسام، وبن جدو في جبل شليا، وبن طوبال لخضر عند السراحنة. تسند لهؤلاء مهام التوعية وإلقاء المحاضرات ومناقشة القضايا السياسية مع المناضلين والمواطنين. الأمر على هذا النحو فهم بأنه تراجع مفضوح من طرف القيادة عن المهمة الأصلية التي كانت تتمثل في الاستعداد للثورة. أما الآن فأصبح الدور يقتصر على استبدال النشاط الرئيسي بقضايا ثقافية محضة ليتبين بأن موضوع الثورة لم يعد ضمن الأولويات في أجندة الحزب.

2. وتيرة الاستعـدادات

من المؤكد أن وتيرة الاستعدادات العسكرية قد قلت في سنتي 1951 و1952، لكنها لم تتوقف عند بن بولعيد حيث تواصل التدريب وصنع المتفجرات وجمع الأسلحة وصيانتها وانتقاء الذخيرة وربط الشبكات الداعمة.

قصـة « الخارجين عن القانون »

كبح جماح « الخارجين عن القانون » ومحاولة استدراجهم لصف العمل الوطني وتوجيه نقمتهم الشخصية على الإدارة الاستعمارية ضد

الموالين لها والمستفيدين منها وتفهم اندفاعاتهم وتأطيرها إيجابيا وإليكم التوضيحات :

الخارجون عن القانون أو « الخماتين » ظاهرة شهيرة التصقت بالأوراس وبالثورة عند اندلاعها وبالبيئة التي تحرك فيها بن بولعيد. هم من الأشخاص الذين دفعتهم مواقف وأحداث شخصية للعصيان و التمرد على إدارة الاحتلال. من السباقين الأسطوريين « مسعود أوزلماط » الذي قتل في ملاغو عام 1921 ورفيقه « بولمصران » المنحدر من مشونش و « درنوني علي » الهارب سنة 1946 من سجن أريس و « حسين برحايل » الفار سنة 1942 من سجن توقرت والمحكوم عليه بـ 15 عام أشغال شاقة و « قرين بلقاسم » الذي اعتصم بالجبال وعمره لم يتجاوز 21 سنة. تذكروا جيدا هذه الأسماء فسنجد البعض منها في تعداد شهداء ثورة التحرير الكبرى وفي صفوف جيش التحرير الوطني بقيادة مصطفى بن بولعيد.

تشير تطورات الأحداث اللاحقة إلى أن المناضلين الوطنيين قد نجحوا إلى حد بعيد في التأثير سياسيا على هؤلاء المتمردين. يقول بن طوبال لخضر[7] : « تعرفنا على ظاهرة جديدة متمثلة في وجود « الخماتين » في المنطقة التي كنت فيها، يوجد حسين برايدي المعتصم في الجبال منذ 1941 والمكي بن جار الله (اسمه الحقيقي العايسي) وبن زلماط و الصادق قوزير (شبشوب) وأخيرا بلقاسم قرين. وفي تقييم العلاقة بين الفارين إلى الأوراس من نشطاء المنظمة الخاصة و « الخماتين » يقول بن طوبال : « **لم تكن هاته العناصر تنظر إلى الغرباء الوافدين إلى الأوراس بعين الرضا لأنها ترى فيهم منافسين لسلطتها وتأثيرها في المنطقة... وتمكنا أخيرا من إدماجهم في تنظيم الحزب في خلية خاصة بهم، ماعدا قرين بلقاسم الذي بقي متمردا على الجميع** ».

استغلت الإدارة الاستعمارية عملية تجريد دركي من سلاحه قام بها أحد الخارجين عن القانون أثناء إجراء انتخابات 7 جوان 1951 لشن حملة تمشيط ومراقبة وترويع السكان تحت ضغط القياد والكولون الذين اعتبروا تواجد العناصر المتمردة تحديا لهيبة الدولة وخطرا على مصالحهم وتهديدا للأمن العام.

Daho Djerbal, *Le maquis des Aurès en 1950 - 1952*, *La Tribune*, n° spécial, novembre (7 2004, p. 75.

في 15 أوت 1951 جهزت السلطات حملة أسمتها عملية الإبرة خصصت لها وحدات أمنية وعسكرية كبيرة وميليشيات الكولون والقياد أسفرت على مقتل العديد من المتمردين منهم زلماطي أحمد وزلماطي لخضر ومعاليم الوردي وعيسى الوردي وبن سالم محند أو سي عمار وبن سالم محند أوسايح، بينما تمكن البطل الأسطوري قرين بلقاسم من الإفلات من الحصار وسنجده مفجرا للثورة وشهيدا لها.

هذه التطورات الاستعجالية والخطيرة والخارجة عن نطاق إرادته تجبر بن بولعيد المتشبع بروح المسؤولية على اتخاذه قرار إخراج عناصر المنظمة الخاصة المختبئين بالأوراس قبل انكشاف أمرهم وسر التنظيم.

متاعب النعرات العشائرية

صعود نجم بن بولعيد في بداية الخمسينيات من القرن الماضي أصبح يقلق الإدارة الفرنسية والحساد من بين الوجهاء والموالين لها.

في عام 1951 أقدم حاكم أريس على زرع الفتنة بين عرش التوابة وعرش بني بوسليمان حيث سلح نفرا من كلا الطرفين ودس في وسطهم من يدعو للانتقام مستغلا حادثة قتل وثأر حول نزاع على أرض فلاحية[8].

يقول بن طوبال في هذا الموضوع بالذات : « **يتعلق الأمر بنزاع بين العرشين الكبيرين في الأوراس... قصة ثأر ناتجة على إقدام علي بن درنون على قتل جزائري آخر من التوابة. منذ ذلك الحين تسلحت القبيلتان ودخلتا في قطيعة شملت جميع جوانب الحياة. لقد وصلنا في هذه الظروف، لقد كانت المرحلة الأكثر مأساوية التي عشتها قبل 1954**[9] ». إذا كان هذا هو تقدير المناضل الكبير لخضر بن طوبال فما عسى أن يكون شعور بن بولعيد وهو المعني مباشرة بالموضوع لتجد عائلة بن بولعيد نفسها في صلب دوامة الصراع العشائري وتصبح مستهدفة ككل العائلات المنتسبة للعرشين. تعرض هو لاعتداءين بالسلاح في بيته بينما تعرض أخوه عمر لمحاولة اغتيال سنة 1949[10].

8) محمد عباس، مرجع مذكور، ص 42.
9) بن طوبال لخضر، لاتريبون، مصدر مذكور سابقا، ص 75-76.
10) محمد عباس، المرجع نفسه، ص 42.

يدرك بن بولعيد القائد السياسي الواعي برهانات الوضع أن آليات التحكيم والوساطة التقليدية غير كافية لوضع حد نهائي لخلاف ساهمت الإدارة الاستعمارية في تعقيده وعمل حلفاؤها على إبقائه عملا بالقاعدة المعروفة « فرق تسد ».

يستنجد بن بولعيد بالحزب الذي ينتمي إليه مادام هذا الأخير يملك مناضلين لدى الطرفين بإمكانهم الضغط لإيجاد تسوية عادلة ترضي الجميع وتسمح بتنقية الأجواء من أجل التفرغ لما هو أعظم وأهم. يحل بالأوراس المناضل « الأمين بلهادي » من الخروب – نفس مدينة شيهاني بشير – قام سي الأمين بمساعي حميدة لدى الطرفين معتمدا على وعي وتعقل عناصر حركة الانتصار في كلا العرشين. أسفرت الجهود الصادقة والنوايا الطيبة لدى المتخاصمين عن تسوية ترضية وصلح في إطار وطني محض في أواخر عام 1952، وبذلك تم إحباط واحدة من أنذل مؤامرات الاستعمار وأذنابه ليتفرغ أبناء الأوراس لمهمة تسمو فوق العصبيات العشائرية. لقراء القرن الواحد والعشرين قد تبدو المسألة بسيطة، لكن بمنظار ذلك الوقت كان الوفاء للعرش الضمانة الوحيدة للبقاء والاستمرار تحت نير استعمار تسبب في إبادة قبائل بكاملها واقتلاعها من جذورها، فالمسألة في غاية الحساسية. هذا الصلح يعد إنجازا يسجل للعرشين ويزيد من مكانة بن بولعيد الذي احترم خصوصيات البيئة التي يعيش فيها وتعامل مع الوضع القائم دون استهتار ولا استكبار فلولا التعقل لما ذهبت كل الاستعدادات للثورة في مهب رياح النعرات القبلية والتي كانت الإدارة الفرنسية على الدوام من يشعل فتيلها والمستفيد الأول منها. أن تكون سيد عرشك فهذا ممكن إذا توفرت بعض الشروط، لكن أن تصبح مقبولا من طرف جميع الأعراش ذلك كان التحدي الأكبر الذي رفعه بن بولعيد بنجاح قبيل اندلاع الثورة.

إعـادة إحيـاء « المنظمـة الخاصـة »

لم تكن المتاعب السابقة على تعقيدها وتداخلها الوحيدة التي واجهت مصطفى بن بولعيد. فلنتوقف عند موضوع في غاية الأهمية التاريخية لم يلقَ حقه في الدراسات التاريخية ذات الصلة والذي سيساعد على فهم كثير من التطورات ويبرز وجها آخر من أوجه عظمة بن بولعيد.

بعد تفكيك القسم الأكبر من المنظمة الخاصة من طرف الأمن الفرنسي على إثر حادثة « خياري » تتنكر قيادة الحزب لها خوفا من الحل والمتابعات. كان الخطاب الرسمي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ينفي وجود أية علاقة عضوية مع التنظيم السري. تدعو ذات القيادة المقبوض عليهم لنكران الانتماء الحزبي واعتبار تهم « تكوين منظمة شبه عسكرية » و « الاستعداد للقيام بأعمال عنف والتمرد » مجرد تلفيقات ومؤامرة استعمارية غايتها القضاء على الحركة الوطنية.

من منطلق هذا التصور الأعرج تبادر القيادة إلى الحل العملي للتنظيم (أو التجميد كما يحلو للمبررين لاحقا تفسير الوقائع) أو ما تبقى منه، وتبدأ رحلة معاناة المنتسبين إليه، سجن، تشرد، هجرة، الدخول في حياة السرية الكاملة... يقول محمد حربي في وصف هذه الحالة وهو يتكلم عن أعضاء المنظمة الخاصة بين 1950 و1953 : « لقد وجدوا أنفسهم بعد آمال كبيرة، رهائن تنظيم (يعني حزب الشعب) يولي ظهره للوعود التي قطعها على نفسه[11]... » من تأثيرات

(11 Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962),* Editions Jeune Afrique, Paris, 1980, p. 18.

هذا المأزق يضيف نفس المتحدث : « هذا الوضع قد أثر تأثيرا كبيرا في نفوس المنتمين للتنظيم السري الذين مازلوا طلقاء، خيبة أمل وفقدان الثقة في السياسة والسياسيين . . . » .

يقول بن طوبال لخضر وهو أحد هؤلاء الذين مازلوا طلقاء، مختبئين بالأوراس عند بداية التطويق في أوت 1951 **(يقصد عمليات التمشيط التي قام بها الأمن الفرنسي التي تناولناها في المحطة السابقة)** « **تقدم إلينا السكان وسألونا هل سنقاوم أو نقبل القمع والاضطهاد دون ردة فعل ؟ نملك سلاحا، هل يجب استعماله ؟** » لم يكن من صلاحيات مناضلي « المنظمة الخاصة » الفصل في الموضوع خاصة وأنهم لم يكونوا مكلفين بأية مهمة تنظيمية كما ورد ذكره في سياق سابق .

« **لقد استقدمنا مسؤول الحزب في عمالة قسنطينة السيد عمار بوجريدة الذي اقترح علينا حلان : إما أن نسلم أنفسنا للشرطة الفرنسية وقضاء عقوبة سجن تقدر بعامين أو خمس أو عشر سنوات أو الهجرة إلى المشرق العربي أين يكون مصالي الحاج قد تمكن من إيجاد أماكن لنا . . .** » .

يضيف بن طوبال لخضر : « **قال لنا بوجريدة بما أن مرحلة المحاكمات قد انتهت لن يتم تعذيبكم، ستقدمون أمام المدعي العام وربما سيتم إخلاء سبيلكم بعد عام واحد . فيما يخصكم الأمور ليست خطيرة . لا وجود لخطر الإعدام . لا أرى ماذا يمكنكم فعله هنا في الأوراس**[12] » .

في ظل هذه التطورات المأساوية على أكثر من صعيد يجتمع مسؤولو الأوراس من قادة القسمات وقادة الأفواج : « سنتكفل بهؤلاء المناضلين، إنهم منا وهم أبناؤنا . إذا تخليتم عنهم سنتكفل بهم نحن[13] . . . » .

يقول الباحث دحو جربال تعليقا على هذه الحالة « هكذا فإن مناضلي « المنظمة الخاصة » الماكثين بفعل الظروف في هذا المكان الأسطوري الذي تمثله كتلة الأوراس، قد اكتشفوا في آن واحد بلدا في وضعية تمرد وقيادة سياسية بدأت نقائصها وترددتها تظهر للعلن[14] » .

---

12) Daho Djerbal, « *La nuit rebelle* », *La Tribune*, Alger, 2004, p. 79

13) Daho Djerbal, *op. cit.*, p. 72

14) Daho Djerbal, *op. cit.*, p. 72

كان على بن بولعيد أن ينسجم مع ظروف في غاية التعقيد ويواصل نشاطه بحذر شديد لكن بإصرار المقتنع مستندا على إجماع المنتسبين « للمنظمة الخاصة » في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة بينهم والبقاء أوفياء للنهج الذي سلكوه معا في بسكرة والأوراس والوادي والشمال القسنطيني.

على خلفية هذا الوضع السريالي يجد سي مصطفى نفسه مسؤولا مباشرا على حفظ أمانة لم يعد يطالب بها أحد : الأمر يتعلق بالشحنة الأولى للأسلحة التي تم اقتناؤها والتي ستكون حاضرة في 1954/11/01.

قضية الشحنة الأولى للأسلحة : الخيط الرابط بين بلوزداد وبن بولعيد

بعد المؤتمر الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بين 15 و16 جوان 1947، البديل العلني لحزب الشعب الجزائري المحظور، يتم إنشاء « المنظمة الخاصة » كما هو معروف وتسند قيادتها الأولى لمحمد بلوزداد الذي يتكفل في بادئ الأمر شخصيا بعمالة الشرق قبل إسنادها لمحمد بوضياف.

أقام محمد بلوزداد لدى السيد سعيد دريس، مناضل من الوادي يملك محلا تجاريا بوسط مدينة قسنطينة. هذا الأخير كلف المناضل أحمد ميلودي من الوادي تولي مهمة مرافقة بلوزداد إلى الوادي لنسج شبكات الدعم وشراء الأسلحة وتعيين المسؤولين عن العملية.

في أواخر سنة 1947 سلم المناضل عيصامي محمد من بسكرة مبلغ 2 مليون سنتيم لأحمد ميلودي الذي تولي بدوره بتكليف بشير ميحي المدعو محمد بلحاج بشراء أسلحة من ليبيا باعتبارها سوقا خصبا لبقايا الحرب العالمية الثانية من مخلفات ترسانة الإيطاليين والألمان المخزنة هناك. بعد عودة القافلة تودع الشحنة المكونة من 103 بندقية إيطالية من نوع ستاتي و4 صناديق من الذخيرة لدى أحمد ميلودي بالوادي وتنقل بعد ذلك إلى زريبة حامد (زريبة الوادي) بين بسكرة وسيدي عقبة تحت الإشراف المباشر لعبد القادر لعمودي مسؤول منطقة الجنوب القسنطيني في التقسيم الإقليمي الخاص بـ « المنظمة الخاصة » آنذاك (وادي سوف بسكرة، الأوراس، النمامشة). يكلف بن بولعيد مصطفى بنقلها إلى الحجاج (أريس) وتبقى في عهدته إلى غاية 1 نوفمبر 1954.

تجربة بن بولعيد مع « المنظمة الخاصة » حصريا تستدعي بعض الوقفات المختصرة :

1. لم يتمكن الأمن الفرنسي من إلقاء القبض على أي عنصر من عناصر التنظيم في الأوراس سوى من بين المجندين المحليين أو المقيمين بالمنطقة من جهات أخرى من الوطن.
2. إن أكبر كمية من السلاح الذي فجرت به الثورة في 1 نوفمبر 1954 كان مخبأ بالأوراس وملكا للمنظمة الخاصة. جزء منه أعطي لجهات أخرى من الوطن مثلما سنعرف.
3. إن النواة الصلبة من بين عناصر مجموعة 21 التاريخية كانت لها علاقة وطيدة بـ« المدرسة الأوراسية » زمن القهر والتيه.
4. إن بن بولعيد كان حاضرا في أدق تفاصيل تأهيل المنطقة التي وقع عليها عبء تحمل شرف قاطرة الثورة.
5. لا ننسى بأن فكرة الإعلان عن الثورة عبر الاتصال المباشر بالمناضلين جاءت تتويجا للقاء الذي جمع في قصبة الجزائر كل من بوضياف وديدوش وبن بولعيد وبن مهيدي في بداية 1953.
6. في خريف نفس السنة قام ديدوش وبن بولعيد بتكوين أول فوج متخصص في صنع الألغام والقنابل يضم الزبير بوعجاج وعبد الرحمن قاسي عبد الله والحاج عبد القادر من العاصمة وسليمان ملاح ورشيد بوعلي من قسنطينة تحت إشراف بن بولعيد[15].

15) محمد عباس، في كواليس التاريخ، الشروق اليومي 2009/11/10، العدد 2765، ص 21.
Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962), op.cit.*, p. 95.

بن بولعيد والمخاض العسير لولادة الخيار الثوري

يقول المؤرخ محمد حربي : « **وبين 1950 و1953 كان حزب الشعب الجزائري – حركة انتصار الحريات الديمقراطية – في أزمة مقنعة. في حقيقة الأمر كانت الحركة في مواجهة معضلة : استحالة الخيار البرلماني في وقت كانت تهدر فيه قوى الحزب في معارك لا طائل منها. كان العمل يحتم إما التحضير لثورة تحررية أنقص من حظوظ القيام بها الحل غير المعلن للمنظمة الخاصة. أو العودة إلى الخلف والبحث عن توافق مع الآخرين، لكن هذا الأفق صار غير مضمون**[16] ». هنا يشير الكاتب إلى تجربة « أحباب البيان والحرية » التي لم يعد من الممكن العودة إليها بسبب تداعيات مجازر ماي 1945 وانهيار جسور التواصل بين فصائل الحركة الوطنية من علماء ووطنيين وإدماجيين وشيوعيين.

يعيش بن بولعيد تناقضات الحركة الوطنية في دوامة من الإحباطات وخيبات الأمل، يواجهها بصبر واستقامة قل مثيلها والتركيز على ما هو أهم في القضية والتعنت لفكرة أصبحت هاجسا لديه : العمل المسلح أداة للتحرير. يقول عنه في هذا الصدد بن يوسف بن خدة الأمين العام للحركة في ذلك الوقت والرئيس الثاني للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إبان الثورة : « **كان بن بولعيد في اجتماعات اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية يدافع عن أرائه بصراحة ونزاهة وتواضع... وكان شغله الشاغل الثورة المسلحة وجمع السلاح لأنه كان يعيش ذلك يوميا في الأوراس**[17] ».

16) محمد حربي،جبهة التحرير الوطني، السراب والحقيقة، جون أفريك، باريس، 1980، ص86.

17) محمد عباس، ثوار... عظماء، مرجع مذكور سابقا، ص45، من شهادات جمعها الأستاذ محمد الطاهر عزوي.

بدل الوحدة يتكرس الطلاق على إثر المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في أفريل 1953 الذي أخفق في تجاوز المسائل الخلافية التالية :

ـ الاختلاف حول مسألة المشاركة في الانتخابات.

ـ سياسة التحالفات في الجزائر. مع من ولماذا ؟

ـ وحدة كفاح شعوب شمال إفريقيا وكيفية تحقيقها.

ـ البحث عن الدعم الخارجي لنضال الشعب الجزائري، أين وكيف ؟

هذه القضايا الجوهرية تؤدي إلى انشطار الحزب إلى تيارين متنازعين لحد التصادم، تيار يدور في فلك اللجنة المركزية حول حسين لحول وبن يوسف بن خدة، وآخر يرتبط بالمكتب السياسي بقيادة مصالي الحاج. على خلفية هذا التصدع يدخل الحزب في مرحلة المزايدات والنقاشات العقيمة، ظاهرها سياسي لكن باطنها حماية وضعيات وامتيازات ومواقع مكتسبة تتداخل معها تعبيرات المشارب الفكرية والقناعات الإيديولوجية والتجارب النضالية المختلفة والانتماءات الطبقية.

موضوعيا لا يمكن الحسم في مسألة النيات التي تبقى في مجملها صادقة، فالكل عبر عما كان يراه صائبا لنصرة القضية الوطنية دون إهمال القمع الاستعماري المسلط على عناصر الحركة الوطنية : متابعات، اعتقالات، نفي، مضايقات مختلفة الأشكال. باختصار أجواء لم تكن تساعد على نقاش حر وديمقراطي داخل الحزب.

رغم كونه عضوا في اللجنة المركزية لم يتموقع بن بولعيد مع هذا الهيكل ضد المكتب السياسي ولا العكس ؛ لأنه بكل بساطة ليس طرفا في نزاع يهمه من الناحية الأخلاقية كمسؤول قيادي لكنه لا يعنيه من ناحية الاهتمامات، بل أصبح يرى في هذا الانزلاق الخطير عقبة جديدة في وجه المشروع التحرري. مقياس الفرز والحكم والتصرف عنده صار : من مع التحضير للثورة ومن ضد ذلك ؟

في أجواء التصعيد يعود بوضياف للجزائر من فرنسا أين كان مسؤولا عن فيدرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية حاملا بيان « نداء للتعقل » حرر من طرف 3 مسؤولين : عبد المالك بن حبيلس، بلقاسم رباف وأحمد محساس، يدعو كافة المناضلين لالتزام الحياد الإيجابي في صراع الأجنحة والمحافظة على

وحدة الحزب كمكسب نضالي ثمين والدفع باتجاه تحضير الثورة المسلحة كسبيل أو حد لتجاوز الخلافات وتذويب الصراع الدائر رحاه.

قصة اللجنة الثورية للوحدة والعمل CRUA

في 23 مارس 1954 تظهر للوجود « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » بعضوية دخلي إبراهيم وبوشبوبة رمضان عن اللجنة المركزية ومحمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد عن « المنظمة الخاصة ». تضاربت الروايات التاريخية حول أصحاب المبادرة والغاية منها وأعضائها ومصيرها. سنحاول في هذا المقام فك خيوط المسألة لمعرفة الحقيقة.

حسب محمد حربي واستنادا إلى وثيقة أمضاها زعماء اللجنة المركزية في مارس 1987 يعود قرار إنشاء « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » إلى اجتماع عقده كل من : حسين لحول وسيدي علي عبد الحميد ودخلي إبراهيم في مدرسة الرشاد بالعاصمة، ثم انضم إليهم بن بولعيد. في نفس اللقاء تقرر نشر صحيفة « الوطني » التي كانت المعبر عن مواقف أعضاء اللجنة المركزية.

مهما يكن من أمر نعتقد أن النزاهة التاريخية تستوجب التذكير بأن « اللجنة الخاصة » التي شكلتها اللجنة المركزية على إثر المؤتمر الثاني في أفريل 1953 والمتكونة من : مصالي ولحول وبن خدة قد طلبت خلال صائفة 1953 من محمد بوضياف مسؤول التنظيم بفيدارلية فرنسا للحركة ونائبه ديدوش مراد العودة للجزائر بهدف إعادة إحياء تنظيم شبه عسكري[18].

من الطبيعي أن تحاول اللجنة المركزية الظهور بمظهر الملتزم للخط الثوري في نزاعها مع مصالي الحاج وأن تجلب إلى صفها كل الأوراق الرابحة استعدادا للمؤتمر الذي دعت رئيس الحزب إلى استدعائه وفقا لصلاحياته بعد أن حلت نفسها في 28 مارس 1954. ليس المهم من بادر إلى إنشاء « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » بقدر ما يهم كشف الحيثيات التي تسلط الضوء على نوايا كل طرف.

هكذا تقذف الأقدار بسي مصطفى إلى واجهة الأحداث وتفرض عليه دورا تاريخيا ستكون تداعياته كبيرة على مسار الحركة الوطنية ومصيرية بالنسبة للجزائر المعاصرة.

---

18) محمد حربي، 1954 تبدأ الحرب في الجزائر، دار البرزخ، الجزائر، 2005، ص57.

ضمن هذا الهيكل الاستثنائي يسعى بن بولعيد إلى توحيد صف الحركة الوطنية وتوجيه النقاش نحو العمل الفعلي من أجل مباشرة الثورة التحررية. يقول المؤرخ جلبر ميني : « **بالنسبة إلى بوضياف كان الهدف استدعاء مؤتمر وحدوي تكون فيه جميع التيارات ممثلة بما فيها قدماء المنظمة الخاصة المقصون منذ 1951 والمغيبون من مؤتمر 1953 ورفض هيمنة مصالي على الحزب**[19] ».

هذه القناعة كان يتقاسمها معه بن بولعيد الذي جسدها في سلوكه ومواقفه في ذلك الوقت. انفتاح وحدوي على المصاليين والمركزيين، الالتزام بالحركة والارتباط العضوي مع قدماء المنظمة الخاصة.

استنتج الكثير من المؤرخين بأن خلفية المركزيين كانت تتمثل في استقطاب قدماء « المنظمة الخاصة » لدرء شبهة الميولات الإصلاحية التي اتهموا بها من طرف خصومهم... بمعنى تطليق الخيار الثوري وقبول المشاركة في اللعبة السياسية في حدود ما يسمح به الوضع الاستعماري القائم. كما استنتجوا في نفس السياق كذلك رغبة المركزيين في توظيف « اللجنة الثورية للوحدة والعمل ». هذه الاستنتاجات وإن كانت صحيحة من ناحية التحليل إلا أنها تهمل الجانب الأعمق في الموضوع. السيطرة على الجهاز الحزبي تعني حرمان مصالي الحاج من أهم أداة صناعة صورة وقوة الزعيم، أما استمالة عناصر « المنظمة الخاصة » فذلك يعني التحكم في أخطر وسيلة بإمكانها تفعيل الأمور في اتجاه مغاير لتصورات اللجنة المركزية في مقاربة القضية الوطنية وفق سياسة التدرج والمرحلية والانفتاح على الشرائح المعتدلة للمعمرين من أمثال جاك شوفالييه رئيس بلدية العاصمة آنذاك.

في تقدير المصاليين لم تكن « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » سوى مناورة من تدبير خصومهم حيث نصبوا بها العداء من البداية دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الفرز في تركيبتها، ونظروا إليها من منظار « من ليس معنا فهو ضدنا » دون التساؤل عن سر انجذاب قدماء المنظمة الخاصة إليها.

خلال شهر جويلية 1954 يلتقي بوضياف وبن بولعيد وبن مهيدي وديدوش في برن بسويسرا مع حسين لحول ومحمد يزيد كممثلين للجنة المركزية. هؤلاء وعدوا بحل اللجنة المركزية ووضع أموال الحزب تحت تصرف نشطاء « المنظمة الخاصة » لتفعيل الاستعدادات وإرسال أعضاء منهم للخارج لدعم الوفد الخارجي

19) Gilbert Meynier, *la Tribune N° spècial Novembre 2004 P222*

(بن بلة، آيت أحمد، خيذر اللاجئين بالقاهرة) في مسعاه لجلب المساعدات المادية والمعنوية لمشروع الثورة. هذه الوعود لم تلقَ سوى الرفض لدى غالبية أعضاء اللجنة المركزية.

من جانب آخر راحت كثير من العناصر الراديكالية من قدماء « المنظمة الخاصة » مثل زيغود وبن طوبال وحباشي تدفع في اتجاه الاعتماد على النفس والتخلي عن مبادرة لا طائل منها.

في هذه الأجواء المشحونة تفشل « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » في تحقيق مسعاها لدى الطرفين وتضيع مع الأسف فرصة تاريخية للدخول في ثورة تحررية بصفوف موحدة وكان من الممكن تفادي الكثير من المآسي التي حدثت بعد ذلك والحكم للتاريخ. تنتهي تجربة « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » في 20 جويلية 1954 لتفسح المجال أمام تجربة ملحمية أخرى.

لم يقطع بن بولعيد الصلة مع أي طرف ولم يكن تابعا لأي طرف. لم يكن قاسيا في الحكم على مصالي الحاج الذي لم يستوعب – بحكم ظروف الإقامة الجبرية والإبعاد والعزلة التي فرضتها السلطات الاستعمارية – بأن « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » لم تكن سوى نقطة تقاطع بين مصالح وتصورات المسيطرين على الهيكل الحزبي الميداني في الجزائر الذي طرأت عليه تحولات جوهرية بعد مجازر ماي 1945 والطموح الصادق للنواة الصلبة لنشطاء « المنظمة الخاصة » الذين سئموا المجادلات العقيمة ومنطق التكتلات الفوقية والروح الانتظارية. مهما يكن من أمر فلا يجب تغييب مسألتين :

1. إنشاء « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » تعبير صادق عن رفض انقسام الحزب – مكسب كل المناضلين – ودلالة على نضج الحالة الثورية في الجزائر.
2. غابت عن طرفي النزاع حقيقة مفادها أن المنتسبين « للمنظمة الخاصة » ليسوا جنودا في وضعية استعداد دائمة ينتظرون إشارة التقدم أو التراجع مثلما يحلو للقادة السياسيين، بل هم أيضا بالأساس مناضلون من أجل قضية آمنوا بها يمكنهم في أي لحظة التحكم في زمام المبادرة لتجسيد هدف الحزب الذي يعملون تحت رايته. وهذا ما سيحدث فعلا. بين النظرة الشعبوية والنظرة البيروقراطية يبرز خيار الواقعية. بين الزعيم السياسي والمحترف السياسي يظهر المكافح الميداني.

بن بولعيد مهندس 1 نوفمبر 1954

حاول بن بولعيد بكل ما أوتي من قوة توحيد الصفوف والجمع بين الفرقاء، في 23 فيفري 1954 يقوم بزيارة مصالي الحاج بنيور Niort مقر إقامته الجبرية ضمن سلسلة من الاتصالات والمساعي بدأها محمد يزيد في 14 جانفي 1954 ثم معيزة وحمود ورقيمي (مسؤول حزبي) ومستاري وكبير (إطار حزبي) يوم 27 فيفري 1954. هذه الاتصالات المتعددة الأطراف وقفت على حقيقة مرة مفادها الهوة الواسعة بين جناحي الحزب وغرق الجميع في متاهات الصراع[20].

5 أشهر من بعد، في نهاية شهر جويلية 1954 عقب مؤتمر هورني ببلجيكا الذي عقده المصاليون، يتصل بن بولعيد مرة ثانية بمصالي الحاج ليعبر له عن جاهزية الجزائريين للشروع في ثورة مسلحة ويطلعه على طبيعة الاستعدادات والخلفية التي حتمت « إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل ».

منطق بن بولعيد المعبر الفعلي لروح « المنظمة الخاصة » والعزيمة الصادقة للمنتسبين لها يقابله منطق مصالي الحاج : « **لا ثورة قبل تطهير الحزب من العناصر الإصلاحية** » المشخصة في أعضاء اللجنة المركزية و « أن صاحب القرار الأول والأخير في مسألة إعلان الثورة من عدمها هو مصالي نفسه » يحاول بن بولعيد إقناع الزعيم على الأقل مباركة الثورة عند اندلاعها، لكن هذا الأخير يعتبر أن مثل هذا القرار يعود له وحده دون سواه. يقول العقيد الطاهر زبيري أحد الذين تعرفوا عن كثب على بن بولعيد أثناء الاعتقال بسجن الكدية نقلا عن الشهيد نفسه : « **لما قال هذا الأخير لمصالي : لقد حضرنا القليل لتفجير**

(20 Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962), op. cit.*, p. 95.

الثورة. رد الزعيم : يا شاوي... حتى نقتلع المنحرفين (من الحزب) ثم نذهب للثورة[21] ».

هذا الموقف ولد لدى بن بولعيد قناعة بأنه لا فائدة ترجى من الاتكال على رئيس الحزب لدعم المشروع الذي بادر إليه الخماسي : بوضياف، بن بولعيد، ديدوش، بن مهيدي وبيطاط وتبنته مجموعة الـ 21 التاريخية.

الطريق المستقل نحو نوفمبر

يعتبر الثلاثي الثالث من سنة 1954 (جويلية، أوت وسبتمبر) الفترة الحاسمة التي وقع فيها الفرز بين التيارات الثلاثة في حركة انتصار الحريات الديمقراطية لصالح تيار المبادرة الثورية. عجلت الوقائع التالية الحسم في تحديد معالم الطريق نحو الاستقلال :

1. فشل محاولات الوساطة والصلح بين المتصارعين، أحمد بن بلة وخيضر (من الوفد الخارجي) بدورهم يقفون على هذه الحقيقة بعد اتصالهم بمصالي، الزعيم لا يهمه سوى استسلام اللجنة المركزية لرؤاه والسيطرة المطلقة على الحزب.
2. عقد مؤتمر هورني ببلجيكا بين 14 و17 جويلية من طرف المصاليين وإقصاء 8 عناصر بارزة في الحزب : حسين لحول، بن يوسف بن خدة، عبد الرحمن كيوان، امحمد يزيد، صالح الونشي، فروخي مصطفى، أحمد بودة، سيد علي عبد الحميد.
3. رفض بن بولعيد وأصحابه تزكية الدعوة لعقد مؤتمر مناوئ للمصاليين والانسياق في لعبة صراع القيادات يؤدي إلى انسحاب المركزيين من « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » وقطع الدعم عليها. يصرح رمضان بوشبوبة (سي موسى) يوم 15 جويلية 1954 أمام الندوة الوطنية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية : « كانت اللجنة الثورية للوحدة والعمل تهدف لتوحيد التيارات، المصاليون لا يريدون ذلك. لا وجود للجنة بعد الآن، علينا الذهاب من جانبنا إلى مؤتمر خاص بنا[22] ».

---

21) استجواب مع العقيد الطاهر زبيري، جريدة الأحداث، 27 سبتمبر 2007.

22) محمد حربي، مرجع مذكور سابقا، ص 61.

4. عقد مؤتمر أنصار اللجنة المركزية في الجزائر بين 13 و16 أوت وإقصاء أنصار مصالي الرئيسيين مثل مولاي ومرباح وأحمد مزغنة وعبد الله فيلالي. في ظل هذه التطورات المتسارعة يتخلص تيار المبادرة الثورية من الارتباط المعنوي والعضوي مع المصاليين والمركزيين على حد سواء.
5. في نهاية شهر أوت 1954 يتمكن مصطفى بن بولعيد ومحمد بوضياف باسم مجموعة الـ 21 من الوصول إلى صيغة اتفاق نهائي مع كريم بلقاسم وأوعمران عمار لضم منطقة القبائل لصف المبادرة الثورية. الاتصالات بين المجموعتين لم تنقطع منذ أن باشرها ديدوش مراد يوم 8 ماي 1954، خلال لقاء تم في 9 جوان 1954 مع كريم وبن بولعيد وبوضياف[23]. تم التفاوض بشأن المسائل الخلافية. بحلول شهر سبتمبر زالت المسائل العالقة، الأولى تتعلق برفع اللبس عن علاقة بوضياف وأصحابه بالمركزيين وتوضيح مدى ارتباط كريم بمصالي الحاج، والثانية تتعلق بتوزيع المسؤوليات، من الطبيعي أن تكون منطقة القبائل ممثلة في قيادة الثورة وينضم كريم بلقاسم بصفته مسؤولا عن المنطقة الثالثة إلى مجموعة الخمسة : بوضياف، بن بولعيد، بن مهيدي، ديدوش، بيطاطا لتكتمل مجموعة « الستة التاريخيين » التي سيقع عليها عبء تفجير الثورة بعد شهرين. هذا الإنجاز الضخم يدعم المبادرة الثورية التي لا يمكن تصور نجاحها موضوعيا وعمليا دون انخراط منطقة القبائل فيها.
6. في شهر جويلية 1954 وبالتزامن مع النشاطات الحثيثة في الجزائر يتم وضع اللمسات الأخيرة مع الوفد الخارجي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، هذه المجموعة اللاجئة بالقاهرة العاصمة المصرية الناصرية ومقر لجنة تحرير المغرب العربي والجامعة العربية كانت قد التزمت بالمشروع الثوري فيما يخص التسليح والتدريب وجلب الدعم السياسي. بن بلة وآيت أحمد كانا من القادة البارزين في « المنظمة الخاصة » والمطاردين بسبب نشاطاتهما من طرف الأمن الفرنسي، وخيضر كان متورطا في قضية ذات صلة، السطو على بريد وهران عام 1949، وفار من الجزائر. في مستهل سبتمبر تكتمل قيادة الثورة القادمة فيما يعرف « بالتسعة التاريخيين ».

23) بن يامين سطورا، لوموند، 2004/07/05.

بن بولعيد كان حاضرا في جميع أطوار الاتصالات، مرة عندما سافر إلى ليبيا يوم 15 أوت 1954 حاملا رسالة إلى بن بلة ورفاقه ومرة في لقاء بارن بسويسرا مع بن بلة بمعية بوضياف، بن مهيدي وديدوش.

قصة مجموعة الـ 21 وقصة بن بولعيد معها

يشهد التاريخ على أن بن بولعيد قد لعب – ضمن النواة الخماسية الصلبة – دورا محوريا وشخصيا في لم شمل المجموعة لما يتمتع به من ثقة ومصداقية في أوساط المدعوين لحضور لقائها التاريخي الأول يوم 27 أوت 1954 بحي المرادية الذي ترأسه شخصيا.

من الواجب الأخلاقي ذكر عناصر المجموعة التي غيرت تاريخ الجزائر المعاصر،غالبية الأسماء ترتبط ببن بولعيد وبالأوراس وبشكل أو بآخر. على المستوى الشخصي عرفت حياة هؤلاء الأبطال مسارات مذهلة مازال صداها يؤثر في حاضر الجزائر.

1. باجي مختـار

من مواليد 1911/04/17 بعنابة، مسؤول « المنظمة الخاصة » بسوق أهراس منذ 1947 . ألقي عليه القبض في قضية « خياري » سنة 1950، تعرض للتعذيب، سجن بقالمة، الشلف، البليدة، وأخلي سبيله في بداية 1954 . كان نائبا لديدوش مراد قائد المنطقة الثانية عن جهة القالة، سوق أهراس والونزة. استشهد في جانفي 1954، ترك قاعدة صلبة من المناضلين في مناطق الحدود.

2. بلوزداد عثمـان

من مواليد 1929 بحي بلكور (الجزائر العاصمة) عضو في « المنظمة الخاصة » منذ 1949، قاد أحد هجومات 1 نوفمبر 1954 بالعاصمة، ألقي عليه القبض يوم 7 نوفمبر 1954 وتم تعذيبه، تبنى بشكل شجاع انتماءه لجبهة التحرير أثناء محاكمته سنة 1956 .

3. بن عبد المالك رمضان

من مواليد قسنطينة، عضو المنظمة الخاصة منذ 1949. نائب العربي بن مهيدي في المنطقة الخامسة (القطاع الوهراني) من أشد أنصار الحسم الثوري مع الاستعمار. استشهد يوم 1 نوفمبر 1954 بسيدي علي.

4. بن عودة بن مصطفى عمار

من مواليد عنابة في 1925/09/27. عضو المنظمة الخاصة، ألقي عليه القبض سنة 1950 في قضية « خياري » فر من سجن عنابة، التحق بالأوراس، عضو قيادة الثورة في المنطقة الثانية، تقلد عدة مسؤوليات خلال الثورة وبعدها.

5. بن مهيدي محمد العربي

من مواليد عين مليلة. عضو قيادي في المنظمة الخاصة، مسؤول حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران، قائد الولاية الخامسة. من الشخصيات الأسطورية في ثورة التحرير، ألقي عليه القبض سنة 1957 على إثر معركة الجزائر، تم اغتياله من طرف المخابرات الفرنسية بواسطة النقيب (الجنرال أوساريس).

6. بن بولعيد مصطفى (خالي الشاوي)

من مواليد 1917 بأريس (باتنة)، عضو المنظمة الخاصة منذ 1947، رئيس اجتماع مجموعة الـ 21، قائد الولاية الأولى (الأوراس النمامشة). ألقي عليه القبض في الحدود الليبية – التونسية سنة 1955، محكوم عليه بالإعدام، فار من سجن الكدية بقسنطينة، استشهد في مارس 1956 على إثر عملية من تدبير المخابرات الفرنسية.

7. بن طوبال لخضر (سي عبد الله)

من مواليد 1923 ميلة، عضو المنظمة الخاصة، عضو قيادة الولاية الثانية، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ، من العناصر البارزة في قيادة الثورة بصفة وزير في الحكومة المؤقتة بعد 1958، تقلد مناصب مدنية بعد الاستقلال.

8. رابح بيطاط (موح الطويل)

من مواليد 1925 بعين الكرمة، عضو المنظمة الخاصة، من أنصار الحسم الثوري، قائد الولاية الرابعة، ألقي عليه القبض في 23 مارس 1953، تقلد عدة مسؤوليات بعد 1962 آخرها رئيس المجلس الشعبي الوطني منذ 1976. من رجال الدولة الجزائرية المستقلة.

9. بوعجاج زوبير

من مواليد 1925 بحي المرادية بالعاصمة، من نشطاء الحركة الوطنية منذ 1942 ومن مفجري الثورة في العاصمة، ألقي عليه القبض في 6 نوفمبر 1954، محكوم

عليه بالأشغال الشاقة مدى الحياة، شارك في الحياة السياسية بعد الاستقلال كنائب في الجمعية الوطنية وإطار في الحزب.

10. بوعلي السعيد

من مواليد قسنطينة، من مناضلي حزب الشعب بعد سنة 1945، من عناصر المنظمة الخاصة، قريب من أطروحات التيار الثوري، ألقي عليه القبض في بداية الثورة ثم التحق بجيش التحرير، استشهد سنة 1955.

11. بوشعيب بلحاج (حمد)

من مواليد عين تيموشنت سنة 1918، عضو قيادي في المنظمة الخاصة منذ 1947، شارك بفعالية في مهام التدريب والسطو على بريد وهران يوم 1949/04/05، عضو قيادة الولاية الرابعة، ألقي عليه القبض وسجن إلى غاية الاستقلال.

12. بوضياف محمد (سي الطيب الوطني)

من مواليد 1919 بالمسيلة، عضو قيادي في المنظمة الخاصة، المبادر إلى تأسيس جبهة التحرير الوطني ضمن مجموعة الـ 21، ألقي عليه القبض سنة 1956، بعد الاستقلال أصبح معارضا لحكم الرئيس بن بلة ثم بومدين، رئيس المجلس الأعلى للدولة في جانفي 1992، تم اغتياله بعنابة يوم 29 جوان 1992.

13. بوصوف عبد الحميد (سي مبروك)

من مواليد 1926 بميلة، عضو قيادي في المنظمة الخاصة، كان نائبا للعربي بن مهيدي في الولاية الخامسة ثم رئيسا لها، من أبرز عناصر قيادة الثورة بصفة وزير الاستعلامات.

14. ديدوش مراد (الهراج)

من مواليد الجزائر العاصمة، عضو المنظمة الخاصة، من العناصر البارزة في التحضير للثورة وإنشاء جبهة التحرير الوطني، مسؤول الولاية الثانية، استشهد سنة 1955.

15. حباشي عبد السلام

من مواليد قسنطينة، عضو المنظمة الخاصة منذ 1947، مقبوض عليه في قضية « خياري » عام 1950، فار من سجن عنابة، من اللاجئين إلى الأوراس، ألقي عليه القبض سنة 1955، وسيط الجمهورية في عهد الرئيس زروال.

بن بولعيد مهندس 1 نوفمبر 1954

16. لعمودي عبد القادر

من مواليد بسكرة، من أعضاء المنظمة الخاصة منذ تأسيسها، لعب دورا هاما في جمع السلاح قبل الثورة.

17. مشاطي محمد

من مواليد 21 مارس 1921 بقسنطينة، عضو المنظمة الخاصة، معني بموضوع الخلاف مع بوضياف ضمن المجموعة الـ 21، ناضل في فرنسا أين سجن عام 1956، بعد الاستقلال تقلد مناصب ديبلوماسية، وأحيل على التقاعد عام 1987.

18. ملاح سليمان

من مواليد مدينة قسنطينة، عضو المنظمة الخاصة، معني بموضوع الخلاف مع بوضياف، التحق بصفوف جيش التحرير واستشهد بصفة جندي بسيط.

19. محمد مرزوقي

من مواليد بلكور سنة 1926، عضو المنظمة الخاصة، ناشط في الحركة الوطنية، قاد عملية الهجوم على مقر الإذاعة في 1 نوفمبر، سجين حرب، بعد الاستقلال مارس مسؤوليات في حزب جبهة التحرير.

20. سويداني بوجمعة

من مواليد ڤالمة، عضو المنظمة الخاصة، نائب رابح بيطاط في المنطقة الرابعة، استشهد سنة 1956.

21. زيغود يوسف

ناشط في الحركة الوطنية، عضو المنظمة الخاصة، مسؤول الولاية الثانية بعد استشهاد ديدوش مراد، مهندس انتفاضة 20 أوت 1955، شارك في مؤتمر الصومام، استشهد في سبتمبر 1956.

ملاحظات حول المجموعة

مسألة العدد

حسب السيد محمد مشاطي يكون « العدد الـ 22 ناتجا عن خطإٍ للكاتب الفرنسي إيف كورييز الذي يعد من الأوائل الذين تناولوا الموضوع بشكل روائي

قصصي بأسلوب محقق صحفي يحظى بثقة الجيش الفرنسي، لقد ذكر 22 عضوا بما فيهم الحاج بن علة (توفي سنة 2009) الذي تغيب في آخر لحظة عن الاجتماع لأسباب قاهرة أو صاحب البيت الذي احتضن الاجتماع بحي المرادية السيد إلياس دريش، هذا الأخير كان ضمن شبكة الدعم دوره بالمناسبة تلخص في فتح مسكنه لاحتضان اللقاء، كان تحت مسؤولية الزوبير بوعجاج الذي يشهد بأنه لم يحضر الاجتماع[24] ». هذه الرواية يدعمها عمار بن عودة وكثير من المؤرخين.

موقف جماعة قسنيطنة

يبدو أن جماعة قسنطينة (حباشي، ملاح، بوعلي، مشاطي) قد اعترضت على مبدأ تعيين المنسق الوطني المنتخب من طرف مجموعة الـ 21 لبقية أعضاء القيادة خشية تنصيب رابح بيطاط ممثلا لقسنطينة في الأمانة الوطنية. كانت الجماعة ترى في عبد الرحمن قراص المسؤول السابق للمنظمة الخاصة في قسنطينة أو السعيد بوعلي أو سليمان ملاح الشخصيات الأقدر على أداء المهمة.

هذا الإشكال دفع بالمجموعة إلى عقد اجتماع بقسنطينة حضره حباشي، قراص، بوعلي، حداد، حجاج، بن طوبال وغيرهم طرحوا فيه قضية الإمكانيات والشروط اللازم توفيرها قبل البدء في العمل المسلح.

هذا الموقف يكون قد دفع بالقيادة الوطنية إلى تعيين ديدوش مراد مسؤولا عن المنطقة الثانية وتحويل رابح بيطاط إلى قيادة المنطقة الرابعة.

عند اندلاع الثورة لم يتأخر عناصر المجموعة في الانضمام إلى صفوف جيش التحرير، البعض منهم استشهد بصفة جندي بسيط كالسعيد بوعلي وبشير حجاج. هذا الأخير يعتبر من الأبطال الذين ظلمهم التاريخ. ألقي القبض على الشهيد بشير حجاج بن الشريف في الخروب على إثر عملية تمشيط بالعارية، نشرت صورته على صفحات جريدة *La Dépêche de Constantine* يوم 1954/12/09، وقد تعرض لتعذيب وحشي لم يتحمله، حكم عليه بالإعدام الذي نفذ فيه بالمقصلة في ساحة سجن الكدية رفقة الشهيد سعادة محمد يوم 2 فيفري 1957.

(24 Mohamed Mechati, *Si le peuple était aussi près qu'en 1954*, Propos recueillis par K. Guemouze, *Le Soir d'Algérie*, 20 mai 2009.

قصة بن بولعيد مع مسألة انتخاب القيادة

من المسلمات التاريخية أن أصحاب المبادة الثورية لم يكن أبدا في نيتهم تزعم هذه الحركة، بعد فشلهم في جر أقطاب الحزب سوى من المصاليين أو المركزيين تحتم عليهم أن يهيكلوا أنفسهم وأن يدخلوا المعركة دون وجوه معروفة على الصعيدين الشعبي والإعلامي.

من المعروف أن مصطفى بن بولعيد قد رجع له شرف ترؤس الاجتماع التأسيسي لمجموعة الـ 21، بحكم تمتعه بثقة واحترام الجميع وخاصة بحكم دوره المحوري في لم شمل المجموعة. يعود له الفضل في إنجاح اللقاء في دورته الأولى رغم حساسية وصعوبة النقاط المدرجة في جدول أعماله وحدة النقاشات حول المسائل المطروحة :

– استخلاص الدروس من تجربة المنظمة الخاصة.
– مناقشة تطورات وتداعيات أزمة حزب الشعب.
– تقييم التحضيرات للثورة.
– انتخاب القيادة.

لما حسمت مسألة تفجير الثورة بالاعتماد على الإمكانيات الذاتية المتوفرة دون الانتظار كان على المجتمعين انتخاب منسق يختار بدوره قادة المناطق ويضمن الربط مع الوفد الخارجي.

في هذا الشأن تتباين الروايات، لذا سنعتمد على شهادة محمد بوضياف (معني بموضوع الانتخاب) وبن عودة مصطفى عمار ومحمد مشاطي وعبد السلام حباشي (حاضرون، ناخبون وشهود عيان) وشهادة العقيد الطاهر زبيري رفيق بن بولعيد في السجن[25].

25) الطاهر الزبيري، استجواب لجريدة الأحداث، 2007/11/27.

– بن عودة عمار، محمد عباس، ثوار... عظماء، مرجع مذكور سابقا.

– اعتراف محمد مشاطي في كتاب :

Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962), op. cit.,* p. 104.

– عبد السلام حباشي، محمد عباس، كواليس التاريخ، الخبر، 15 ماي 2008.

– محمد بوضياف، الجريدة، عدد نوفمبر/ ديسمبر، 1974، العدد 15، التحضير للأول نوفمبر.

– عيسى بوضياف، رفيق محمد وأخيه، تصريح للشروق اليومي، 29 جوان 2009.

تم الاتفاق على انتخاب منسق يكون من بين الأكبر سنا، وبما أن محمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد هما الأكبر سنا تقرر أن تجرى الانتخابات بينهما. النتيجة كانت 17 صوتا لبن بولعيد مقابل 4 لصالح بوضياف. عبد السلام حباشي يقول : « **إن فوز بوضياف وبن بولعيد كان حاصلا مهما كانت طريقة التصويت. فقد كانا متفوقين علينا في كل شيء وكنا نرى فيهما المثل والقدوة في نفس الوقت...** » غير أن الشاهد فضل مع ذلك التصويت على بن بولعيد على غرار مشاطي. بوضياف يروي كيفية أخرى، وحسبه، فإن تعيين المسؤول الوطني قد جرى بواسطة تصويت تحت إشراف بن بولعيد الذي كان يتمتع بثقة الجميع وكان يقوم بفرز الأصوات وإعلان النتائج وانتهى الدور الأول دون نتيجة. بعد التصويت الثاني عاد بن بولعيد وصرح بأن النتيجة حصلت دون أن يقدم أي توضيح وانتهت الجلسة وأعلن بن بولعيد في نفس اليوم لبوضياف بأنه هو الذي انتخب وأعطاه أوراق التصويت التي يحتفظ بها.

المهم في الموضوع أن بن بولعيد الذي كان يرأس الاجتماع هو من أعلن فوز بوضياف. بوضياف يختار معه في القيادة بن بولعيد وديدوش وبن مهيدي وبيطاط.

يبدو أن اتفاقا مسبقا حصل بين الشخصيات الخمسة التي مثلت النواة الصلبة في المجموعة والمبادرة لعقد الاجتماع أصلا. بن بولعيد لم يكن ينوي التخلي على دوره في الأوراس القاعدة الحيوية لإنجاح مشروع الثورة، بوضياف من الناحية الصحية لا يمكنه تولي قيادة ميدانية بالإضافة إلى تكوينه السياسي العالي وخبرته التنظيمية وصرامته، عوامل رشحته لتولي دور المنسق.

كانت النواة الصلبة تعي حدود شعبيتها وتأثيرها على الرأي العام بحكم نشاطها المتخفي وميلها إلى العمل الميداني السري تحت أسماء مستعارة، كما كانت تعي الدخول في الثورة تحت يافطة شخصية معروفة على الأقل لدى المناضلين. أولى المحاولات كانت مع الدكتور لمين دباغين، المناضل المعروف بمواقفه الراديكالية، المؤمن بالعمل المسلح كأداة للتحرير. منذ عزله من قيادة حزب الشعب في ديسمبر 1949 بقي الدكتور دباغين يحافظ على سمعة طيبة لدى إطارات المنظمة الخاصة الذين اعتبروه ضحية – مثلهم – لحسابات المعتدلين والمهادنين في الحزب. لما تم الاتصال به في هذا الشأن عبر عن بعض التحفظ على نجاح مشروع الانتفاضة التي رأى أنها غير ممكنة إلا في الأوراس وجرجرة.

هذا التقدير اعتبره أصحاب بن بولعيد تثبيطا للعزائم ومحاولة أخرى لتأجيل ثورة أصبح من غير الممكن تأجيلها بالنظر إلى المعطيات الخاصة بهم. روايات أخرى تتحدث عن اتصالات غير مثمرة كذلك مع السيدين العربي دماغ العتروس وعبد الحميد مهري[26]. يقول ناصر بوضياف ابن محمد بوضياف : « **... توجه محمد بوضياف رفقة بن بولعيد وكريم إلى العلمة، للطلب من دباغين الالتحاق بالثورة وكان موافقا رغم استفساراته الكثيرة حول الإمكانيات للقيام بالثورة، لكن بعد لقائه في العاصمة رفقة الحواس بوقادوم، والكابتن سعيدي أعلن عن رفضه الانضمام إلى المجموعة متحججا بأن الوقت غير مناسب، تكرر نفس الموقف مع كل من عبد الحميد مهري ودماغ العتروس وقاسم مولود وبعض أعضاء من جمعية العلماء، كل هؤلاء رفضوا الانضمام إلى الثورة ومجموعة الستة**[27] ».

تشاء الأقدار أن تندلع الثورة دون شخصية معروفة جماهيريا. لم يكن لمهندسيها شعبية كبيرة لكن كانوا معروفين لدى الأجهزة الأمنية الفرنسية ضمن لوائح المطلوبين لديها تحت أسماء حركية.

التقسيم الإقليمي والهيكلة التنظيمية

المنطقة الأولى	الأوراس النمامشة
المسؤول	مصطفى بن بولعيد
النواب	بشير شيهاني – عاجل عجول – عباس لغرور

المنطقة الثانية	الشمال القسنطيني
المسؤول	مراد ديدوش
النواب	زيغود يوسف – بن طوبال لخضر – بن عودة مصطفى عمار

26) Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962), op. cit.,* p. 122.

27) تصريح ناصر بوضياف، جريدة الخبر، 3 نوفمبر 2009، ص 24.

المنطقة الثالثة	القبائل
المسؤول	كريم بلقاسم
النواب	أعمران عمار – محمدي السعيد – زعموم محمد المدعو سي صالح

المنطقة الرابعة	المتيجة (الوسط)
المسؤول	رابح بيطاط
النواب	سويداني بوجمعة – بوشعيب أحمد – بوعجاج الزوبير

المنطقة الخامسة	القطاع الوهراني
المسؤول	بن مهيدي محمد العربي
النواب	بوصوف عبد الحفيظ – الحاج بن علة – بن عبد المالك رمضان– فرطاس محمد

الوفد الخارجي	القاهرة
النواب	بن بلة أحمد – آيت أحمد حسين – خيضر محمد

المنسق الوطني	محمد بوضياف

قصة الإمكانيات الأولية للثورة

من القضايا التي لم تلق حقها في الدراسات التاريخية رغم أهميتها مسألة التحضيرات المادية للثورة. كان على المبادرين بقيام الانتفاضة مواجهة معضلتين حقيقيتين.

التمويل

كانت الإمكانيات المالية المتوفرة عشية أول نوفمبر 1954 تكاد تكون منعدمة. بعض المعطيات تسمح لنا بجرد ما كان متوفرا :

سمح تعامل بوضياف وبن بولعيد مع المركزيين في إطار اللجنة الثورية للوحدة والعمل باستخدام جزء ضئيل من موارد الحزب في تغطية نفقات الأسفار والاتصالات والمصاريف المادية. حسب الزوبير بوعجاج منح حسين لحول لمحمد بوضياف خمسمائة ألف فرنك قديم من أموال الحزب، بن بولعيد من جهته قام برهن جزء من ممتلكاته، ديدوش يكون قد وظف إرثا عائليا، بن علة قام بجمع تبرعات في الظهرة بلغت حوالي مليون وخمسمائة ألف فرنك فرنسي قديم، كريم استخدم اشتراكات المناضلين في منطقة القبائل. شح المصادر المالية دفع بالمنخرطين في المبادرة إلى استغلال كل ما أمكن من موارد خاصة[28]. **انطلقت الثورة إذن بميزانية فارغة.**

التسليح

هنا بيت القصيد. لا يمكن تصور مشروع نجاح ثورة مسلحة دون ضمان الحد الأدنى من السلاح والذخيرة. تلكؤ قيادة الحزب في ما يتعلق بمصير المنظمة الخاصة وتداعيات مجازر 8 ماي 1945 ضيعا على الوطنيين فرصة ذهبية لجمع بقايا سلاح الحرب العالمية الثانية، تفكيك المنظمة الخاصة وحلها قضى على حظوظ تكوين ترسانة حربية.

المخزون الذي استطاع نشطاء التنظيم السري المحافظة عليه كان موجودا في الأوراس، جرجرة، الجزائر العاصمة، الأصنام (الشلف حاليا)، السمندو والأغواط.

– مخزون الأغواط تم اكتشافه من طرف البوليس الفرنسي، بعض المصادر تتحدث عن وشاية وأخرى تتحدث عن الصدفة.

– مخزون جرجرة كان في عهدة المصاليين.

– مخزون الأصنام ضاع مع المؤتمنين عليه في زلزال سبتمبر 1954.

تمثلت « الترسانة الحربية » الجاهزة في مخزون الأوراس والسمندو والجزائر العاصمة. مخزون الأوراس كان الأكثر أهمية بحوالي 300 قطعة سلاح، 90 منها كانت مخبأة في مطامير بأولاد موسى (6 كيلومترات قرب أريس على الطريق الوطني الرابط بين بسكرة وباتنة) جزء منها سلم للقبائل والشمال القسنطيني والربع أصبح غير صالح بفعل عوامل الزمن.

28) محمد حربي، 1954 تبدأ الحرب بالجزائر، مرجع مذكور سابقا، ص 68.
إيف كوريير، أبناء لاتوسان، ص 240.

لم يتحصل تيار المبادرة الوطنية على أي مساعدة أجنبية قبل أول نوفمبر. عبد الناصر الزعيم المصري يكون قد اشترط المساعدة ببدء العمل، الثوار المغاربة في جبال الريف والتونسيين كانت إمكانياتهم قليلة ومحدودة.

هذا النقص الفادح حتم على المسؤولين جرد قطع السلاح التي يحوزها المناضلون أنفسهم وكذا طلب مساعدة المواطنين الذين يملكون في أحسن الأحوال بنادق للصيد.

لتعويض العجز انصب الاهتمام على صنع المتفجرات حيث نشط بن بولعيد تربصا في خرايسية في ضيعة المناضل قدور الطويل لمدة 24 ساعة، ومن بين الذين حضروه بوصوف، بن عبد المالك، بن علة، بوعجاج، مرزوقي، ديدوش، بيطاط، سويداني.

حسب شهادة الحاج إبراهيم حليمي[29] كان بن بولعيد يشرف على صناعة المتفجرات بفم الطوب منذ مدة مستغلا ما توفر من مواد لدى معارفه.

في يوم 16 مارس 1953 وقع انفجار في محل الأخوين مشلق في وسط مدينة باتنة (أمام نادي الضباط) بسبب خطإٍ في التعامل مع المتفجرات. الحصيلة قتيل و3 جرحى وتهديم محلين مجاورين مكتبة ومجوهراتي. تم إلقاء القبض على صاحبَي المحل اللذين لم يورطا بن بولعيد وادعيا أن الأمر يتعلق بانفجار بارود موجه للأعراس. احترازيا اختفى بن بولعيد عن الأنظار في حين قام المناضلون بشراء ذمة محافظ الشرطة لتطويق القضية وتمييع التحقيق وإبقاء الحادثة في دائرة المتاجرة غير الشرعية بمادة البارود الموجه للأعراس.

عشية الثورة قام بن بولعيد شخصيا بتسليم قنابل جاهزة للاستعمال مستخدما سيارته، 8 في عين مليلة و8 في الخروب و7 بنادق في عين كرشة.

باستغلال الشهادات والدراسات المتوفرة ومعلومات الصحافة وتقارير الشرطة والدرك الفرنسيين ولوائح الإدانة في المحاكمات اللاحقة يمكن الجزم بأن ترسانة الثورة عند انطلاقها لم تتجاوز 500 قطعة سلاح صالح للاستعمال بما فيها بنادق الصيد و120 قنبلة تقليدية الصنع.

دون شك لم يمر على القارئ الكريم في هاتين النقطتين الجوهرتين الدور المحوري لمصطفى بن بولعيد الممول للثورة بماله الخاص، الحارس لأهم مخزون سلاح، الصانع والمكون على صنع المتفجرات والموزع للسلاح والقنابل.

29) جريدة الوطن، بتاريخ 2005/08/25.

الترتيبات الأولية

طبيعة العمليات والأهداف المرصودة

تركت مهمة اختيار الأهداف وتحديدها للقادة الميدانيين، والتي لا يمكن اعتبارها أعمالا إرهابية مثلما جاء في وصفها من طرف الإدارة الاستعمارية. أفواج المجاهدين اعتبرت أنوية قاعدية لبناء جيش تحرير وطني يقاتل من أجل تحقيق هدف سياسي بامتياز، الاستقلال الوطني. من هذا المنطلق حددت الأهداف الملموسة في الواقع على أساس معايير واضحة :

- الهجوم على ثكنات الجيش ومراكز الشرطة والدرك لغنم السلاح والذخيرة.
- قطع الاتصالات السلكية وطرق المواصلات لخلق حالة من الارتباك في أوساط المعمرين وشل عمل الإدارة.
- استهداف أعوان الاستعمار لعزلهم عن الجزائريين.
- استهداف القوى القمعية ورموزها للجم جبروتها وكسب هيبة الثوار لدى المواطنين.
- استهداف مصالح المستغلين الكبار والمؤسسات الاستعمارية لتبيين الأبعاد الإيديولوجية للثورة.

مدونات السلوك الأخلاقية

أهمل الكثير من المؤرخين عن قصد أو بدونه الالتزامات الأخلاقية والموانع والحدود الحمراء التي لا يجب تجاوزها. عشية الثورة تلخصت التعليمات التي أعطيت للمجاهدين فيما يلي :

- عدم المساس بالمدنيين.
- احترام أماكن العبادة.
- تبني الانتماء لجبهة التحرير الوطني والجهر به والمطالبة في حالة الأسر بالمحاكمة على أساس اتفاقيات جنيف المتعلقة بأسرى الحرب.
- الانفتاح على الأقلية الأوروبية والطائفة اليهودية والوجهاء والمنتسبين لتيارات الحركة الوطنية من أجل شرح وتوضيح أهداف الكفاح المسلح.

التحضيرات بين السرعة والتسرع

يبدو للوهلة الأولى أن التحضير المادي للثورة بدأ بعد فشل المساعي الرامية لتوحيد حركة الانتصار، ولكن الحقيقة غير ذلك تماما. تبرهن الوقائع على أن الرفع من جاهزية المنظمة الخاصة بدأ في صائفة سنة 1953، مساعي بن بولعيد وبوضياف لجمع الفرقاء في نزاع الحزب لم تكن تهدف سوى إلى حشد الدعم اللازم والدخول في ثورة بصفوف موحدة. كانت وتيرة الاستعدادات تزداد كلما اقتنع أنصار الحسم الثوري بأن الهوة بين المتخاصمين أصبحت أوسع. بن بولعيد وأصحابه ارتكزوا على التجربة الذاتية لعناصر المنظمة الخاصة، بضعة أشهر كانت كافية لوضع القطار على السكة. من الناحية الظرفية كان الوضع يدعو للتعجيل للاعتبارات التالية :

- المصاليون الذين كانوا على علم بالتحضيرات يرشحون أول جانفي 1955 لبداية الثورة إذا ما صدقنا تصريح أحمد مزغنة عندما اتصل به كريم بلقاسم باسم مجموعة الستة[30]، عمليا لم يقوموا بأي استعدادات تذكر في هذا الاتجاه على أرض الواقع. كل ما نعرفه في تلك الفترة عن نشاطات المصاليين التطاحن مع أنصار اللجنة المركزية. لم يكن قيامهم بإنشاء الحركة الوطنية الجزائرية MNA نتيجة نية مسبقة لتفجير الثورة، وإنما لمنافسة جبهة التحرير الوطني. في جميع الأحوال الشروع في ثورة ليس بالقرار الإداري، يقرّر تاريخه حسب الأهواء.
- المركزيون الذين تجاوزتهم أطروحات التيار الثوري محليا توجهوا للقاهرة (لحول، يزيد) لمطالبة بن بلة وأصحابه بتأجيل الإعلان عن الثورة حتى تكتمل استعدادات لم يكونوا على الإطلاق المبادرين لها. وكم تمنينا العكس.
- صحوة فرنسا من هزيمة الهند الصينية والشروع في ترتيب بيتها الداخلي من المؤكد كان سيقوي موقعها في الجزائر.
- بداية المحادثات الفرنسية – التونسية حول استقلال تونس قد يؤدي لا محالة إلى عزلة أكثر للتيار الثوري في الجزائر.

(30 Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962), op. cit.*, p. 124.

لقاءان الأول في 10 أكتوبر 1954 والثاني في 25 أكتوبر 1954 لقادة الثورة كانا كافيان لإعطاء إشارة الانطلاق.

جبهة التحرير الوطني : التسمية والشعار

رغم كونهم يمثلون مجموعة أقلية داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية أولا ثم ضمن تيارات الحركة الوطنية، فقد اختار قادة الانتفاضة أن يكون الغطاء الذي يعملون تحت ظله تنظيما جديدا ووحدويا يتجاوز التصنيفات التقليدية للعمل السياسي، منفتحا على أوسع شرائح وفئات المجتمع، مستوعبا لكافة الطاقات والكفاءات الوطنية، واضحا في أبعاده السياسية الوطنية العامة. هذه روح نوفمبر الفعلية.

- جبهة بمعنى إطار عام شامل مفتوح لكل الوطنيين مهما كان انتماؤهم السابق يكون فيه الانخراط على أساس الالتزام الفردي. تجنب قادة الثورة التكتلات الفوقية خوفا من الانقسامات وخصوصيات الهياكل الحزبية.
- تحرير بمعنى أن يحدد الهدف الأسمى من الثورة وهو الاستقلال وتشكيل الدولة الجزائرية المستقلة ذات السيادة الكاملة، وذلك قطعا لطريق أطروحات الحكم الذاتي والإصلاحات الجزئية.
- الوطني بمعنى التركيز على الطابع الوطني العام للثورة إقليميا « كامل التراب الجزائري » وبشريا « كامل فئات الشعب » وإيديولوجيا « المصلحة العامة ».

جرى حوار بين الستة خلال اجتماع 10 أكتوبر 1954. من بين مقترحات التسمية « جبهة الاستقلال الوطني » لكن بن بولعيد تدخل قائلا : « **أفضل التحرير على الاستقلال لأننا غير مستقلين وسيبدأ التحرير قريبا** » فوافق الحاضرون على التسمية التي بادر بها بوضياف وعدلها بن بولعيد[31].

مرجعية الثورة

بيان أول نوفمبر

وهو عبارة على نداء برنامج موجه أولا لكل الجزائريين والجزائريات بصفتهم معنيين بمشروع الثورة، هذا البيان يحدد أهداف جبهة التحرير الوطني في :

31) مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر، دار الطليعة، قسنطينة، 2003، ص 305.

تحقيق الاستقلال الوطني بواسطة :

1. إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية

2. احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

عند هذا الحد في سرد وتحليل حيثيات الاستعدادات للحدث العظيم، أفضل ما يصلح لرسم الصورة الرمزية ما جاء به ڤيلبرت مينييه ومحمد حربي في تقييم مصطفى بن بولعيد :

« **كان بن بولعيد مؤطرا جيدا... منفذا ميدانيا... لقد عمل بكل جسده وروحه لتحضير ثورة أول نوفمبر... ومات مستشهدا سلاحه في يده في مارس 1956. يمكن القول عنه – على غرار بقية القادة – أن نظرته للمجتمع تنبع من التجربة الملموسة والإيديولوجيا الضمنية والتصور الاجتماعي للطبقات الشعبية. على عكس نظرائه بقي بن بولعيد... مقتنعا بضرورة التكفل بالجماهير الريفية. ربما أثر فيه ذلك بصفة استعجالية أكثر من غيره** ».

بعيدا عن التصور الأكاديمي نقول بدورنا أن بن بولعيد كان المنتوج الإيجابي للجزائر العميقة، الجزائر الحقيقية.

بن بولعيد وملحمة انطلاق الثورة في الأوراس

الاستعدادات الجديـة

– في 30 أفريل 1954 يكون بن بولعيد « المجموعة القيادية الأولى » في ضيعته (لامبيز) والتي تضم عاجل عجول، طاهر نويشي، مسعود بلعڤون، عباس لغرور. يقسم الجميع على الانخراط دون رجعة في العمل المسلح حتى تحقيق الاستقلال.

– في 15 ماي 1954 تتدعم المجموعة ببشير شيحاني رئيس دائرة حركة الانتصار بباتنة وبشير حاجي من الخروب ومحمد خنترة من بريكة.

– يبدأ تشكيل الأفواج والقيام بتدريبات على استعمال السلاح وصنع المتفجرات وكيفية استخدامها وإحصاء الملاجئ بأشمول والشلية وصراع ومشونش وجمع السلاح المتوفر لدى المواطنين. في تلك الأثناء تجرى عملية سبر الآراء وجس النبض للمناضلين لاختبار جاهزيتهم للعمل المسلح ويقطع التعامل مع المصاليين وتبدأ عملية التجنيد في سرية تامة وتدرس كيفيات التعامل مع الأمن الفرنسي والاحتياط من أعوانه وطرق التصرف في حالة الوقوع في الأسر وكيفية استعمال كلمة السر.

– في 20 أكتوبر 1954 يجتمع سي مصطفى بلوقرين (جنوب الشمرة – 30 كلم شرق باتنة) في بيت عبد الله أومزتي بعجول، لغرور، نويشي، حاجي، خنترة، شيحاني . . . هذا اللقاء يعد نقطة اللاعودة ويبدأ العد العكسي للقيام بالثورة، يعلم القادة الميدانيون بالتاريخ المقرر، تقسم الأفواج (مجاهدا في كل فوج)، تتم المصادقة على قائمة الأهداف التي رصدت (30 هدفا).

يتيقن الجميع بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم عندما أخبرهم بن بولعيد – حسب شهادة مصطفى بوستة – بأن قيادة الثورة تعقد آمالا كبرى على المنطقة الأولى في تفجير الثورة وتغذيتها ريثما تلتحق بقية المناطق الأخرى بالركب وأنها تنتظر منا الصمود ستة أشهر وأن بن بولعيد قد وعد بالصمود 18 شهرا[32].

الأهداف المرصودة

تقرر جمع الثوار يوم السبت السابق بليلتين ليوم أول نوفمبر 1954 في مكانين مختلفين.

- خنقة معاش : 7 كيلومترات غرب فم الطوب بتعداد 60 مجاهدا تحت مسؤولية الطاهر نويشي.
- تقزة : قرب أريس بتعداد 200 مجاهد تحت مسؤولية بن بولعيد شخصيا.

عند تجمع الثوار يتم توزيع السلاح حسب أهمية وطبيعة العمليات المسندة لكل فوج، كما وزعت الألبسة العسكرية لأن بن بولعيد كان مصرا على أن يظهر جيش التحرير الوطني للوجود بزي رسمي وببذلة مميزة. وتتشكل الأفواج على النحو التالي :

- فوج مشونش، حسن برحايل وسليماني. 3 أهداف والوجهة بسكرة، طولقة وسيدي عقبة.
- دوار أوماش، تتكفل به مجموعة من المحاربين الشيوعيين. من المفيد توضيح هذه النقطة.

كان المناضلون الأوراسيون من الحزب الشيوعي الجزائري مثل محمد غروف وموريس لابان والعمراني مع الثورة على عكس رأي حزبهم. حسب الكاتب جان كولد إينودي يكون بن بولعيد قد أطلع بعض عناصر الحزب الشيوعي على مشروع الثورة ولاسيما شباح مكي الذي اقترح عليه قيادة العمليات في سيدي عقبة. هذا الأخير يعتذر لأنه يعلم أنه مراقب من طرف البوليس الفرنسي وأن سنه المتقدمة لا تسمح له بذلك. كما أن موريس لابان كان يقوم بصنع المتفجرات لصالح الثورة خلسة عن رفاقه. من الواجب التذكير بأن بن بولعيد قد التقى يوم 4 نوفمبر 1954 بمحمد غروف والعيد العمراني بأولاد سي عمران واقترح عليهم

32) محمد عباس، ثوار... عظماء، مرجع سابق، ص 48.

الانضمام الفردي تحت راية جبهة التحرير. في سنة 1955 التحق العديد من الشيوعيين بصفوف الثورة مثل العيد العمراني وجورج رافيني وأنطوان مارتنيز والدكتور كوريون وورولان سيميون وعبد القادر بلخوجة...

ـ مجموعة كيمل :

محمد العابد، الوجهة : زريبة الوادي ودرمون

مسعود زحاف : برقة

عبد الوهاب عثماني : توعية المواطنين في كيمل وتازموت والهجوم على مركز الدرك في تبرقدة.

ـ مجموعة عبد الحميد السوفي : خنقة سيدي ناجي والولجة.

ـ بولعراس : توعية المواطنين في لمسارة وطامزة.

ـ كيلاني والناصر : الهجوم على قايس.

ـ عباس لغرور : الهجوم على خنشلة بمساعدة فوج من المناضلين من داخل المدينة وفوج عمار معاش.

ـ منطقة زلاطو :

مكي عاشوري : تاكوت.

محمد صايعي : تاغيت.

بلقاسم مزياني : لقصر.

مصطفى جوغالي : إنوغيسن.

ـ منطقة أشمول :

علي بن شعيبة ومسعود بن عيسى : المنجم ومكتب الضرائب.

العياشي باطسي : تفخيخ جسور بين أريس وباتنة.

علي بن عزة : توزيع مناشير ومراقبة الطريق بين باتنة وأريس.

ـ أريس :

أحمد نواورة : الجسر، مكتب البلدية، مركز الدرك، حافلة.

أريس – باتنة.

ـ بريكة :

الشريف سليماني، الصادق بن دليخة، منصور جوغالي.

ـ عين توتة :

إسماعيل كشرود.

ـ باتنة :

مصطفى بن بولعيد بثلاث مجموعات و60 جنديا مع علي بعزي، محمد الشريف بن عكشة، طاهر نويشي، بلقاسم قرين، الحاج لخضر عبيدي (محطة البنزين ومخزن البارود)،

ـ الشمرة، فم الطوب، المعذر، عين ياقوت، توفانة وبولفرايس :

مجموعة الطاهر نويشي.

ـ لخروب وعين مليلة :

بشير حاجي وحاج موسى.

الاستعدادات والتحدي الأمني

يتصور الكثير من المؤرخين بأن إخفاء علم الأمن الفرنسي ببعض تحركات الثوار عشية الفاتح من نوفمبر من شأنه أن يزيد من عظمة هؤلاء لأنهم نجحوا في كتمان سر الاستعدادات. إظهار كل الحقيقة في هذا الجانب يعلى ويزيد من قيمة بن بولعيد ورفاقه لأنهم نجحوا في تجسيد المشروع وهم تحت الرقابة المشددة، مما تطلب جهودا إضافية لتجاوز تعقيدات ومضايقات كان بإمكانها أن تؤدي إلى إجهاض المبادرة الثورية قبل ولادتها. أول نوفمبر 1954 في الأوراس وغيره لم يكن ثورة أشباح بل إنجازا بشريا خارقا للعادة وفقا لكل المعايير الأمنية والاستخباراتية، تقف من وراءه أسطورة تدعى بن بولعيد مصطفى. وإليكم الحقيقة.

عيون المخابرات

يقول المسؤول الأول عن الأمن في الجزائر المستعمرة في ذلك الوقت السيد جان فوجور مدير أمن الإقليم DST : « **منذ صائفة 1953 كنت مطلعا على ملف "المنظمة الخاصة" وأملك معلومات دقيقة زودتني بها المخابرات الفرنسية عن نشاط بن بلة وأصحابه في القاهرة العاصمة المصرية. عندها قمت بسفريات للمغرب وتونس لتبادل المعلومات مع نظرائي في الأمن، فهمت بأن الحركة كانت عميقة مع امتدادات دولية. عند العودة إلى الجزائر حررت تقريرا للجهات العليا في فرنسا تحت عنوان "مجموعات شمال إفريقيا" يحتوي التقرير على معلومات حول مراكز التدريب الخاصة بالمغاربة والتونسيين والجزائريين في ليبيا ومصر، ضمنته المواقع وعدد**

الأفراد ونوعية التكوين وطبيعة الأسلحة وشبكات ومسالك العودة للجزائر والمغرب. التقرير مؤرخ في مارس 1954، أرسلت 50 نسخة منه إلى المعنيين (حكومة، مصالح أمن...) طلبت تأكيد أو نفي المعلومات الواردة فيه. لكني لم أتلق الرد[33] ».

وعن موضوع « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » CRUA يضيف السيد جان فوجور : « **أنشأها بوضياف. علم العقيد شوان مسؤول قسم اتصالات شمال إفريقيا SLNA (المخابرات العسكرية) بالأمر فورا. لقد بلغني بذلك كما قام بإعلام الحاكم العام والاستعلامات العامة (الشرطة) ومديرية أمن الإقليم DST من خلال النشرة الأمنية السرية. كان العقيد شوان يعتقد بأن المبادرة تعود لحسين لحول خصم مصالي الحاج، لكني فهمت بأن اللجنة الثورية للوحدة والعمل ماهي إلا محاولة لإعادة تشكيل "المنظمة الخاصة" من طرف المنشقين. منذ شهر ماي تمكنا من تحديد هوية أغلب عناصر مجموعة "التسعة التاريخيين" لكننا بالمقابل لم نعلم باجتماع مجموعة الـ 22 إلا متأخرين** ».

هذه المعلومات تستوجب توضيح نقاط هامة :

1. الاختلاف في تحديد هوية صاحب المبادرة في إنشاء « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » (بوضياف أو لحول) هو اختلاف أساسي في تصور الأجهزة الأمنية الفرنسية في ذلك الوقت. مما يعطي الدليل على هشاشة المعلومات التي تحصلت عليها ويبين الصعوبة التي وجدتها في اختراق المجموعة.
2. ربما تكون المخابرات الفرنسية – وهذا عملها – قد نجحت في تسميم المحيط المباشر لمصالي الحاج وتزويده بمعلومات مفادها أن لحول حسين هو العقل المدبر للجنة الثورية مما يفسر الحساسية المفرطة لمصالي تجاهها.
3. نشتم من استجواب السيد جان فوجور سنة 1994 رائحة تبرير التصورات السابقة. ففي أحد تقاريره المرفوعة لسلطات بلاده عشية الثورة يقول : « **إذا لم نحترس فإن المجموعة الصغيرة للنشطاء التي تقود نشاطا سريا جديدا والتي – أؤكد على ذلك – لا تنشط في إطار الحزب التقليدي**

33) استجواب لـ : جان فوجور، صحيفة لكسبريسيون، 1994/10/27.

لمصالي، ستحاول إلهاب الجزائر على ضوء الأحداث الإرهابية المجاورة (الإشارة هنا لأعمال الثوار التونسيين خلال ربيع – صيف 1954) ستكون موجعة، عنيفة وعامة من الممكن أن تضعنا في وضعية صعبة إذا لم نجد الوسائل لمواجهتها أينما اندلعت وفي نفس الوقت... نحن على مشارف عمليات أو من الممكن انتفاضات في مناطق يتواجد فيها الخارجون عن القانون منذ مدة[34] ».

4. إسراع الحكومة الفرنسية إلى اتهام عناصر الخارجية ومصر بالوقوف وراء أحداث 1 نوفمبر 1954.

لنعد إلى السيد فوجور : « **سافرت إلى باريس خلال شهر أوت (1954) لإبلاغ المسؤولين بما نملكه من معطيات. عند العودة إلى الجزائر جاءتنا معلومات من مخبر في القصبة على ضوئها رفع هنري كوييل تقريرا رسميا مستعجلا لرئيس المجلس الرئاسي فحواه : "يتم التحضير لانتفاضة حقيقية في الأسابيع أو الأشهر القادمة، الانفصاليون سيباشرون العصيان بعد شهر" ».**

تاريخ التقرير كان يوم 25 سبتمبر، جان فوجور يتوقع بناء على معلوماته قيام الثورة يوم 25 أكتوبر 1954. ضمن هذه التخوفات يتم استدعاء حاكم أريس إلى العاصمة لاستفساره حول الوضع – حسب الصحفي سرج برومبرغ من جريدة ليفغارو الفرنسية يصرح الحاكم : « **لا أظن أن هناك استعدادات، كل شيء هادئ حاليا » (أكتوبر 1954).**

في سياق متصل يضيف السيد فوجور : « **وفي بداية أكتوبر وصلنا تقرير لرئيس الاستعلامات العامة في الجزائر المحافظ كورتاس يفيد بأن مخبرا من القصبة وهو أحد قدماء صناع المتفجرات قد طلب منه صنع متفجرات[35] ».**

المخبر لم يكن سوى المدعو بلحاج الجيلالي – ضابط سابق في شرشال – كان مسؤولا عن التدريب في « المنظمة الخاصة » ضمن قيادتها الأولى. عند الهجوم على بريد وهران سنة 1950، رفض مساعدة بن بلة في شحن الأموال المسروقة والسلاح مما تسبب في توريط محمد خيضر دون علمه. في أفريل 1950 تم إلقاء القبض على بلحاج الجيلالي من طرف الشرطة، اعترف دون مقاومة وأفشى السر مما

34) Pierre Montagnon, *Histoire de l'Algérie, des origines à nos jours*, Edition Pygmalion, Paris, 1998, p. 262.

35) استجواب لـ : جان فوجور، صحيفة لكسبريسيون، 1994/10/27.

أدى إلى اعتقال بن بلة نفسه. خلال المحاكمة تحول إلى شاهد ضد رفاقه. صدر في حقه نتيجة تعاونه مع المحققين حكم مخفف بـ3 سنوات سجنا، صار بعد ذلك عميلا للأمن الفرنسي مكلفا بالتجسس على أعضاء « اللجنة الثورية » وأخيرا نجده ضد جيش التحرير الوطني إبان الثورة تحت اسم كوبيس[36] وهذه حكاية أخرى.

هذه واحدة من الأخطاء الفادحة، عدم الاحتياط من شخص مشبوه بسبب ماضيه كان خطرا كبيرا على المبادرة الثورية.

في باب الوشايات تشير بعض المصادر إلى ضعف المناضل الشيوعي مانويل الفاريز وهو من عمال سكك الحديد بالعاصمة ومن صناع المتفجرات. بسبب خوفه تخاذل وأبلغ الشرطة بما طلب منه[37].

وزير الداخلية فرنسوا ميتيران أحيط بكل هذه المعطيات عندما قام بزيارة مطولة للجزائر ما بين 15 و23 أكتوبر 1954 لمعاينة مخلفات زلزال الشلف (الأصنام).

عيون المخابرات في الأوراس

في حدود الـ 25 أكتوبر، يقول جان فوجور : « **أبلغني أحد محافظي الشرطة في القطاع القسنطيني بأن حوالي 300 مسلح يجوبون جبال الأوراس** ». نشكك كثيرا في مصداقية هذه الرواية لأن عملية جمع المجاهدين لم تتم كما ذكرنا سابقا إلا يوم 29 أكتوبر 1954. المجموعة الوحيدة التي تمركزت في مواقعها مسبقا ابتداء من 25 أكتوبر هي مجموعة محمد الشريف سليماني، الصادق بن دليخة ومنصور جوغالي مع 6 عناصر في بريكة[38] والرقم المصرح به لا يمكن أن يصل إلى هذا العدد، ربما يتعلق الأمر بالمجموعات التونسية التي تنشط في مناطق الحدود. والمحدودة العدد أيضا.

يروي السيد فوجور : « **في 29 أكتوبر جمعت في مقر عمالة قسنطينة المسؤولين المحليين الذين أكدوا أنه لو كان الأمر صحيحا (أمر التحضيرات) لكنا قد عرفنا ذلك، باستثناء حاكم أريس الذي أسر لي (على انفراد) بعد الاجتماع بأن أحد القياد في المنطقة اقترح عليه مخطط الانتفاضة مقابل مليون فرنك لكنه لم يصدق صاحب العرض، طلبت من حاكم أريس أن يتدبر لقاء مع الواشي لتسليم المخطط مقابل المبلغ المطلوب، على أن يكون مكان**

(36 M'hamed Yousfi, *L'Algérie en marche, op. cit.,* p. 107

(37 Pierre Montagnon, *op. cit.*, p. 262

(38 Mohamed Larbi Madaci, *Les tamiseurs de sable,* Editions ANEP, Alger, 2001, p 19

التسليم محطة الآغا بالعاصمة يوم 2 نوفمبر 1954 ». افتراءات من نسج خيال شخصية ترعرعت في كواليس العمل الاستخباراتي أم حقائق لا تجد من يؤكدها أو ينفيها والحكم للقارئ.

من جهته يعترف جان دولابلانك رئيس دائرة باتنة – العائد من قسنطينة – بأن الوالي بيير دوبيش كان قد أطلعه على وثائق سلمها جان فوجور تجزم بأن « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » CRUA ستفجر عملا « إرهابيا » متزامنا عبر كامل إقليم الجزائر وخاصة منطقة الأوراس النمامشة، وهذه العمليات ستبدأ في الواحد إلى الثاني من نوفمبر 1954.

هذه الحيثيات تساهم في رسم الأجواء التي تحرك فيها بن بولعيد. لا نتردد في الجزم بأنه يستحيل على أي شخص آخر غيره أن ينجح في مثل هذه الظروف الملغمة من كل جهة لولا اعتقاده وإيمانه بشعب جاهز لمواجهة مصيره دون تردد. لنتأمل شهادة جان ماينيني المجند في الأوراس في تلك الفترة :

« **خلال شهر أوت 1954، أمرنا العقيد بالخروج في جبال الأوراس للتعرف على المنطقة، ذات مساء عند مخرج قرية أريس نزل على شاحنتنا وابل من الحجارة وكان العرب يصرخون في وجوهنا**[39] ».

ليلة 31 أكتوبر 1954. مكتب السيد فوجور – الجزائر –

كان الجو معتدلا على غير العادة في أمسية 1954/10/31، كان الشرطي الأول في الجزائر الساهر على أمن المستعمرة في مكتبه يتأمل في شكل أسطوانة سميكة من الحديد المصقول تقليديا مزودة بفتيل. إنها قنبلة تقليدية جاء بها على جناح السرعة محافظ شرطة من وهران. جان فوجور يعرف أنها صنعت في الجزائر العاصمة لكن وجودها على بعد 400 كيلومتر في الغرب ينذر بأن شيئا مهما وخطيرا يحضر على نطاق واسع[40]. عند حدود الساعة الحادية عشرة ليلا يعود إلى بيته. بعد ساعة ستنفجر ثورة على يد حفنة من الرجال وتبدأ حرب طويلة ستدوم أكثر من 7 سنوات.

(39 In Patrick Rotman, Bertrand Tavernier, *La guerre sans nom. Les appelés d'Algérie 1954-1962,* Editions Seuil, Paris, 2001, p. 20

(40 Daniel Junqua, « La Toussaint rouge », Le Monde, 2 november 1974. Eveno (Patrick) et Planchais (Jean) : *Dossier et témoignages, La guerre d'Algérie,* Edition La Dècouverte et journal le monde, Paris, 1989, p. 70.

بن بولعيد وساعة الحقيقة

يوميات ملحمة

دشرة ولاد موسى – 10 كيلومتر شرق أريس
29 أكتوبر 1954 – ضيعة علي بن شايبة

كان من المقرر أن يتم التجمع الهجومي الأول في تيقرة شرق مدينة في مكان غابي آمن ومحصن، لكن صاحب الدار اعتذر في آخر لحظة. علي بن شايبة المكلف بالتحضيرات لم يجد من حل سوى استضافة الحشد في بيته العائلي بدشرة ولاد موسى ويستقبل حوالي 300 جندي التحقوا بالمكان البديل على شكل أفواج صغيرة.

السبت 30 أكتوبر مساء
بن بولعيد يحل بالمكان – اللقاء الحاسم –

يجتمع المجاهدون ويخطب فيهم بن بولعيد : « **سنبدأ حرب التحرير، معركتنا هي الكفاح بين القوي والضعيف، قوتنا تكمن في إيماننا وفي الربط بين المجموعات حتى لو كانت بعيدة. الدماء التي سنقدمها ستوحد بيننا، سنجبر العدو على مهاجمتنا، سنضربه دون أن نعرض أنفسنا للخطر. إذا كان الانسحاب مستحيلا، يجب أن نموت بشرف. العدو خبيث، لا يجب الثقة فيه أبدا. إذا وجدتم قلما أو حبة حلوى، احذروا يمكن أن يكون ذلك غما** ... » بن بولعيد قائد ميداني عملي لا يجيد الخطابات الحماسية، جمهوره

مقتنع بما يقوم به، يخصص كلامه للمسائل الملموسة، الاحتياطات في حالة الاشتباك مع العدو، كيفية التراجع، المواقف في حالة الأسر، كيفية استعمال كلمة السر، أهمية توعية وتعبئة المواطنين، الاعتماد على النفس، ضرورة توزيع وشرح المناشير وتبيين أهداف الثورة وواجب احترام المدنيين، السلوك الحسن والاستقامة وروح التضحية والصبر. بعد الخطاب التوجيهي شرع في تكوين الأفواج وتوزيع السلاح والذخيرة حسب طبيعة المهمات والأهداف.

الأحد 31 ديسمبر 1954 – دشرة ولاد موسى – العاشرة ليلا

كان من المقرر أن يهاجم بن بولعيد مدينة باتنة من منفذين بأربعة أفواج تحت قيادة علي بعزي تنزل من دشرة ولاد موسى لتلتقي مع مجموعة مكونة من 60 مجاهدا قادمين من خنقة معاش بقيادة كل من الطاهر نويشي وقرين بلقاسم.

لنقل الرجال طلب بن بولعيد من المدعو بوساعد تسخير شاحنته الكبيرة Wilhelm بحجة نقل حمولة من القمح، تخلف صاحب الشاحنة عن الموعد، تحتم على سي مصطفى استدعاء سائق حافلته عزوز – لقيادة شاحنة بن لحلوح 2.5 طن – المتوفرة في الجوار، الحجة هذه المرة نقل النساء لحضور عرس. بن لحلوح غير المقتنع يصر على مرافقة الشاحنة، وعندها يرد بن بولعيد : « **وبوحا، عيب عليك تركب مع النساء، الأمر يتعلق بعرس** ».

قائد واحدة من أعظم ثورات القرن العشرين، غارق في منتصف الليل في وحل مشاكل ومطبات لا يتصورها العقل، إنه واقع هذا الشعب البسيط. حقيقة رائعة لأنها متواضعة. 35 رجل يتكدسون في الشاحنة والبقية على متن سيارة بن بولعيد نفسه وسيارة إبراهيم بن شايبة.

في هذا الجو السريالي، محمد الصغير عزوي دليل المجاهدين في باتنة يصاب فجأة بوعكة صحية. لم يجد سي مصطفى من حل سوى دفع المعني بقوة داخل الشاحنة آمرا علي بعزي : « **راقبه جيدا، إذا تخاذل اقتله** » لا مجال للتقاعس، لقد ضاع الكثير من الوقت. ليطمئن على حسن سير المهمة يقرر سي مصطفى مرافقة المجاهدين حتى مدخل مدينة باتنة معرضا نفسه للخطر مباشرة.

قصة الهجوم على باتنة

تهجم مجموعة على ثكنة القناصة وتقتل الحارس. الخطة الأصلية كانت تقضي الدخول إلى الثكنة وغنم السلاح، لكن الأمور جرت بشكل مغاير. علي بن شعيب هاجم المنجم على بعد 12 كلم، وكان من المقرر شرح أهداف الثورة لـ 300 عامل جزائري والاستحواذ على المتفجرات، لكن أحد الجنود تسرع وفتح النار مبكرا مما أفسد المخطط الأولي.

من جهته لم يتمكن مسعود بن عيسى من اقتحام قباضة الضرائب والاستيلاء على الأموال واكتفى الفوج بإطلاق النار على المكان.

هذا النوع من العمليات يتطلب كومندوس مكون من عناصر محترفة مدربة تدريبا جيدا، تتمتع بقدرة عالية من المناورة، مجهزة بأسلحة هجومية مناسبة تملك معلومات ميدانية واضحة ووسائل اتصال بينية وإمكانات دعم وإسناد حقيقية داخل المدينة. شروط نجاح لا يمكن أن تتوفر إلا لدى الوحدات الخاصة في الجيوش العصرية، وما أبعد ثوار الفاتح نوفمبر على ذلك، لكن ما قاموا به يعد انتصارا عسكريا بكل المعايير.

العمليات في الأوراس

بالإضافة إلى الهجوم على باتنة لما تمثله من قيمة من الناحية الرمزية يقع الهجوم على خنشلة ويستهدف المحول الكهربائي ومنزل الحاكم وعلى الجنود، عمليات في بسكرة وأريس وتكوت وتبرقدة وولجة وأنوغيسن وتفلفال والخروب. الحصيلة المادية معتبرة والبشرية تفوق كل التوقعات.

الاثنين 1 نوفمبر 1954 – تافرنت ولاد عيشة

بعد عودته من باتنة التحق سي مصطفى بدشرة ولاد موسى في الصباح الباكر أين كانت قيادته في انتظاره (شيحاني، عجول، بوستة، مدور عزوي) ومرافقه بيشا الجودي. بعد التأكد من إخفاء آثار مرور المجاهدين بالمكان يغادره نحو تافرنت ولاد عيشة.

في تافرنت ينتظر أخبار العمليات ويشرع في تنظيم شؤون المؤونة حيث يأمر بصرف مبلغ 3000 فرنك من مجموع خزينة لا تزيد عن الـ 15000 فرنك ويشرع مع أقرب مساعديه في إعداد ترتيبات وضع آخر يعرف أنه سيكون مغايرا تماما لسابقه.

قصة حادثة « تيغينمين »

لعل الحدث المرجعي الذي التصق بالفاتح من نوفمبر 1954 يتمثل في مقتل قائد مشونش الحاج صدوق والمعلم غي مانيرو وجرح زوجته جانين، هذه الواقعة أسالت ومازالت تسيل الكثير من الحبر لدى أوساط لا يهمها سوى تسويد صورة الثورة الجزائرية وتزييف الحقائق بسبب الأحقاد الدفينة.

يحصي الأستاذ فؤاد سوفي وجود أكثر من ثمانِ روايات للحادثة، من جهتنا سنكتفي بسرد خمس شهادات ذات مصداقية عالية بهدف تبرئة ذمة قادة الثورة في الأوراس من مسؤولية هذه الحادثة. بشهادة جميع المؤرخين يكون بن بولعيد قد أعطى تعليمات صارمة بعدم المساس بسلامة المدنيين. الروايات التالية ستسمح دون شك بكشف حقائق مازالت غائبة في كثير من الكتابات التاريخية.

شهادة جانين مانيرو – الضحية الثالثة في الحادث[41] –

« ... فجأة توقفت الحافلة، المكان موحش رغم سطوع الشمس، رجال يرتدون بدلات عسكرية، مجتمعون في الطريق ويحملون أسلحة (بنادق صيد)، كان عددهم 30 ربما 50، تغطي أسفل وجوههم مناديل. فتح السائق الباب. صعد قائد المجموعة – على ما يبدو – إلى الحافلة، أشار إلينا بواسطة رشاشه بالنزول وكذلك إلى القائد الذي هبط أولا متبوعا بزوجي ثم أنا. حدث كل شيء بسرعة، لم أستوعب ماذا حصل، بعض الكلمات بالعربية... صرخ القائد في وجه المسلحين : « أنا القائد صدوق، نقيب في الجيش الفرنسي، ماذا يحدث هنا ؟ ». الشخص صاحب الرشاش يطلق النار. ثم يصرخ بدوره : « نحن معلمون لماذا تريدون إيذاءنا ؟ » طلقة ثانية تصيب ثي وتصيبني في ساقي اليسرى. كنا على حافة منحدر. غادرت الحافلة وعلى متنها جثة القائد. قبل الفرار مع بقية « الفلاقة » حاول أحدهم أن يطلق علي رصاصة الرحمة لكن الرصاصة أصابت الأرض بضعة أمتار من قفاي. لم أفهم، كنت ملطخة بالدماء لكنني لم أشعر بالألم، مزقت فستاني وربطت ساقي، كان ثي في غيبوبة، لم أستطع فعل شيء لمساعدته فقد كان مصابا في صدره. فجأة تطل علينا سيارة متجهة نحو أريس – تبين فيما بعد أنها لزوج من السياح الفرنسيين قادمة من بسكرة، لم يعط أي

(41) *La toussaint rouge des gorges de tighanimine*, *Le figaro* du 29-30 octobre

مصدر هويتهما – تضيف السيدة جانين مانيرو : كانت السيارة من نوع جيفا 4 سوداء اللون قد أخفضت سرعتها، الراكبان لم يكلفا نفسيهما عناء النزول واكتفيا بالقول أنهما سيبلغان ثم غادرا المكان بسرعة. كان جرح ساقي عميقا وبدأ الذباب يحوم حوله ... ».

كانت السيدة جانين في حالة كبيرة من الذعر بحيث لم تستوعب ما حدث لها، يبدو أن وقع الفاجعة لازمها حتى وفاتها. في أول نوفمبر 1954 لم يكن عمرها يتجاوز 21 سنة، شهادتها للصحيفة الفرنسية صدرت عشرة أيام قبل وفاتها يوم 11 ديسمبر 1994 في أوليوت بمنطقة لوفال بفرنسا أين قضت آخر أيامها. والسؤال الذي لابد منه هنا : هل كان الصحفي وفيا لكل ما قالته وهي تصارع المرض وتدلي بآخر اعترافاتها ؟

شهادة الحاج إبراهيم حليمي – سائق الحافلة[42] –

كان الحاج إبراهيم حليمي ساعة الأحداث شابا لم يبلغ الـ 18 ربيعا، هو ابن الهاشمي حليمي صاحب الحافلة وأحد رفاق بن بولعيد ومن معارف شيهاني بشير ومحمد بوضياف والعربي بن مهيدي الذين نزلوا في ضيافته خلال شهر سبتمبر 1954 في إطار التحضيرات للثورة. الشاهد صار أثناء الكفاح المسلح ضابطا في صفوف جيش التحرير الوطني. في الموضوع الذي يهمنا يقول الحاج إبراهيم[43] : « كلفني، والدي بقيادة الحافلة – لأول مرة على غير العادة – خلفا لسائقها المعتاد كباش أحمد، الحافلة من نوع Berliet GLC 55 مقعد، العاملة على خط بسكرة – أريس، لقد أسر لي أبي بأنني سألتقي خلال الرحلة بحاجزين لمسلحين الأول في باينان – الفوج المعني تأخر عن موعد مرور الحافلة – والثاني في تغينيمين وعلي أن أمتثل للأوامر وأن لا أخاف وأن كل شيء سيسير على أحسن ما يرام. عند وصلنا إلى مشونش صعد الحافلة الحاج صدوق قائد مشونش وهو نقيب سابق في الجيش الفرنسي. في تفلفال عند منعرج تاكوت صعد المدرس مانيرو وزوجته قصد التوجه إلى أريس تلبية لدعوة أصدقائهما بمناسبة عيد الأموات.

على الساعة العاشرة وعند الوصول إلى نفق تغينمين وجدنا عناصر مسلحة. قال أحد الركاب : « إنهم فلاقة توانسة » رد القائد : « فلاقة التوانسة لا يأتون

42) Boukhalfa Amazit, *Hadj Brahim Hlimi ...*, *EL Watan* du 25/08/2005

43) Hamid Tahri, *Qui se souvient de l'affaire Mannerot ?*, *EL Watan* du vendredi 18/09/2008

إلى هنا ». نزل القائد وسأل المسلحين : « من أنتم ؟ ومن أين أتيتم ؟ وماذا تريدون ؟ » رد عليه مسؤول المجموعة : « وأنت من تكون ؟ » فأجاب : « أنا النقيب صدوق قائد مشونش ». عندها طلب منه قائد المسلحين : « عد إلى الحافلة وأحضر أمتعتك، ستأتي معنا » يضيف الحاج إبراهيم : « عاد القائد إلى الحافلة وكانت معه حقيبة صغيرة تحتوي على وثائق وكمية من الحلوى ومسدس آلي، فتح الحقيبة وأخرج المسدس، رآه أحد الجنود من خلال فتحات الباب ودون تردد أطلق عليه النار بطلقتين في الظهر لأن القائد كان يريد إخفاء المسدس. اخترقت الرصاصتان جسمه وخرجتا من رئته فسقط أرضا. مانيرو وزوجته كانا جالسَين في الحافلة، جندي آخر من قدماء رجال الحرب في الهند الصينية (يبدو أن الشاهد يعرفه ولم يذكر اسمه) بدأ يصرخ في وجههما. تدخلت وقلت له : « بهدوء تريث لماذا الغضب » نزل الزوجان من الباب الخلفي وتوجها نحو مقدمة الحافلة أين كان يقف مسؤول المجموعة. تكلم معهما وفجأة ومن غير المتوقع انطلقت رصاصات من بندقية من نوع Mousqueton وليس من مسدس رشاش (التوضيح للشاهد) أصابت المعلم في الظهر فانهار. المسلح أراد قتل الزوجة لكن مسؤول الفوج صرخ فيه « لا ». بحركة قوية وسريعة أخفض الغمد لكن الطلقة قد خرجت وأصابت الزوجة في ساقها. المعني من المشاركين في حرب الهند الصينية ».

يقول الحاج إبراهيم : « أقسم أمام الله، لم يكن أحد يعلم بوجود القائد على متن الحافلة ولا هوية عائلة مانيرو. أخذت القائد في الحافلة وتوجهنا إلى أريس امتثالا لأوامر قائد المجموعة الذي عنف من أطلق النار. بعد مدة اتصل بن بولعيد بوالدي واعتذر على وقوع هذا الحادث، وصلنا إلى أريس في منتصف النهار ».

في حدود الساعة السادسة مساء جند حاكم أريس قافلة لنجدة عائلة مانيرو يقودها عالم السلالات البشرية جان سرفييه المتواجد حينها بالقرية والذي ستكون له قصص كثيرة ضد الثورة متعاونا مع جهاز المخابرات الفرنسي في أنذل المهمات وهذه حكاية أخرى.

رواية بيار مارين[44]

بيار مارين هو من الأقدام السود في باتنة، ذكر الحادثة في كتاب « من أجل حداد باتنة » الذي وضع مقدمته جان دولابلانك رئيس دائرة باتنة يومها. اعتمد

(44 Pierre Marrin, *Au forgeron de Batna, Edition L'Harmattan,* Paris, 2005.

الكاتب في سرد حيثيات الموضوع على محاضر الإدانة القضائية للمتهمين من المجاهدين الذين ألقي عليهم القبض ومثلوا أمام القضاء الفرنسي طورش عثمان، طورش مصطفى، مدوني إسماعيل، وبن شايبة لخضر.

« في يوم أول نوفمبر 1954. 10سا و15د. نفق تيغنمين. الطريق مقطوع بالحجارة. السائق حليمي إبراهيم يطلب من الشحام جوغالي الطيب فتح الطريق. تظهر مجموعة من المسلحين. القائد حاج صدوق المسافر على متن الحافلة يسحب مسدسه عيار 6/35، يتم قتله من طرف صبايحي محمد، هذا الأخير يأمر المسافرين بالعودة إلى أماكنهم ونقل القائد إلى أريس. أحد الجنود يكشف الزوجين مانيرو المختبئين بين الكراسي، ويصرخ : « أنزلوا الأوروبيين » بينما كان صبايحي محمد يتحدث مع السيد مانيرو أطلق أحد جنوده النار فأصاب الزوج إصابة قاتلة جُرحت الزوجة في ساقها. في المساء نظم جان سرفييه عملية نجدة بمعية قائد دوار تاجموت المدعو لكحل. تم إسعاف الجريحة من طرف الطبيب جندر القادم من باتنة مع قافلة مدرعة يقودها النقيب غازين، أجريت لها بعد ذلك عملية جراحية في باتنة من طرف الطبيب فرديز ». بعد أسبوعين استشهد محمد صبايحي أمام قوات العدو يوم 15 نوفمبر 1954.

شهادة المجاهد جرمون محمد[45] – شاهد عيان فاعل –

« تحركنا من أريس في اتجاه فج تاغيت بني بوسليمان لحراسته ووضعنا حواجز في الطريق، ومن الصدف العجيبة أن أول من وصل كانت حافلة حليمي الهاشمي القادمة من بسكرة... توقفت الحافلة أمام الحاجز (حجارة) ووقف القائد من مكانه وتهيأ للنزول وخطا خطوات وهو يرغي ويزبد، يسب ويشتم : يا رعيان يا قطاع الطرق. التقاه قائد الفوج محمد صبايحي عند آخر درجة في سلم الحافلة فتحدث معه، غير أنه واصل سبه بل مد يده إلى مسدسه ليخرجه، فما كان من صبايحي إلا أن عالجه بطلقة من سلاحه – ستاتي – فأوقعه أرضا ثم أخذ منه مسدسه ومبلغا من المال يقدر بـ 15 ألف فرنك. كان هذا على الجهة المقابلة للوادي، أما الجهة الأخرى فيكمن فيها المدعو بزالة، وما إن انطلق الرصاص واضطرب المسافرون وأخذوا في النزول حتى انكشف أمامه المعلمان، فأطلق عليهما بواسطة سلاحه – ماط 49 – فأصابهما بجروح. لقد تم تأنيب بزالة في

45) الأستاذ تابليت عمر، عاجل عجول، مطابع قرفي وشركائه، باتنة، 2012 عنابة، 2011، ص 80-81.

الحين من طرف المسؤول فكان رده : لا أفهم ما تقولون، أنتم من جهة تقولون : كل الفرنسيين هم أهداف لنا ومن جهة تلمونني على ما فعلت ؟! أجبناه : ولكن هؤلاء يعلمون أولادنا، ولا ذنب لهم في شيء. توجهنا إلى سائق الحافلة فأمرناه بالتوجه بسرعة إلى أريس عله ينقذ الجريحين، فرفعنا الحواجز من أمامه وانطلق إلى أريس ».

لفضح التوظيفات المغرضة لهذا الحادث المؤسف الذي استغلته الإدارة الاستعمارية استغلالا دنيئا في حينها ومازالت بعض الأوساط الحاقدة تستثمره لغاية الساعة في تزييف الحقائق، نسمح لأنفسنا بالوقفات التالية والحكم للقارئ.

- لم يكن في نية المجاهدين قتل أي كان، مهمة المجموعة كانت تتلخص في الدعاية للثورة. اندفاع القائد حاج صدوق الذي استخف بالموقف – ربما اعتقد أن الأمر يتعلق بالخارجين عن القانون – أدى إلى مقتله.
- مصرع المعلم جاء نتيجة مضاعفات حالة لم يتم التحكم فيها.
- لا علاقة لبن بولعيد بالحادثة لا من قريب ولا من بعيد، بعض الأقلام المسمومة كتبت في حينها افتراءات لا أساس لها من الصحة. زعم البعض أن بن بولعيد برمج كمين تيغنمين للثأر من الإدارة الاستعمارية التي لم تمنحه حق استغلال خط بسكرة – أريس. ادعاء سخيف وكاذب لأن الحافلة الموقوفة في الحاجر هي ملك للمناضل الهاشمي حليمي الذي كان مطلعا على العملية مسبقا بشهادة ابنه سائق الحافلة. لقد أوضحنا سابقا بأن امتياز منح الخطوط في ذلك الوقت كان من صميم الصفقات التجارية المحضة تديرها شركات خاصة لا دخل للإدارة فيها.

بعض الكتابات ادعت بأن قائد المجموعة كان الشهيد شيهاني بشير شخصيا، هذا الأخير لم يكن في المكان بل كان ساعة الحادثة مع بن بولعيد ضمن قيادة أركان الثورة في طريقه إلى تافرنت ولاد عيشة.

– كان بالإمكان إجراء خبرة بلاستية على الرصاصات التي أصابت الضحايا لتحديد نوعية السلاح المستعمل (رشاش أو بندقية) كما كان بإمكان الأطباء تحديد مكان الجسم الذي دخلت منه الرصاصات بالنسبة للقائد والمعلم (الصدر

أو الظهر). هذه العناصر كان بإمكانها رفع الكثير من اللبس عن القضية. لا نختم هذا الملف دون طرح بعض الأسئلة التي لم نجد لها إجابات مقنعة :

1. لماذا لم يقدم المحققون الملف الطبي للعدالة أثناء المحاكمات ؟
2. لماذا تم تعيين المعلمين في مكان معروف بخطورته دون علم مسبق ؟ وخاصة لماذا استثنيا من عملية التجميع الاحتياطية التي قام بها حاكم أريس خلال شهر أكتوبر بسبب رواج معلومات مفادها تواجد كثيف للخارجين عن القانون ؟
3. بماذا نفسر تواجد جان سرفييه في قلب الحدث وهو المعروف بضلوعه في كثير من الأعمال المشبوهة للمخابرات الفرنسية على مدار السنوات الأولى للثورة ؟ الصدفة لا تكفي وحدها في مثل هذه القضايا. وجوده في الأوراس في نوفمبر 1954 هل كان للبحث الأكاديمي أو للتجسس الاستخباراتي ؟ وهذا موضوع آخر.

شهادة الثوار[46]

يروي جلول بوقفة الحادثة بصفته طفلا عايش الأحداث في مدينة أريس عند وقوعها. بعد الاستقلال جمع شهادات العديد من المجاهدين الذين صنعوا ثورة أول نوفمبر في المنطقة.

يعتبر جغروري لمبارك المجاهد الوحيد الذي بقي حيا من بين عناصر الفوج الأحد عشر الذين قاموا بالعملية. كان هدف الفوج وفق تعليمات مصطفى بن بولعيد قطع الطريق على إمدادات الدرك الفرنسي، عند قدوم حافلة بسكرة – أريس ظن قائد مشونش أن الأمر يتعلق بالخارجين عن القانون، فأخرج المسدس بهدف إطلاق النار على المجاهد الذي كان يقف بجانب الحافلة. اثنان من المجاهدين كانا مختبئين وراء الصخور بأعلى الطريق، ودفاعا عن زميلهما أطلقا النار فأصابا القائد والمعلم مانيرو وجرحوا زوجته.

بعد أكثر من نصف قرن على الأحداث مازلنا نبحث على مبررات لكون السبب الرئيسي في وقوعها هو الحالة الاستعمارية. هل يتجرأ أحد اليوم على تبرير مقتل آلاف الشهداء الأبرار ؟

(46 Djelloul Bougoffa, in *Récit de feu, L'aube de la révolution* armée, Editions SNED, Alger, 1977.

لتفهم الأجيال الجديدة عندنا وفي فرنسا أن المسؤولية الكاملة على سقوط ضحايا من بين الجزائريين أو الفرنسيين على حد سواء تقع على عاتق الدولة الفرنسية دون سواها التي باسمها وتحت علمها مورس الاستعمار في الجزائر.

لهـيب الثورة يشتعل في الأوراس

نطـاق العمليـات

من المفيد التذكير بجغرافيا الأحداث في المنطقة الأولى لرسم الديكور الجديد لملحمة شعبية قادها بن بولعيد. حاولت السلطات الاستعمارية في البيان المعروف الذي نشره الحاكم العام في الجزائر التقليل من أهمية العمليات مكتفية بذكر تلك التي خلفت خسائر مادية هامة أو ضحايا. الواقع الجديد حددت معالمه العمليات البسيطة والمهمات ذات الطابع التعبوي والدعائي الموجه أساسا للمواطنين.

- في بسكرة تهاجم مجموعة حسين برحايل محافظة الشرطة ومقر البلدية والمولد الكهربائي وتحاول حرق محطة القطار ومعمل للنجارة والحصيلة البشرية 4 مجروحين في الجانب الفرنسي.
- في خنشلة يتمكن رفاق عباس لغرور من استهداف مركز الشرطة ونزع سلاح الأعوان وإطلاق النار على منزل الحاكم ويحاولون اقتحام الثكنة ويتم قتل الملازم دارنولت.
- في باتنة ينجح رفاق الحاج لخضر وبوستة إبراهيم وبوشمال في استهداف ثكنة الصبايحية ومخزن البارود والحرس الجوال وقتل الجنود بيير أوديات وأوجين كوهي .
- تغينيمين تشهد مصرع القائد الحاج صدوق والمعلم مانيرو وجرح زوجته. مكي عاشوري ينجح في ضرب حصار كلي على تاكوت وعزل أريس، المجاهدون يقتحمون فم الطوب ويطلقون النار على مركز الدرك في تابردقة

ويحرقون مكتب قائد الولجة ويطلقون النار في عين مليلة والخروب ويخربون الاتصالات الهاتفية بين تيفلفال وإنوغيسن ويتصلون بالمواطنين في أكثر من مكان.

- استثنى بن بولعيد من ضمن قائمة الأهداف بعض المناطق التي أبقاها محايدة لضمان التموين والإمداد مثل وادي سوف وجنوب تبسة لتأمين عبور قوافل الأسلحة والمؤن، وجهات بين طامزة وقايس وأخرى في الشمرة وشمال خنشلة[47].

الأيـام الأولـى

يمضي بن بولعيد الأسبوعين الأولين من عمر الثورة في ترقب الأخبار وتقييم الأوضاع وتصويب المواقف وتنظيم الصفوف والتنقل المستمر داخل الأوراس. من تافرنت 11/1 إلى مشارف أريس 11/2 إلى الحارة 11/3 إلى غسيرة 11/5 وجبل احمر خدو إلى إيشمول 11/9 إلى إينوغيسن 11/13.

رد فعل الاستعمـار

بينما كان سي مصطفى غارقا في حل مشاكل وتعقيدات الانطلاقة وتداعياتها التي تجاوزت كل التوقعات، تتحرك الدولة الفرنسية بكل إمكاناتها ووسائلها المدنية والعسكرية، فمنذ اليوم الثاني من شهر نوفمبر يجتمع في مقر دائرة باتنة جاك شوفاليي رئيس بلدية العاصمة وكاتب الدولة للدفاع وروني ماييه النائب البرلماني ورئيس بلدية قسنطينة والجنرال شريار قائد القوات في الجزائر والجنرال سبيلمان قائد منطقة الشرق وبيير دوبيش والي قسنطينة والعقيد بلانش بمعية السلطات المحلية. لم يتردد المجتمعون في اتخاذ إجراءات حازمة :

- طلب القدوم الفوري للتعزيزات الأمنية التي كانت في حالة تأهب جاهزة للتحرك منذ شهر أكتوبر والتي قررت حكومة باريس إرسالها يوم 1 نوفمبر 1954.
- تجنيد المعمرين وتسليحهم وتكوين المليشيات المحلية.
- إعلان حالة حظر التجول ابتداء من الساعة التاسعة ليلا في كل من باتنة وبسكرة وخنشلة وتبسة وأريس.

47) محمد العربي مداسي، مرجع مذكور سابقا، ص19.

–إعلان حالة الطوارئ في منطقة الأوراس النمامشة.
– استقدام لواء المشاة المحمول جوا بقيادة العقيد دوكورنو.

وهذا التصريح لجاك شوفاليي لصحيفة لوموند الصادرة يوم 4 نوفمبر يعطي فكرة حول الأجواء السائدة آنذاك : « **عمليا يعتبر الأوراس في حالة تمرد، إخماده يتطلب الكثير من الرجال والوقت للتخلص من المجموعات المسلحة التي وجدت فيه ملاذا**[48] ». هذا الكلام يعتبر شهادة اعتراف بنجاح بن بولعيد في تثوير المنطقة ويعطي فكرة مسبقة عن المحن التي تنتظر الأوراس الأشم من جراء التكالب الاستعماري المسعور.

– في باتنة يكلف محافظ الشرطة الرئيسي نوربار بالتحقيقات الأمنية المحلية الميدانية لتحديد هوية قادة الثورة المحليين، وتسارع كافة الأجهزة الأمنية لتغطية إخفاقاتها في توقع حجم الانتفاضة. وسوء التقدير والاستخفاف والاعتقاد بأن الجزائريين قد استسلموا نهائيا لإرادة الاستعمار.
– جان شارل جوفري، الباحث والمؤرخ المطلع على الأرشيف العسكري الفرنسي أكثر من غيره يعترف بكل موضوعية : « **هل كانت الشرطة تجهل في ذلك الوقت 1954/11/01 وجود هذه الحركة ؟ هل كانت على علم ببيان أول نوفمبر وبجبهة التحرير، علينا أن نصدق بأنه قد مضت أسابيع عديدة حتى تتعرف السلطات على أسماء الذين كانوا فعلا وراء الأحداث**[49] ».

في أرض الواقع يبدأ الالتحام العضوي بين الشعب وعناصر جيش التحرير ويبدأ التصادم مع مظليي الجنرال جيل والعقيد دوكورنو القائد الميداني للفيلق الـ 18 للمظليين المطاردين الذي يبدأ في إحصاء قتلاه يوم 1954/11/13 على مشارف عين توتة رغم التغطية الجوية والقنبلة المسبقة لمواقع المجاهدين.

يوم 1954/11/15 يستشهد محمد صبايحي الذي ارتبط اسمه بحادثة تغينمين وفي 1954/11/25 يسقط في ميدان الشرف الحقيقي بلقاسم قرين، أسطورة الأوراس المتمرد. الجنرال شريار لم يجد من سبيل سوى الاعتراف بالعجز في

(48 Le Monde du 4/11/1954

(49 Jean-Charles Jauffret et Maurice Vaïsse, *Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie*, Editions Complexe, Bruxelles, 2000, p. 374-375.

مواجهة الأحداث حيث يصرح في 1954/11/17 : « **الوضعية في الأوراس، نتفاجئ بتصلب المقاومة، من المناوشات ننتقل إلى المعارك الحقيقية التي يمكن حصر أغلبها في مثلث : باتنة – أريس – فم الطوب (إشمول)** ». دعوة مبيتة للمزيد من طلب الدعم العسكري، والأخطر من ذلك التفكير في مخططات جهنمية جبانة وإليكم القصة :

قصة مشروع حرق إشمول

من خبايا حرب التحرير التي أحاطتها السلطات الفرنسية بغطاء كثيف من السرية والكتمان مشروع حرق إشمول. بهدف إخماد الثورة في مهدها وبناء على شك الفرنسيين بأن قيادة بن بولعيد تتحصن في دوار إشمول، تقرر الترحيل القصري للسكان لتجفيف منابع الدعم الشعبي وحرق المكان ليكون عبرة لبقية السكان. على إثر اجتماع أمني حضره كل من فيفيي دو ريجي حاكم خنشلة وبوجوت حاكم الماضر (من المتمكنين في اللغة العربية) والوالي دوبيش والعقيد بلانش وفيي مندوب الأمن، يتقرر طلب الضوء الأخضر للشروع في عملية ترحيل قصري لسكان إشمول يتبعها قصف جوي ومدفعي مكثف من الجنرال سبيلمان والحاكم العام في الجزائر ليونار ووزير الداخلية فرنسوا متيران.

لغاية دفع الأهالي إلى مغادرة مداشرهم والتجمع في توفانة يسارع رئيس دائرة باتنة جون دولابلانك إلى تحرير منشور طبعت منه 80 ألف نسخة وزع جوا بواسطة الطائرات فوق غسيرة وإشمول وزلاطو ووادي طاقة ووادي عبدي والواد الأبيض. وهذا نص المنشور :

« نداء إلى السكان المسلمين : إن بعض المشوشين ومن بينهم أجانب أثاروا أحداثا دامية في بلادنا ويتمركزون في جهاتكم ويعيشون بمواردكم الخاصة ويتصلون بكم ويسعون إلى جر رجالكم إلى مغامرة إجرامية.

أيها المسلمون، إنكم لن تتبعوهم وستتجمعون فورا قبل الأحد 1954/11/21 على الساعة السادسة مساء في مناطق الأمان مع عائلاتكم وأرزاقكم. هذه المناطق سترشدكم إليها القوات الفرنسية المتمركزة في جهاتكم بالتعاون مع السلطات الإدارية للدواوير.

أيها الرجال، أنتم الذين انخرطتم في هذه الأعمال دون تفكير إذا كنتم لم تقترفوا جرما تخشون منه، التحقوا حالا بمناطق الأمان مع أسلحتكم فلن يصيبكم أي أذى.

قريبا مصيبة مرعبة، نار السماء ستسقط على رؤوس المتمردين وبعدها سيسود السلم الفرنسي من جديد[50] ».

هذا النداء لم يلق استجابة لدى السكان بحيث لم يلتحق بالمحتشدات سوى 150 شخصا معظمهم أطفال وشيوخ ونساء[51]. تم تمديد الآجال بعد ذلك إلى غاية 1954/11/26. حسب شهادة كوليت وفرانسيس جونسن عند هذا التاريخ لم تلتحق بالمحتشدات سوى 280 عائلة[52].

الجملة الأخيرة في نص المنشور تقول : « **Bientôt un malheur terrifiant, le feu du ciel s'abattra sur la tête des rebelles** » هذه الصيغة تكون قد جلبت انتباه أحد الصحفيين الفرنسيين والذي يكون قد اتصل بديوان الرئيس للاستفسار حول مغزى الجملة. بعد عودته من كندا أين كان في زيارة رسمية يقرر الرئيس الفرنسي تأجيل العملية خوفا من ردة الفعل الدولية على جريمة من هذا النوع خاصة وأن الصحافة أصبحت على علم وتترقب الحدث.

بعض المصادر تؤكد نية حرق إشمول بواسطة قنابل النابالم تقصفها طائرات - Nord 2500 - الراسية في مطار تلاغمة. للتهوين من فظاعة المشروع تحدثت مصادر قريبة من الجنرال سبيلمان عن قنابل عادية ذات وزن 10 كغ. الإعلام الباريسي كتب عن التأجيل والسلطات الفرنسية في باتنة تأسفت لذلك والرئيس الفرنسي ينفي أي علم له بالمشروع. لكن يتغاضى الجميع عن الحديث عن واحدة من أكبر حالات الاستنفار في التاريخ المعاصر والإجراءات المتعددة التي اتخذت في مدة لم تتجاوز شهرا :

1. حظر تجوال فعلي منذ اليوم الأول للثورة في المدن الأوراسية الرئيسية وما صاحبه من تعد سافر على الحريات.
2. إقامة مراكز لتجميع السكان على شكل محتشدات عشوائية وهذا يعد جريمة دولة بسبب تهجير الأهالي قصرا واقتلاعهم من بيئتهم الطبيعية والزج بهم في أماكن لا تتوفر على أدنى شروط الحياة، وكانت الأوراس أولى المخابر لتجريب هذا النوع من المراكز.

(50 Pierre Vidal Naquet, *Les crimes de l'armée Française Algérie 1954-1962*, Edition La Découverte, Paris, 2001, p. 23.

(51 *La Dépêche de Constantine* du 20/11/1954

(52 Colette et Françis Jeanson, *L'Algérie hors la loi, Edition le Seuil*, Paris, 1955, p. 188

3. تكثيف الحصار والتمشيط وإجراءات المراقبة مما أدى إلى تعكير صفوة الحياة العادية للسكان وقطع أرزاقهم وتعطيل نشاطاتهم الرعوية والزراعية والتجارية دون تقديم أبسط المساعدات.
4. انطلاق حملة من المحاكمات القضائية منذ الأيام الأولى لفرض هيبة الاستعمار المفقودة والتشدد في الأحكام مما فتح الباب أمام تجاوزات خطيرة.
5. مباشرة حملة من الاعتقالات الجماعية الثأرية هدفها ترويع السكان وتغطية العجز في مواجهة عناصر جيش التحرير.
6. بروز ظاهرة التعذيب كأسلوب انتقامي جبان منذ الأيام الأولى للثورة.
7. تجنيد فرق الحركى من العناصر العميلة في كل القرى والمداشر، لكن بالمقابل وعند الطرف الآخر من المعادلة الذي أصبح حقيقة يحسب لها ألف حساب تبرز مفاهيم جديدة تحت مسميات بسيطة : مجاهد، جيش تحرير، النظام، الإدارة، المسبل، الاشتراك، الاستشهاد وغيرها من المصطلحات.

بين نوفمبر 1954 وجانفي 1955 صارت الحرب أمرا واقعا في الأوراس وصارت الثورة حقيقة هذه الفترة، عمل فيها رفاق بن بولعيد على توطيد النظام الثوري وربط الصلة مع المواطنين وضرب الجيش الاستعماري ومصالحه بالكيفية التي تنسجم مع حرب العصابات وفك الحصار وتوسيع الثورة باتجاه جبال النمامشة وإرسال مجموعات مجاهدين إلى مناطق الحدود الشرقية وجهات سطيف ونحو الصحراء.

بين1 نوفمبر 1954 وفيفري 1956 في جريدة *La Dépêche Quotidienne d'Alger* أين تحدثت عن 34 عملية عسكرية كبيرة. ومن بين 143 جندي اعترف بهم كقتلى بين نوفمبر 1954 وجويلية 1955، 119 منهم قتلوا في الولاية الأولى و81 في منطقة باتنة لوحدها. مع العلم أن هذه الأرقام لا تعطي حقيقة ما وقع فعلا لأن الجيش الفرنسي كان يمارس الرقابة على وسائل الإعلام[53].

(53 Djamila Amrane, *L'extension de la lutte armée*, In acte du colloque international sur *Le retentissement de la révolution Algérienne*, CNEH, Alger, 24-28/11/1984.

سفـر بن بولعيـد واعتقـاله

المســار والنشاط

– في يوم 20 جانفي 1955 يجتمع سي مصطفى بقادة الأفواج لتقييم الأوضاع الصعبة من ناحية التموين والتسليح واتخاذ التدابير الممكنة محليا لمواجهة الموقف. في هذا اللقاء يعلن عن عزمه السفر إلى ليبيا لحل مشكلة التسليح مع الوفد الخارجي. أمام اعتراض الجميع على الفكرة يطمئن سي مصطفى رفاقه : « **الثورة مثل الشجرة، لقد ضربت جذورها في أعماق الأرض فلا تخافوا عليها** ». في اليوم الموالي يفصل في موضوع استخلافه ويعين بشير شيهاني مسؤولا للإدارة، عاجل عجول مساعدا أولا، عباس لغرور مساعدا ثانيا، مصطفى بوستة مكلفا بالمالية، مدور عزوي مكلفا بالتموين ومسعود بلعقون مساعدا ثالثا.

– في يوم 22 جانفي ينزل من الحارة إلى رأس عدلان على مشارف مدينة باتنة لترتيب الأمور مع الحاج لخضر عبيدي والطاهر نويشي[54].

– في يوم 23 جانفي ينطلق صحبة عمر المستيري نحو الشرق ترافقه دورية بقيادة عبد الوهاب عثماني، يمر بخيران ثم شبلة ويتوقف في القلعة يوم 31 جانفي في ضيافة التيجاني عثماني وغزالي بن عباس ومعمر لمعافي ومسعود معاش[55].

54) محمد العربي مداسي،مغربلو الرمال، مرجع سابق، ص52.

55) محمد زروال، النمامشة في الثورة، دار هومه، الجزائر، 2003، ص53.

أثناء هذه الإقامة يقوم سي مصطفى بهيكلة تنظيم الثورة بهدف توسيع نطاقها عبر كامل المنطقة الأولى. في هذا الصدد يعين التيجاني عثماني في جهة خنشلة، وغزالي بن عباس في جهة سوق أهراس وعين الطويلة ومسكانة وعين البيضاء، وعبد الوهاب عثماني في جهة خنقة سيدي ناجي، وباديس وخيران وحمة لخضر في جهة واد سوف، ويكلف مسعود معاش بمركز القلعة للاتصال والبريد واستقبال الدوريات والربط بين المناطق، ومعمر لمعافي في جهة بوحمامة وملاقو وفراقسو[56].

في القلعة يتعرف على أحد الجزائريين الفارين من الجيش الفرنسي من منطقة القبائل يكلفه بحمل رسالة لزيغود يوسف ويطلب منه انتظاره في القلعة مع الرد، كما يحرر رسالة إعلام بالإجراءات التي اتخذها ويبعث بها إلى بشير شيهاني وأخرى لمسؤول منطقة توقرت تحتوي على قائمة لمناضلي المدينة[57].

- يوم 3 فيفري 1955، يصل سي مصطفى إلى ناحية سويكس (ولاد بوقصة). في المكان المسمى « كاف القط » يتعرف على مواطن يدعى « عمار بريك بن محمد الفرشيشي » الذي ينضم إلى المسافرين ويرافقهم بحكم معرفته لمسالك العبور عبر الحدود.
- يوم 4 فيفري 1955، تصل المجموعة إلى « دبيلة » ناحية بئر العاتر.
- يوم 5 فيفري 1955، يصل سي مصطفى إلى قرية الرديف في ساعة متأخرة بعد سفر شاق ومتعب، يقيم عند المواطن الجزائري الزين مساعدية لمدة 3 أيام، خلال هذه الإقامة تتصل به جماعة من المسلحين من بينها عمر عون « البوقصي » والجموعي البسكري، يكلفها بالعمل الثوري انطلاقا من بئر العاتر.
- في يوم 8 فيفري 1955، يغادر سي مصطفى صحبة عمر المستيري وعمار الفرشيشي قرية الرديف على متن القطار، ثم يستقلون الحافلة نحو قفصة التي يقيم فيها 3 أيام. في هذه المدينة يتيه عمر المستيري في أزقتها ويعجز على إيجاد الدار التي يقيم فيها سي مصطفى ورفيقه.
- في يوم 10 فيفري 1955، يقرر سي مصطفى مواصلة الطريق دون انتظار ويتوجه نحو قابس أين يتم كشف أمره من طرف الأمن الفرنسي.

56) محمد زروال، مرجع نفسه، ص55.

57) محمد العربي مداسي، مرجع سابق، ص54.

قصة التعرف على بن بولعيد في « قابس »

عندما سافر بن بولعيد خلال شهر جويلية 1954 إلى مصر في إطار التحضيرات للثورة التقى مع بن بلة واتصل بعلال الفاسي المغربي وصالح بن يوسف التونسي[58]. الذين اتفق معهم على ضرورة التنسيق بين الثوار في بلاد المغرب العربي وتوحيد الكفاح ضد العدو المشترك.

لهذه الغاية اتفق القادة على إنشاء محطة اتصال في قابس في محل تجاري لأحد التونسيين، عند رجوعه إلى الجزائر يكون بن بولعيد قد أعطى العنوان لكل من ديدوش مراد وزيغود يوسف وبشير حجاج، هذا الأخير وقع أسيرا في الأشهر الأولى من الثورة لم يتحمل ما سلط عليه من تعذيب على يد الأمن الفرنسي ويكون قد باح بسر العنوان المذكور[59].

لما حققت مصالح الأمن الفرنسي في تونس مع صاحب المحل وسألته عن أشخاص يقيمون عنده، نفى ذلك لكنه أخبرهم بأن بعض الناس كانوا يأتونه أحيانا للمبيت عنده في طريقهم لأداء الحج – وهذا ما كان يقوله بن بولعيد للذين يقيم عندهم أو يدلوه على الطريق حتى لا ينكشف أمره... – أمر البوليس صاحب الدار في قابس بأن يبلغ عن وصول أي غريب يقصده للمبيت عنده. عندما حل بن بولعيد بالعنوان المتفق عليه في مصر أصر صاحب المحل على تبليغ السلطات. طلب منه سي مصطفى أن يتريث وأمام، علامات الذعر البادية على المعني اشتم رائحة الجبن والخيانة، فغادر المكان بسرعة وركب الحافلة المتجهة نحو بن قردان الحدودية مع ليبيا عله يفلت من هذا المطب.

في مدنين ركب الحافلة ضابط أمن ومعه الصبايحية مما يعني أن التبليغ قد حصل. عند الوصول إلى بن قردان أمر الضابط اقتياد الجميع نحو مركز الشرطة للتحقيق في هوية كل واحد. في غفلة يخادع بن بولعيد ورفيقه الحراس ويختبئ في إحدى الحدائق لكن أحد « المصابحية » يتمكن من العثور عليهما. لم يجد سي مصطفى من حل سوى إطلاق النار وقتل المطارد ويفر مجددا في الظلام الدامس نحو الأراضي الليبية، ومن سوء حظه تضيع منه البوصلة ويقع في سبخة واسعة عرقلت تقدمه ويتيه فيها.

58) مداسي محمد العربي، المرجع سابق، ص 56.

59) العقيد الطاهر زبيري، استجواب لجريدة الأحداث، 2007/12/27.

عند مطلع الفجر كان الفرنسيون بالمرصاد حيث جندوا الخيل والبعير لتقفي آثار الفارين في الرمال وتمكنوا من إلقاء القبض على بن بولعيد ورفيقه عمار الفرشيشي، وتبدأ مرحلة أخرى في حياة البطل.

قصـة الأسْـرِ

تتضافر العديد من العوامل لتؤدي إلى سقوط سي مصطفى في مصيدة البوليس الفرنسي فوق الأراضي التونسية ويؤسر في إحدى الفيلات السرية التي استحوذت عليها مديرية حماية الإقليم DST في ضواحي العاصمة التونسية وضعتها تحت الحراسة المشددة. في يوم 12 فيفري 1955 ينتشر الخبر كالصاعقة على الصفحات الأولى للصحف وتبدأ المعاناة مع تجربة الاعتقال والأسر.

– في يوم 16 فيفري 1955 يسارع فنسان مونتايل المبعوث الشخصي للحاكم العام الجديد جاك سوستيل إلى الاتصال ببن بولعيد بحجة معرفة عقلية ومطالب المتمردين.

في حقيقة الأمر هذا الضابط أراد مساومة المعتقل على توجيه نداء لاستسلام الثوار مقابل بعض الوعود الإصلاحية لتحسين الأوضاع الاجتماعية للجزائريين وكأن الأمر يتعلق بصدقة محسنين على مساكين. خلال اللقاء يؤكد بن بولعيد لمحدثيه الطابع الثوري للانتفاضة وعلى هدفها المعلن في بيان أول نوفمبر 1954 والمتمثل في الاستقلال الوطني الذي بدونه لا يمكن لأي كان أن يوقف الحرب في الجزائر واضعا حدا لأوهام المستعمرين.

يبقى بن بولعيد في سجنه تحت طائلة من الإجراءات الأمنية الاستثنائية التي شملت كل المنافذ والطرق المؤدية للعاصمة التونسية خاصة وأن إشاعات بدأت تروج حول وجود مجموعة من المجاهدين للقيام بعملية إنقاذ السجين.

عندما تم إلقاء القبض على بن بولعيد وجدت بحوزته محفظة تحتوي على تعليمات مطبوعة بواسطة الآلة الراقنة ومناشير وتقارير حول بعض النشاطات وعمليات عقابية ومخططات وأرقام تتحدث عن 359 مجاهدا. الاتهام الأول الموجه له كان تورطه في مقتل شخصين في منطقة تبسة. من بين الوثائق التي كانت بحوزته واحدة تتحدث عن تصفية المدعوَين (س.م) و (ر.ب). هذان الشخصان تسببا في اعتقال المجاهد سعايدية محمد بعد تجريده من سلاحه

وتسليمه للأمن الفرنسي. عند بلوغها الخبر قررت قيادة الثورة في المنطقة تصفية المعنيَين يوم 1955/01/03. المحكمة اعتبرت بن بولعيد مسؤولا مباشرا عن قتل هذين الشخصين وحكمت عليه بناء على المستندات التي كانت بحوزته بالسجن المؤبد. على كل هذا ما جاء في رواية التحقيق الفرنسي.

بسبب ورود اسم بن بولعيد في العديد من القضايا المرفوعة أمام المحاكم في الجزائر يتم نقله إلى سجن الكدية بقسنطينة ليجد فيه مجموعات أخرى من الثوار الذين سقطوا في قبضة الأمن الفرنسي. خلال الأسر يواصل سي مصطفى نضاله بالرفع من معنويات المساجين وإرساء دعائم نظام جبهة التحرير في السجن واستغلال المحاكمات للدفاع وإشهار مبادئ الثورة وإعطاء التوجيهات عبر المحامين.

المحاكمات

في يوم 20 جوان 1955 تصدر المحكمة العسكرية بقسنطينة حكما بالإعدام في حق مصطفى بن بولعيد وأحمد بوشمال بسبب ضلوعهما في عمليات الفاتح من نوفمبر. احتجاجا على هذا الحكم وعلى ظروف الأسر يشرع سي مصطفى في إضراب عن الطعام.

عند وصول الخبر إلى باريس تبادر مجموعة من اليساريين مارسو بيفري وكلود بوردي وروبير شيرامي وبول روف إلى توجيه نداء يوم 8 جويلية 1955 إلى عدة شخصيات من كل التيارات السياسية هذا نصه :

« أصدرت المحكمة العسكرية في قسنطينة أحكاما بالإعدام في حق الجزائريين بن بولعيد وبوشمال، في حين تقدم المحامون بطلب الاستئناف بسبب غياب الأدلة. يقبع بن بولعيد في السجن ويقوم بإضراب عن الطعام منذ 11 يوم احتجاجا على هذا الحكم الجائر.

الموقعون – على هذا النداء – يطالبون من الحكومة ومن رئيس الجمهورية الاعتراض على إراقة الدماء بسبب عقوبة ضد حرية التعبير. تطبيق هذه العقوبة من شأنه زيادة تدفق موجات الحقد التي تعصف في الجزائر بكاملها. بغض النظر عن الاعتبارات السياسية يطالب الموقعون – على النداء – تشكيل لجنة ضد إعدام بن بولعيد وبوشمال[60] ».

(60 Belaïd Abane, *L'Algérie en guerre. Abane Ramdane et les fusils de la rébellion,* Editions L'Harmattan, Paris, 2008, p. 179.

في نفس اليوم – 8 جويلية 1955 – تصدر جريدة الحقيقة لسان حال الحزب الشيوعي الأممي مقالة بتوقيع جيرار بلوش وهو من المعتقلين السابقين الناجين من سجن داشو يدافع فيها عن بن بولعيد وبوشمال، المقالة كانت تحت عنوان « لنوقف الجلاد ».

لكن هذه المواقف على نبلها كانت تغرد خارج السرب بسبب محدودية تأثيرها على الرأي العام والانحياز الكامل للطبقة السياسية الفرنسية لصف الإدارة الاستعمارية في قمعها للثورة الجزائرية.

في 23 سبتمبر 1955 وعلى وقع أحداث 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني يتكالب الجهاز القضائي ضد بن بولعيد وتحكم المحكمة العسكرية بقسنطينة دائما بحكم ثالث بالإعدام في قضية الهجوم على « محطة بنزين الخروب ».

تركيبة المحكمة تعطي فكرة واضحة عن الميولات المسبقة للقائمين عليها :

رئيس الجلسة القاضي كورنوي الواجهة المدنية للجهاز القمعي، المدعي العام المقدم لوسيور، قرأ الإدانة العريف الأول براديل، المترجم العريف مرابط، الشهود الجنود ميشال مرسورو الحارس ليلة الأحداث في 1 نوفمبر والمناوب فوكنصو إيتيان، الاثنان ينتميان إلى الفيلق التاسع للمظليين المطاردين الأحكام حضوريا :

– بن بولعيد مصطفى : الإعدام.
– حجاج بشير : الإعدام.
– مهني بشير : الإعدام.
– منيفي بن جابر : الإعدام.

بالإضافة إلى حكمين بالإعدام غيابيا وأحكام بالمؤبد مع الأشغال الشاقة في حق بن زيتونة بومفعل وطاهيري عمر وخنشوش علي و20 سنة حبس نافذة في حق مجدوب موح و15 سنة حبس نافذة في حق بن شابية عمر وزميلي عمر ومراد عمار.

هيئة الدفاع المكونة من الأساتذة آيت حسان زيدي وحاج دريس وروني ستيب وغيرهم لم تستطع فعل أي شيء لأن الأحكام كانت جاهزة قبل النطق بها.

في نفس سياق التصعيد الهادف إلى تكسير حركية الثورة بواسطة التشدد في الأحكام القضائية التي تحولت إلى أداة من أدوات القمع في يد الجيش الفرنسي،

يصدر حكم آخر بالإعدام يوم 1955/10/25 في حق المتهمين في حادثة مقتل القائد حاج صدوق والمعلم مانيرو، وهم المجاهدون طورش عثمان وطورش مصطفى ومدوري إسماعيل، هذا الأخير اتهم بتخريب جسر غير بعيد عن نفق تيغنيمين لتعطيل حركة المرور وعرقلة النجدة.

فهم بن بولعيد القائد الميداني المحنك بأن نية الإدارة الاستعمارية من وراء هذا الوابل من أحكام الإعدام في حقه وحق رفاقه نية التنفيذ الفعلي لهذه العقوبة لتجعل منه عبرة لغيره، ومن هذا المنطلق كان على سي مصطفى أن ينفذ خطة الهروب من السجن وهو القائل لرفاقه في هذا الصدد : « يجب أن لا نموت مثل الجيفة ».

من سخريات الدهر صدور آخر حكم بالإعدام في حق بن بولعيد في 1955/12/07 وإدانته في الهجومات على بسكرة في يوم الفاتح من نوفمبر وهو فار من السجن حر طليق.

معجزة الفـرار من السجـن

اعتمدنا في سرد نشاط بن بولعيد في الأسر وتفاصيل عملية الفرار على روايات شاهدَين فاعلَين من رفاقه هما محمد العيفة[61] والطاهر زبيري[62]، وعلى رواية سي مصطفى نفسه كما جاء بها الحاج لخضر عبيدي[63]، وعلى معلومات الصحافة الفرنسية التي تداولتها في حينها[64].

الاستعـدادات

في بداية الأمر كان المحكوم عليهم بالإعدام محبوسين ثنائيا في زنزانات منفصلة، العائق الأول في هذه الحالة أمام أي مشروع للفرار تمثل في العزلة والأغلال التي تكبل المعنيين.

كان يسمح للسجناء الخروج مرتين في اليوم إلى الساحة لاسترخاء العضلات والمشي وفقا لما كان يسمح به قانون السجن، أثناء هذه الخرجات تعرف سي مصطفى على حلاق من معتقلي الحق العام لم يبق من فترة حبسه سوى ثلاثة أيام. طلب منه أن يرمي من خارج السجن مكنسة شبيهة بتلك المستعملة يخبأ بداخلها كلّاب ومسحل. نفّذ الحلاق ما عليه في الوقت المحدد لكن من سوء الحظ سقطت المكنسة في ساحة الأحداث المجاورة وكشف الحراس الأمر.

61) محمد العيفة، جريدة الوطن، 2009/03/19. و محفوظ قداش، *Récits de feu*، ص 173.

62) الطاهر زبيري، استجواب لجريدة الأحداث، 2007/12/27. الشروق اليومي، 2009/11/01، مذكرات آخر قادة الأوراس.

63) الحاج لخضر عبيدي، مغربلو الرمال، مداسي محمد العربي، ص 240.

64) أعداد *La Dépêche de Constantine*، نوفمبر 1955.

فهمت الإدارة أن محاولة للفرار تحاك خيوطها في الخفاء، وكإجراء احترازي قامت بتجميع المحكوم عليهم بالإعدام في الزنزانة رقم8 المسماة بالمدرعة ووثقتهم بالأغلال. احتج بن بولعيد عن طريق محاميه فنزعت القيود وتحولت الزنزانة إلى ورشة للتفكير في طريقة الفرار. من الطبيعي أن تكون ألوى المسائل التي يجب حلها هي معرفة هندسة المكان لتحديد نقاط الضعف التي يمكن توظيفها للهروب.

في هذا الشأن يقول محمد العيفة : « وجدت في الساحة شجرة عالية، ساورتنا الرغبة في تسلقها علّنا نجد جهة يمكن التسلل عبرها. افتعلنا حادثة مطاردة قط كان يعيش بيننا، أرعبناه حتى يقفز فوق الأغصان ليحمي نفسه منا. اتبعنا خطاه بحجة استرجاعه واستغلينا الفرصة لرصد محيط السجن وكانت خيبتنا كبيرة عندما اكتشفنا بأن السجن يحيط به جدار عال يحمي سورا ثانيا مخصصا للحراسة أقل ارتفاعا منه.

ذات مرة فكر بن بولعيد في استعمال القوة ضد الحراس وتجريدهم من أسلحتهم والخروج عنوة. الخطة تم التغاضي عنها لأن أحد الحراس كان يسير دائما بعيدا وراء زميله وهو يحمل سلاح رشاش مما يستحيل تجريد الاثنين معا دون لفت الانتباه، عندها سيعتبر تطبيق أي محاولة انتحارية عملا متهورا.

بعد مدة تم اعتقال الحلاق مرة أخرى، وباعتباره أليفا ومعتادا على المكان يقوم بتزويد رفاق بن بولعيد بمعلومات تفيد بوجود مستودع مجاور للزنزانة المدرعة. هذا المستودع يحتوي على مجموعة من الأغراض المكدسة بداخله ميزته أنه يتوفر على نافذة تطل على ممر دوريات الحراسة، استعملها فيما مضى أحد المجرمين في عملية فرار ناجحة.

بناء على المعطيات الجديدة أعطى سي مصطفى أمرا صارما لمحمد العيفة : « **دبر راسك، تحمل مسؤوليتك، ضع خطة ونفذها** » وهذا ما تم فعلا.

خلال شهر أكتوبر 1955 انطلقت أشغال الحفر بواسطة مفصلة على شكل كوس تم نزعها من نافذة زنزانة، موقعها الأصلي تمت تغطيته بلب الخبز الملطخ بالتراب. كان على السجناء أن يقوموا باقتلاع قطعة بلاط على شكل مثلث قاعدتها ترتكز على أساسات الجدار الفاصل بين الزنزانة والمستودع. لتسهيل عملية الحت تم سكب الخل في الشقوق. بعد كل عملية حفر تغطى الشقوق بواسطة خيط

ملون بالتراب للتمويه عند دخول الحراس لتفتيش القاعة. في كل مرة كانوا يقفون فوق المكان يفحصون جيدا الجدران والقضبان لكنهم لم يتفطنوا – والحمد لله – لما تحت أقدامهم.

بعد 6 أيام من الجهد صار من الممكن قلع قطعة البلاط، لهذه الغاية كان لازما تكسير ركنها الأمامي ونزع التراب والرمل والحصى بالكيفية التي تبقي عليها معلقة في الهواء لا يشدها سوى أساس الجدار. لإخفاء الشوائب والتخلص منها كان التراب يرمى داخل المراحيض ويذوب في الماء أما الحصى فكان يحمل بكميات صغيرة في الجيوب لرميه في الساحة خلال حصص التهوئة المعتادة. أثناء جميع المراحل التزم السجناء أعلى درجات اليقظة وتجنبوا أي سلوك من شأنه إثارة الشكوك.

عندما أصبحت قطعة البلاط جاهزة للانهيار وضعت تحتها حصيرة من الأفرشة لامتصاص الوقع وكتمان الصوت، ركب فوقها الطاهر الزبيري وحمادي كرومة باعتبارهما الأضخم في المجموعة، فلم تقاوم. وبدأت المرحلة الثانية بإزاحة الكتل الموجودة في الأساس بنفس طريقة تذويب التراب في المراحيض ورمي الحصى في الساحة. بعد مدة صارت الحفرة عميقة ومظلمة مما حتم إنارتها بواسطة علبة تبغ (الشمة) مملوءة بالماء والزيت والفتيل.

وفي اليوم السابع من شهر نوفمبر 1955 تم الوصول إلى المستودع. أول من دخل المكان كان سي مصطفى بصحبة محمد العيفة، لكن المفاجأة لم تكن سارة فالنافذة المعول عليها لبلوغ ممر دوريات الحراسة كانت موصودة بالإسمنت بداخل المستودع. في المكان وجدت حزم من الحَلفاء وأسرة حديدية قديمة ومواقد. مدخل المكان يغلقه باب يمكن فتحه بسهولة. صعد سي مصطفى فوق الرزم للوصول إلى السقف، وعندها أزاح قطعتين من القرميد فلاحظ أن سقف المستودع بعيد جدا عن جدار السجن، لكن بالمقابل تنبه محمد العيفة أن باب المستودع يمكن فتحه دون إثارة الضجيج كما يمكن صناعة السلم باستعمال قضبان الأسرة ووضع جزم الحَلفاء فوق بعضها لتسلق الجدار الأول الذي يرتفع بـ 3 أمتار ونصف. بالرزمة الأخيرة يمكن ربط حبل يساعد على الهبوط في ممر الحراسة ومن ثمة التوجه نحو الجدار الأخير وتسلقه بواسطة السلم. خطة ممكنة. فورا تم تفريغ 9 أسرة من الحلفاء والتي تم حشوها في بقية الأسرة الأخرى لإخفاء

آثارها ثم قص القماش إلى أشرطة ذات عرض 20سم وخياطتها باليد للحصول على حبل طوله حوالي 40 متر.

في 9 نوفمبر 1955 أصبح كل شيء جاهزا لتنفيذ العملية. يجتمع سي مصطفى برفاقه ويقرر إجراء القرعة لتحديد دور كل فرد، لكن يصر كل واحد على أن يكون هو في طليعة الفارين. بعدها يتفق معهم حول وجهات أفراد المجموعة.

التنفيـذ

في 10 نوفمبر 1955 يحرر سي مصطفى رسالة إلى إدارة السجن يعلمها بأن الفارين لم يتلقوا أي مساعدة داخلية أو خارجية لحماية بقية السجناء من الانتقام المحتمل، كما عبّر لها على نية المجموعة في مواصلة الكفاح المسلح لتحقيق الاستقلال.

على الساعة الرابعة والنصف انطلق سي مصطفى متبوعا بـ 10 من رفاقه الذين كان عليهم إنجاز المهمة في أقل من 20 دقيقة لتجنب دورية الحراسة عند الساعة الخامسة.

بعد فتح الباب تم تصفيف أحزمة الحلفاء، نزل محمد العيفة متبوعا بسي مصطفى وبقية المعنيين وتوجهوا نحو الجدار الذي كان شديد العلو وتمكن الجميع من اجتيازه مع إصابة سي مصطفى عند الحاجب، الحظ لم يكن حليف شوقي السعيد الذي انقطع به الحبل وسقط لتنكسر ساقه ويبقى في ممر الحراسة. بعدما تفطنت الدوريات تتبعت الكلاب البوليسية أثر الفارين إلى غاية المقبرة الإسلامية لكنها ضيعتها عند شارع Bien fait. الفارون : مصطفى بن بولعيد، محمد العيفة، الطاهر زبيري، حمادي كرومة، سليمان زايدي، حسين عريف، بزياني محمد، بوشمال رشيد، حفطاوي علي، لخضر مشري، إبراهيم الطيبي.

يستمر سي مصطفى ورفيقه محمد العيفة في سيرهما لمدة 4 أيام باتجاه الأوراس، وهم حفاة وجياع ينهكهم التعب والبرد. يصلان بعد معاناة كبيرة إلى ضيعة صهر سي مصطفى قرب باتنة ومنها إلى مراكز جيش التحرير الوطني لتبدأ محطة أخرى في حياة الشهيد.

بن بولعيد يسترجع قيادة الأوراس النمامشة

العودة

في وستيلي، التقى سي مصطفى بالقادة المحليين لجيش التحرير عمر بن بولعيد، مصطفى رعايلي، أحمد نواورة، مسعود بن عيسى، مدور عزوي، أحمد بن عبد الرزاق (سي الحواس)، الحاج لخضر عبيدي، علي بن شايبة، حسين معارفي... ليكتشف أن الأوضاع قد تغيرت جذريا عما كانت عليه عندما غادر المنطقة متجها نحو ليبيا.

1. تحسن حالة جيش التحرير الوطني تسليحا وتموينا وتنظيما.
2. توسع نطاق الثورة إلى كل أرجاء المنطقة الأولى لتشمل كل الأوراس النمامشة ومناطق الحدود التونسية والليبية ونحو الصحراء.
3. أن الاستعمار استحدث جملة من الأساليب لمواجهة الوضع (محتشدات، تعزيزات كبيرة، حصار، فرق حركى، مناطق محرمة...).
4. إن الصراع أصبح مفتوحا بين الأوراس الشرقي والأوراس الغربي حول قيادة المنطقة (عمر بن بولعيد وأنصاره من جهة، وعاجل عجول وعباس لغرور وشيهاني بشير من جهة أخرى).

فهم بن بولعيد من سلسلة المحادثات واللقاءات المارطونية مع رفاقه أن الخلافات صارت حادة بين الفرقاء، وأن الروح الوحدوية التي كانت سائدة عشية 1 نوفمبر 1954 بدأت تضعف، وأن خطر بروز النعرات العشائرية أصبح يلوح في الأفق. قبل التفكير في كيفية تجاوز المعضلات الجديدة كان عليه أن يفند شبهة تحوم حوله شخصيا.

قصـة التشكيك في مصداقية فرار بن بولعيد

عندما شاع خبر فرار بن بولعيد من سجنه كان عاجل عجول قد صرح أمام حسين معارفي وعلي بن شايبة[65] : « **إنني أعرف سجن قسنطينة، لا يمكن الدخول إليه والخروج منه كالإسطبل كما نريد. إما أن يكون سي مصطفى قد قتل من طرف سجانيه، وإما أن يكون قد تفاوض مع فرنسا حول حريته، ولكنني أجهل الشروط. في كل الأحوال يعتبر مصطفى إنسانا وطنيا حقيقيا لا يتنصل من مبادئه** ».

من منطلق هذا الشك وبصفته القائد الفعلي للإدارة الثورية بعد اغتيال شيهاني بشير يقرر عاجل عجول عزل بن بولعيد اعتمادا على القانون الداخلي الذي يقضي بوضع كل فار من قبضة الاستعمار في العزل لمدة 4 أشهر عندما يتعلق الأمر بالجنود البسطاء و6 أشهر في حالة القادة والمسؤولين. بادر عجول إلى مراسلة قادة المناطق يأمرهم بعدم الانصياع لتعليمات بن بولعيد وتطبيق النظام الداخلي وتجريد المعني من كل صلاحياته السابقة.

من الناحية النظامية الصرفة يبدو الإجراء المتخذ في حق بن بولعيد مقبولا للوهلة الأولى، لكن من الناحية السياسية والأخلاقية فالأمر مرفوض جملة وتفصيلا لأن عاجل عجول تصرف بصفة انفرادية دون الرجوع إلى أي مرجعية أعلى ودون أن يلتقي ببن بولعيد ويستمع إليه. فقرار بهذا الحجم في حق المسؤول الأول في الأوراس وعضو القيادة العليا للثورة، خاصة إذا علمنا بأن النائب الأول لقائد المنطقة الأولى شيهاني بشير قد قتل في ظروف مشبوهة، وأن قيادة عجول غير معترف بها من طرف جميع القادة الأوراسيين. التطورات اللاحقة للأحداث تبين أن تسرع عجول لاستخدام الورقة النظامية لم يكن سوى لتغطية رغبة جامحة في السلطة.

في هذا الباب يتصرف بن بولعيد بحكمة كبيرة حيث لم يسقط في فخ المشككين ويرفض استخدام الولاء الطبيعي له من طرف غالبية قادة المناطق الذين رحبوا بعودته ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه مباشرة.

بن بولعيد فضل الحفاظ على الوحدة واستخدام أسلوب الإقناع والثقة، فمنذ عودته صار مدركا لخطورة السباق المحموم نحو السلطة وتنامي الروح العشائرية وبروز العصبيات القبلية كالسرطان في جسم الثورة الناشئة والذي يعد شيهاني بشير أول ضحاياها.

65) محمد العربي مداسي، مرجع مذكور سابقا، ص 143.

قصة اغتيال شيهاني بشير وتداعياته

لم يعلم بن بولعيد بمقتل شيهاني بشير إلا في اليوم الثامن من عودته للأوراس.

بعد معركة الجرف (واد هليل) الشهيرة في أكتوبر 1955، يجد شيهاني بشير – النائب الأول لمصطفى بن بولعيد قائد المنطقة الأولى والمسؤول عنها المعين من طرف بن بولعيد شخصيا أثناء غيابه – نفسه متهما بارتكاب فعل مخل بالحياء مع أحد كتابه (ش.م) في المغارة التي اختبأ فيها إلى غاية 9 أكتوبر 1955.

أصحاب الاتهام عاجل عجول وعباس لغرور يصران على التهمة ويقرران إعدام شيهاني بشير يوم 23 أكتوبر 1955 على الساعة التاسعة والنصف بعد محاكمة صورية. وتصبح القيادة الفعلية للأوراس النمامشة انطلاقا من مركز القلعة في يد عجول وعباس.

دون الخوض في حيثيات الموضوع احتراما لأرواح الشهداء يتوجب علينا الوقوف على الحقائق التالية :

- يستحيل تأكيد أو نفي التهمة الموجهة للشهيد بشير شيهاني بسبب تضارب الآراء والروايات.
- الاعتراف بالعمل الجبار الذي قام به شيهاني لتنظيم الثورة في منطقة النمامشة ومناطق الحدود والصحراء.
- أن الإعدام قد تم في ظروف غير مقنعة قد يرشح فرضية الرغبة في التخلص منه لفسح المجال أمام عجول.
- استسلام هذا الأخير للسلطات الفرنسية في ديسمبر 1955 يزيد من الشبهات التي حامت حوله.
- رغم خطورة الوضع على حياته يقرر بن بولعيد أخذ زمام المبادرة ويشرع في رحلة تقوده من وستيلي (بني فاضل) إلى عين توتة ثم الجبل الأزرق وتيبحرين وكاف العروس وجبل أحمر خدو (أين يعلم بموت شيهاني بشير). من هذا المكان وبرفقة دورية يقودها حسين معارفي يتجه نحو ترقة ثم كباش ثم تاجموت ثم صراع الحمام، ويصل بعد رحلة شاقة إلى تدجين أين يلتقي بعاجل عجول.

في حمام شابورة تناول بن بولعيد مع عجول عدة مسائل لمعرفة وجهة نظره مثل مقتل شيهاني، والتشكيك في مصداقية فراره من السجن، وتعيين عمر مسؤولا

للإدارة والخلاف بين عمر وشيهاني ودور عباس لغرور، بعدما اطلع في كيمل على مركز جيش التحرير الوطني ووقف على تطور الحالة النظامية والتسليح والتموين والإنجازات التي تحققت في غيابه.

بعد أيام نظم عاجل عجول احتفالا بعودة بن بولعيد في تدجين بحضور بعض قادة المناطق : سيدي حني (تبسة) تيجاني (خنشلة) بن شايبة (أريس) عثماني (كيمل) والوردي قتال (سوق أهراس) وذلك في ديسمبر 1955، واعترف الجميع بسلطة بن بولعيد على المنطقة الأولى.

خصص سي مصطفى أشهر جانفي وفيفري ومارس 1956 للمسائل التنظيمية ومواجهة القوات الاستعمارية. في 11 مارس 1956 اجتمع بالجبل الأزرق بحضور عبد الحفيظ طورش، الطاهر نويشي، الحاج لخضر، علي بعزي، محمد بن مسعود، مصطفى بوستة، مصطفى رعايلي، مسعود بن عيسى، عمر بن بولعيد، أحمد نواورة، محمد الشريف بن عكشة وعبد الحميد العمراني.

من بين القرارات التي اتخذها في الجبل الأزرق تعيين سي زيان – وهو من العناصر المصالية والذي جاءه على رأس فوج هام من المسلحين – قائدا لمنطقة الجلفة والأغواط تحت راية جبهة التحرير الوطني.

في 13 مارس 1955 اجتمع بكيمل مع قادة مناطق سوق أهراس (الوردي قتال، أحمد نواورة، جبار عمر) وتبسة (سيدي حني) وخنشلة (التيجاني) وكيحل (بوستة) وأريس (بن شايبة وبن عكشة).

قصـة لجنة التحقيق في سوق أهراس

من المسائل التي اكتنفها كثير من الغموض تشكيل لجنة للتحقيق في ناحية سوق أهراس، يكون بن بولعيد قد أمر بتكوينها في اجتماع كيمل يوم 13 مارس 1955[66].

عندما استفسر بن بولعيد قائد المنطقة الوردي قتال حول كيفية تطبيق أمر منع التدخين الذي أصدره شيهاني بشير (بحجة أن مداخيل الجباية حول التبغ تساهم

66) لجنة التحقيق ضمت محمد العيفة، عبد الوهاب عثماني وعمار دونة، كما كان محمد العيفة مكلفا أيضا بمهمة اللقاء مع أحمد محساس ممثل بن بلة في تونس. عند اللقاء يقول العيفة محمد بأن البيت الذي اجتمعنا فيه قد تم تفخيخه (لم يذكر الفاعلين) مما أدى إلى مقتل أحد المجاهدين وجرح آخر من سكيكدة اسمه مواتس صاليح، الوطن، 19 مارس 2009.

في ميزانية الجهد الحربي الفرنسي)، تبين – حسب معلومات تكون قد وصلته – بأن المعني كان يدخن أمام الجميع مستثنيا نفسه من القرار. يكون بن بولعيد قد قرر تجميد قيادة الوردي قتال مؤقتا واستخلافه بنوابه أحمد نواورة وجبار عمر وتشكيل لجنة تحقيق في الموضوع[67]، وفي السياق يكون قد كلف أحمد نواورة بدراسة إمكانية عقد مؤتمر وطني في منطقة سوق أهراس. وفي هذه النقطة بالذات تضاربت الروايات بين النفي والتأكيد، لكن مما لا يدعو أي مجال للشك هو أن هذا الموضوع هو بداية الخيط الذي أدى إلى اغتيال جبار عمر لاحقا. وهذه قصة أخرى سنعود إليها في حينها.

بعد 14 مارس 1956 يتجه سي مصطفى نحو الجبل الأزرق لتحضير اجتماع نارا الذي أراده أن يكون حاسما. قرارات هامة كان سيتخذها على ضوء المعلومات التي تحصل عليها بعد الاستماع إلى جميع القادة المحليين. أسبوعين قبل اغتياله كان فكر الشهيد منصبا على كيفية التعامل مع الإشكاليات التالية :

– الفصل في الخلاف بين عجول وبن عيسى الذي وصل إلى حد التصادم بين المجاهدين.
– غياب عباس لغرور – رغم المراسلات الكثيرة له – المعني كان مجروحا على إثر اشتباك مع العدو مما ألزمه فترة من العلاج. كان على عباس أن يفسر أمر اغتيال شيهاني بشير.
– الفصل في الخلاف بين عمر وبن بولعيد وعباس.
– ربط الاتصال مع قيادة الشمال القسنطيني وجرجرة والوفد الخارجي لبحث مسائل المستجدات الكثيرة التي ظهرت في الأفق، وضرورة تنسيق الجهود والاتفاق على أرضية عمل مشتركة. ولقد أرسل في هذا الصدد لعموري محمد.

67) محمد العربي مداسي، مرجع سابق، ص 170.

اغتيـال مصطفى بن بولعيـد

تعددت الروايات حول ظروف اغتيال القائد مصطفى بن بولعيد، لكنها جميعها لم ترق إلى مستوى الكشف عن تفاصيل عملية الاغتيال وعن الجهة التي دبرت وخططت وعن الأطراف التي نفذت وتواطأت وشاركت في الجريمة.

الروايـات المتداولـة

تتفق غالبية الروايات على أن مصطفى بن بولعيد قتل مع مجموعة من رفاقه يوم 23 مارس 1956 بدوار نارا في قلب الأوراس على إثر انفجار جهاز لاسلكي للاتصالات (إرسال واستقبال).

– تحدثت مصادر عن يوم 22 مارس وأخرى عن 23 و28 مارس.

– تكلم البعض عن جهاز راديو بمعنى مذياع. هذا الخلط راجع حسب اعتقادنا إلى التطابق اللغوي في اللغة الفرنسية بين جهاز راديو وجهـاز إرسال باعتبارهما من صنف تكنولوجي واحد.

ولفظة « بوسط » كانت أكثر استعمالا في العامية للدلالة على أجهزة الاتصالات، أما لفظة راديو فكانت عادة ما تصف جهاز الأشعة السينية في مجال الطب عند عامة الناس في الشرق الجزائري. على كل، أداة الجريمة تنحصر في جهاز الاتصالات ولا تخرج عنه.

يكمن الاختلاف إلى حد التناقض في سرد الظروف والملابسات والحيثيات وكيفية وصول الجهاز إلى مصطفى بن بولعيد، بالإضافة إلى تحديد هوية الجهة التي قامت بتفخيخه.

يقول الطاهر سعيداني أحد ضباط جيش الحدود في القاعدة الشرقية في كتابه « القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض[68] » : « **... وشاءت الأقدار بعد اغتيال مصطفى بن بولعيد أن تنتصر الكتيبة التي كان يقودها لخضر بلحاج والتي تمكنت من الحصول على غنيمة تتمثل في مدفع عيار 75 مم، وفي طريقنا لتهنئة الكتيبة على انتصارها وجدنا وسط المجاهدين جنديين من الألمان واللذين كانا مجندين في اللفيف الأجنبي الفرنسي حيث التحقا بجيش التحرير... أحدهما يدعى "علي الألماني" اعتنق الإسلام وظل يعمل في صفوف المجاهدين، وكان متخصصا في المتفجرات فطلبنا منه من باب الفضول كيف تم تلغيم المذياع الذي أعطي للشهيد مصطفى بن بولعيد. فأجابنا أنه لم يكن يعلم بأن المذياع الذي أتاه عاجل عجول من أجل تلغيمه كان موجها للانفجار في وجه مصطفى بن بولعيد لقتله، بل أنه ظن أنه سيرسل إلى شخص خائن كما قال له عجول. هذا ما أجابني به "علي الألماني" وأشهد به أمام الشهداء والتاريخ** ».

هذا الطرح تؤيده السيدة نبيلة ابنة الشهيد بن بولعيد في استجواب ليومية النهار[69] : « **إنني بحثت إلى أن اكتشفت أن استشهاد والدي كان خيانة في المكان الذي كان فيه** » وتدعم اعتقادها بالقول : « **فمؤخرا التقيت بالأمين العام لمنظمة المجاهدين السيد عبادو وقال لي أنه قرأ كتابا جديدا يقول أن عجول هو من وضع القنبلة التي انفجرت وقتلت والدي بعد أن صنعها « علي الألماني » الذي كان متخصصا في صنع القنابل** » **وبنفس المنطق تقول المتحدثة** : « **قصة الظرف الذي يحتوي على جهاز الراديو الملغم، الذي رماه المظلي الفرنسي من الطائرة قصة خيالية وغير مقبولة، فما سمعته هو أن البيت الذي كان فيه أبي كان ملغما وحجم القنبلة كان كبيرا، ومجرد جهاز بسيط لم يكن ليحدث الدوي الكبير، فقد تم تلغيم البيت الذي كان سيجري فيه الاجتماع** ».

السيد إبراهيم لحرش أحد إطارات وزارة التسليح والاستعلامات إبان الثورة التابعة لعبد الحميد بوصوف يكشف في كتابه « الفارون... الجواسيس[70] »

68) الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزاير، 2001، ص 126.

69) جريدة النهار، 21 ديسمبر 2008.

70) Brahim Lahrèche, *Les déserteurs... espions*, Imprimerie El Maarif, Annaba, 2007

اعتمادا على إحصائيات وزارة الإعلام في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بأن عدد الألمان الفارين من اللفيف الأجنبي عند تاريخ 23 جويلية 1960 بلغ 2071 غالبيتهم تم ترحيلهم نحو بلدهم الأصلي تفاديا لخطر الاختراق. البعض منهم خدموا في صفوف جيش التحرير الوطني وثلاثة منهم اتخذوا اسم « علي » واعتنقوا الإسلام وتزوجوا بجزائريات.

نفس المصدر يقول في الموضوع الذي يهمنا في هذا المقام[71] : « **بعد الاستقلال تم نشر دعاية مفادها أن أحد الفارين الألمان المدعو « علي » قد يكون صاحب جهاز الراديو المفخخ الذي انفجر في وجه الشهيد العقيد مصطفى بن بولعيد قائد ولاية الأوراس** ».

أربعة وخمسون سنة من وقوع الجريمة تبقى « نظرية المؤامرة » راسخة في أذهان الكثيرين ممن كان لهم شرف تحرير الجزائر.

يرى الأمين الولائي السابق لمنظمة المجاهدين بقسنطينة السيد عبد القادر زموري في تصريح ليومية النهار بتاريخ 12 مارس 2009 : « **أن الشهيد بن بولعيد قتل من طرف جزائريين معتبرا – حسب وجهة نظره – أن السبب الكامن وراء الغدر به هو قيامه باختيار شيهاني بشير خليفة له على رأس الولاية التاريخية الأولى وذلك قبل ذهابه إلى طرابلس. وهي الخلفية التي كانت وراء عدم استساغة الكثير من المسؤولين وقادة الولاية القرار المتخذ من طرف بن بولعيد حيث استصغروا شيهاني الذي كان أقلهم سنا... إن بعض القادة في الولاية الأولى قاموا بتدبير اغتيال بن بولعيد مباشرة بعد عودته ومحاولته فتح ملف اغتيال خليفته شيهاني... إن الجميع كان يعتقد أن بن بولعيد لن يعود خاصة بعد سقوطه في قبضة الاستعمار الفرنسي وحبسه في سجن الكدية، قبل أن ينجح في الإفلات من قبضة العدو** ».

يرى المجاهد عبد القادر زموري : « **لقد مات مع بن بولعيد في نفس الكمين الذي نصب له خمسة أشخاص فيما جرح ثمانية، مشيرا إلى أن هناك من تخلفوا عمدا ولم يدخلوا إلى البيت المفخخ** ». آخر التأكيدات جاءت بها شهادة محمد العيفة أحد عمالقة ثورة التحرير والرفيق الذي لازم بن بولعيد من فراره من سجن الكدية إلى غاية استشهاده[72] : « **لقد التقيت "علي الألماني" بعد**

71) نفس المصدر السابق.

72) *EL Watan* du 19 Mars 2009

مدة، لقد أقسم لي بأنه هو الذي وضع المتفجرات في جهاز الراديو ولكن كانت تنقصه البطاريات. لم يكن يعلم بأن هذه القنبلة ستؤدي إلى قتل الأخ سي مصطفى ». بين الشهادات والاستنتاجات المنطقية أو المتسرعة، وبين الروايات والقراءات الموجهة، تطفو على السطح الانفعالات والتأويلات والرغبات البريئة لمعرفة الحقيقة وتتشابك خيوط المسألة مع تقادم الزمن. فلا مناص في مثل هذا الموضوع الحساس بحكم قداسة الثورة وعظمة رموزها من الاستناد إلى الرأي المؤسس والواقعة الموثقة والبرهان المنطقي والقراءة الموضوعية وتحكيم أدوات الدراسة والتحليل العلمي.

الروايات التي تجرم المخابرات الفرنسية

كان الشهيد الرمز مصطفى بن بولعيد أعظم بكثير مما وصفه البعض، أعداؤه الأوائل من قادة الاستعمار كانوا يدركون حجم خطورة الرجل على الوجود الكولونيالي في الجزائر بسبب دوره الريادي المتميز في تحضير وتنفيذ ومتابعة انتشار الثورة. هؤلاء هم المستفيدون الأوائل من تصفيته لإزاحة عقبة أكيدة في وجه مشاريعهم. فلنبحث في هذا الاتجاه.

لرفع اللثام عن بعض الحقائق حتى ولو كانت جزئية فلا مفر من المجازفة في الخوض واستكشاف دهاليز جهاز المهمات القذرة والدنيئة، أي المخابرات الفرنسية باستغلال ما تيسر من مراجع – على ندرتها – والتدقيق بين السطور في بعض التسريبات العرضية التي جاءت بها المصادر الفرنسية في سياق سردها لوقائع وأحداث تتعلق بمسار الأجهزة الأمنية الفرنسية أو التي تتناول سير الشخصيات التي أشرفت عليها وانتمت إليها ونفذت عملياتها الميدانية التي مازالت لحد الساعة محاطة بالسرية والكتمان.

الإشارة الأولى نجدها في التفاتة المؤرخ الجزائري محمد عباس في كتابه « ثوار... عظماء » الذي يستعرض في سياق سرده لمختلف الروايات حول الجريمة حيث يقول : « والعملية كانت من تدبير المخابرات الفرنسية بواسطة « مصلحة العمليات » وضعت خطتها في باريس ونفذتها فصيلة كومندو جاءت في مهمة خاصة من فرنسا ونزلت بين القوات الفرنسية المرابطة في منعة[73] ».

73) محمد عباس، مرجع سابق، ص 20.

هذا الطرح يجد كل الدعم في اعترافات كلود فور أحد العناصر القيادية الكبيرة في جهاز المخابرات الفرنسية آنذاك SDECE، والتي تضمنها كتابه « في خدمة الجمهورية[74] » والاستجواب الذي أدلى به ليومية *Liberté* الجزائرية[75]. المعلومات المؤكدة التي جاء بها تحدد بكل وضوح المستوى السياسي في دوائر الحكم الفرنسي الذي اتخذ قرار الاغتيال والجهة الأمنية التي تولت التخطيط وطبيعة الوحدة العسكرية التي قامت بالتنفيذ.

اعترافات كلود فور

هذا الضابط السامي الذي ارتبط اسمه بالمخابرات الفرنسية منذ نشأتها خلال الحرب العالمية الثانية إلى غاية مغادرته لها في السبعينات من القرن الماضي يعترف بأن : « رئيس المجلس الرئاسي، أي رئيس الجمهورية الرابعة، وفق مؤسسات الحكم في ذلك الوقت بيار منديس فرانس أمر كل من وزير الدفاع الجنرال كونيغ ووزير الداخلية فرنسوا ميتران بتجنيد كافة الوسائل للتصفية الجسدية لقادة الثورة وإخمادها في مهدها في أقرب الآجال ». هذا الاعتراف الصريح والعلني لوحده يحوّل استشهاد بن بولعيد إلى جريمة دولة لأن الأمر بالاغتيال لا يستند لأي مرجعية قانونية معروفة في تشريعات الدولة الفرنسية في ذلك الوقت، وهذا موضوع نتركه للمختصين.

حسب كلود فور دائما فمنذ شهر ديسمبر 1954 تم استقدام – إلى الجزائر – الفيلق الضارب الحادي عشر الجناح العسكري للمخابرات الفرنسية لضرورة العمليات الخاصة.

هذا الإجراء الأمني جاء بالموازاة مع التسرع في إيجاد غطاء قانوني لإضفاء الفعالية على الضربات الدنيئة للأجهزة الخاصة. بموجب قرار مشترك بين الوزارات صادر يوم 11 ماي 1955 والمحدد لاستراتيجية الاستعلامات الفرنسية والمتضمن لقائمة الأولويات، تم تنصيب لجنة خاصة سميت بلجنة الجزائر لدى العقيد مرسيي مدير المخابرات. المهام الاستعجالية حددتها حسب شهادة كلود فور في نقطتين وفق هذا الترتيب :

74) Claude Faure, *Aux services de la Rèpublique...*, Editions Fayard, Paris, 2004, p. 137

75) Le journal *Liberté* du 1 novembre 2001

1. تصفية قادة الثورة.
2. تفكيك شبكات التسليح.

والجدير بالذكر هنا أن المعنيين بأمر التصفية الجسدية وفق مفاهيم وتعابير ضباطهم هم قادة المناطق (الولايات) بالإضافة لأعضاء الوفد الخارجي وكل من نابهم أو عوضهم لسبب أو لآخر Les chefs politico-militaires

يأتي مصطفى بن بولعيد على رأس القائمة باعتباره قائد الأوراس النمامشة بؤرة التمرد والضامن لاستمراريتها وانتشارها والموحد لعشائر وقبائل المنطقة ضد العدو الحقيقي. أما بالنسبة لشبكات التسليح فقد حدد مجال العمليات في الصحراء وتونس وليبيا والناظور والجنوب المغربي في بداية الأمر، وتوسع في نهاية عام 1955 ليشمل تجار الأسلحة في إسبانيا وإيطاليا وألمانيا وفرنسا نفسها. تحديد مجال مكافحة شبكات التسليح تم على أساس معاينة نوعية الأسلحة والذخيرة المستعملة في بداية الثورة.

يعترف كلود فور دون تردد وبكل صراحة : « **أما فيما يخص النقطة الأولى – أي تصفية القيادات – نذكر العملية التي استهدفت قائد الولاية الأولى (المنطقة الأولى قبل مؤتمر الصومام) بواسطة جهاز لاسلكي مفخخ، والمخطط الفاشل لتصفية أحمد بن بلة في القاهرة** ».

الأمثلة التي ساقها هذا الضابط السامي المطلع على خبايا الأشياء ليست بريئة. إنها تعطي فكرة واضحة حول الترتيب والأهداف في برنامج المخابرات الفرنسية التي لم تكن تجهل – على الأقل منذ شهر ماي 1955 حين اعتمدت حكومة إدڤار فور مبدأ الاغتيالات – خطورة بن بولعيد. كانت منطقة الأوراس يومها بؤرة الزلزال الذي انتشرت أمواجه بكل قوة في كل الاتجاهات. أما بن بلة الناشط مع إخوانه في الخارج فكانت المهمة الأساسية التي كلف بها تتمثل في ضمان تسليح الثورة والترويج لها دوليا.

عند مطلع سنة 1956 تشكلت لدى أركان المخابرات الفرنسية صورة واضحة حول شخصية بن بولعيد وحول منطقة الأوراس التي كانت قبل 1954 خارج مجال اهتمام السلطات الفرنسية بسبب فقرها وقلة التواجد الأوروبي فيها وانعدام الموارد القابلة للنهب. هذا المجال المنسي أصبح القاطرة التي جرت باقي الوطن نحو الانتفاضة العارمة، رغم شروع الجنرال برلانج القائد الميداني والعسكري لمنطقة الأوراس النمامشة منذ تعيينه في السابع من ماي 1955 في العمليات القصرية

لتجميع السكان حول مراكز الجيش لتظهر للوجود محتشدات مشونش وتاكوت وبوحمامة ومنعة، ورغم توسيع المناطق المحرمة التي تفنن في رسم خرائطها الجنرال فانوكسيم.

بن بولعيد في ميزان المخابرات الفرنسية

شرع الجنرال شاريار منذ الأيام الأولى للثورة في إنشاء مراكز استعلامات عملياتية. كل السياسة الاستخبارتية بنيت اعتمادا على معايير تجربة الأجهزة الأمنية في الهند الصينية. من المفيد لاستيعاب الكثير من الأحداث التي عاشتها الثورة في الأوراس وعبر كامل الوطن التذكير بأن الخيارات السرية تمثلت في هذه العناصر العملية : الاختراق، الجوسسة، التأليب، الدعاية المغرضة، الابتزاز، المساومة، الاستمالة، الفتنة، إذكاء النعرات القبلية والعشائرية والجهوية والدينية، والنبش في الخصوصيات المحلية، وتجنيد القوة المضادة من السكان المحليين، بالإضافة إلى العمليات الخاصة والسرية وتصفية العناصر الفاعلة.

لا يفوتني هنا أيضا التذكير بأمرين في غاية الأهمية :

1. لاعتبارات نفسية ومزاجية يتبين أن غالبية إطارات المخابرات الفرنسية والقادة الميدانيين للجيش الفرنسي قد سبق وأن عملوا في الهند الصينية، وجاءوا للأوراس وهم مثقلون بهزائمهم هناك مما يفسر الدرجة العالية للعدوانية التي ميزتهم في التعامل مع الأحداث والمواقف في الجزائر.
2. أن كثيرا من العمليات السرية للمخابرات الفرنسية في الجزائر وظفت في الصراعات السياسية الفرنسية نفسها وفي تصفية الحسابات بين مختلف الأجهزة الأمنية (تسريبات، عمليات مضادة، معلومات مزيفة، افتراء. . .).

هذه المعطيات لوحدها كافية لجعل بن بولعيد الهدف رقم1 على لائحة المرشحين للاغتيال، خاصة بعد نجاحه في قيادة عملية الفرار الجماعي الناجح من سجن الكدية بقسنطينة دون أن تنال السلطة الفرنسية منه شيئا أو تتحصل على أبسط تنازل.

يقول فنسان مونتايل المبعوث الخاص للحاكم العام المعين جاك سوستيل بعدما حاول استدراج واستمالة بن بولعيد لما كان في الأسر في تونس : « **إنني**

خرجت بانطباع راسخ بأن بن بولعيد رجل مؤمن بالثورة... وأن حافزه الأساسي في الدفاع عن شعبه هو كرهه للجور والطغيان الذي مارسته فرنسا ضد الشعب الجزائري. إنه لن يلين وسيقاتل إلى آخر رمق دفاعا عن الشعب ووحدة الجزائر واللغة العربية[76] ».

بعد الفرار من السجن واستعادة قيادة الأوراس لم يعد بن بولعيد خطرا على مصالح الكولون فحسب، بل عقبة أكيدة في وجه مشاريع سوستيل وحلول الحكومة الفرنسية، خاصة إذا علمنا أن المتحاور فنسان مونتايل قد قام موانديس فرانس بتعيينه مباشرة رئيسا للديوان العسكري لجاك سوستيل. لقد كان العين الاستخبارتية للسلطة الباريسية في الجزائر. أتعجب لأمر كثير من المؤرخين الذين أخفوا هذه الصفة وقدموا مونتايل كمجرد ضابط محقق.

يقول العقيد هنري لومير[77] : « **سوستيل من خلال رغبته الأكيدة في معرفة ما يريده المسلمون، لم ينسَ بأنه مختص في علم السلالات البشرية وبأنه كان قائدا للمخابرات الفرنسية زمن الحرب العالمية الثانية. كان يريد معرفة نوايا عدوه** ». الإشارة هنا واضحة، الأمر يتعلق ببن بولعيد.

يضيف هنري لومير : « **فنسان مونتايل المنتدب لدى ديوان سوستيل العسكري عمل كضابط لمدة 10 سنوات في المغرب و6 سنوات كملحق عسكري في المشرق العربي، آخر مهامه في ديوان كريستيان فوشي سمحت له بالقيام بالعديد من المهمات في تونس وفي المغرب عندما كانت المفاوضات حول استقلال هذين البلدين تجري بوتيرة سريعة** ».

هذا التوضيح يعطي فكرة ضمنية حول طبيعة الحلول المطروحة في تصور الجانب الفرنسي في ذلك الوقت، إصلاحات ترقيعية لا ترقى حتى لمستوى الحكم الذاتي.

عند اللقاء في تونس بين القائد الأسير والضابط المكلف بجس النبض – حسب هنري لومير دائما – كان كل طرف يريد معرفة نوايا الطرف الآخر. بن بولعيد كان يوجه النقاش حول أوضاع المسلمين المتردية في جميع المجالات من جراء السياسة الاستعمارية.

---

76) محمد عباس، ثوار... عظماء، مرجع سابق، ص 56.

77) Henri Le Mire, *L'Histoire militaire de la guerre d'Algérie*, Edition Albin Michel, Paris, 1982, p. 30-31.

عند عودته إلى الجزائر، قدّم المبعوث الخاص تقريرا أوليا حول المهمة في تونس، لخصه هنري لومير في العناصر الآتية :

1. في الأوراس لا يزيد عدد الثوار عن 360 عنصرا يفتقدون لأبسط الضروريات وعلى وشك الاندثار. العلاقات بين الداخل والخارج ضعيفة.
2. الوضعية السياسية في الجزائر خطيرة، من العاجل تطبيق دستور 1947.
3. يجب فتح الحوار مع جميع الأطراف بمن فيهم المتمردون.

مونتايل يؤكد على الضرورة الملحة لوقف العمليات العسكرية والحملات القمعية لأنها لا تجدي نفعا وتخلق آثارا لا يمكن محوها. يبدو له من المستحيل تطبيق حل شبيه على الطريقة التونسية[78].

هذا التقرير يسمح بقراءات هامة ويستوجب ملاحظات ضرورية نوجزها في الآتي :

1. تقدير عدد مجاهدي الأوراس جاء بناء على المعلومات الواردة في الوثائق التي كانت في حوزة بن بولعيد عندما تم إلقاء القبض عليه (معطيات إحصائية غير اسمية).
2. حالة المجاهدين الصعبة وضعف التواصل بين الداخل والخارج كانت لا تحتاج لأي استنتاج، فيمكن لأي كان أن يفهم أن أسر بن بولعيد عند الحدود الليبية – التونسية سببه إصرار هذا الأخير على ربط الاتصالات مع الوفد الخارجي الذي كان بدوره يعاني من صعوبات خاصة به.
3. لقد انتصر بن بولعيد على خصمه بإخفاء الحقائق الميدانية للتنظيم الثوري كما تركه في الأوراس بتوجيهه للنقاش حول الأوضاع العامة ودوافع الثورة.
4. لقد نجح بن بولعيد – بحرفية نص التقرير – في إيصال مطالب جبهة التحرير الوطني وشروطها للسلطة الاستعمارية من خلال مبعوث الحاكم العام والنافذ في أوساط صناع القرار في باريس. حسب الكاتب دانيال غيران[79] يكون بن بولعيد قد قال لفنسان مونتايل : « **أنا مع مجلس تأسيسي جزائري** » (مطلب محوري في أدبيات الحركة الوطنية منذ نجم شمال إفريقيا).

(78) *Op. cit.*, p. 35

(79) Daniel Guérrin, *Quand l'Algérie s'insurgeait 1954-1962*, Editions Pensée Sauvage, Paris, 1979, p. 45.

5. لقد نجح بن بولعيد رغم كونه أسيرا في إقناع محاوره بأن الأوضاع لم تعد كما كانت قبل 1 نوفمبر 1954 وأن الوضعية السياسية صارت فعلا خطيرة على الوجود الفرنسي في الجزائر – في أقل من نصف عام على اندلاع الثورة – وأن جبهة التحرير الوطني أحدثت واقعا جديدا أصبحت تمثل فيه رقما صعبا في معادلة الصراع الناشئ وطرفا لا يمكن تجاوزه في أي تصور لأية صيغة لحل المعضلة الجزائرية.
6. رغم أن بن بولعيد كان قائدا للأوراس وأن حدة التمرد مازالت محصورة فيه عند إلقاء القبض عليه، إلا أنه تكلم مع فنسان مونتايل من منطلق القائد الوطني : « **فات الأوان فالآلة انطلقت ولاشيء يوقفها حتى تحقيق الاستقلال** » **جواب ظريف لكنه صارم** « **لقد جربنا كل شيء (مع الاستعمار) الخيار واضح بالنسبة إلينا : الحرية أو الموت**[80] ».
7. أغلق بن بولعيد باب المساومات والتخاذل والتنازلات وشراء الذمم بفرض نفسه كرجل مبدئي ملتزم غير مستعد للعب أي دور انهزامي، وهذا ما يفسر الأحكام القضائية القاسية التي صدرت في حقه وقرار الاغتيال بعد فراره من السجن. لما يأس منه فنسان مونتايل راح هذا الأخير يبحث عن متحاورين آخرين في الأوساط الوطنية خارج جبهة التحرير الوطني حيث زار خلال شهر فيفري وبداية مارس 1955 في الحبس كل من بن خدة وكيوان ودبر لقاءً بين سوستيل ومسؤولين من جمعية العلماء (الشيخ خير الدين) والمصاليين (وقواق) والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (الدكتور أحمد فراسيس) ومن المركزيين (شرشالي). لكن هنا أيضا فهم ضابط المخابرات مونتايل ومن معه بأن عجلة التاريخ لا تدور للوراء، وأن الذين اتصل بهم تتجاوزهم الأحداث وأن المبادرة صارت بيد المقاتلين في الجبال. قبل عودته إلى فرنسا متأثرا بجدار العنصرية والتعنت الذي وجده لدى كولون الجزائر وقادة الجيش ومصابا بخيبة أمل بسبب فشل مهمته، استقال فنسان مونتايل من منصبه كرئيس ديوان سوستيل العسكري دون أن ينسى تحذير رئيسه : « **بأن أحداثا استثنائية وجديدة تعمل على زعزعة الوجود الفرنسي في الجزائر** » وبكثير من الصراحة : « **إنني مقتنع بأننا نتوجه نحو الكارثة** ». على كل

(80 Belaïd Abane, *Les fusils de la rébellion, op. cit.,* p. 179

الكلمات لا تعني نفس المعاني. المنظور يختلف بين السجّان والسجين وبين الضحية والجلاد. كابوس مونتايل هو بالضبط حلم بن بولعيد. التركيز على هذه المعاينات التي لم تلقَ حقها في الدراسات التاريخية الوطنية يرسم بلا شك الظرف العام لاغتيال الشهيد مصطفى بن بولعيد.

خطورة الرجل لا تكمن في مسؤوليته المباشرة في قيادة الثورة فحسب، بل في نوعية الرجال الذين يخشى الاستعمار التعامل معهم. عوض أن تفتح السلطات الفرنسية أعينها على حقائق طالما تجاهلتها، تتحرك الدوائر الأكثر تمسكا بخرافة « الجزائر فرنسية » لقطع الطريق أمام أي حوار مع طلائع الشعب الجزائري، وينتصر أنصار الحل الأمني العسكري في التعامل مع الثورة. كان الاعتقاد السائد لدى قيادات أركان الجيش الفرنسي وضباط مخابراته بأنه يمكن إخماد التمرد وتحييد العناصر النشطة وتصفية القادة الراديكاليين في آجال لا تتعدى نهاية سنة 1956، وكان مبرمجا أن يعدم السجين مصطفى بن بولعيد على غرار أحمد زبانة في تلك الأثناء وتنتهي المسألة. سيناريو فاشل لمنظرين فاشلين.

صناع قرار الاغتيال

تسمح بعض المعلومات – على قلتها – بإعادة تركيب الهياكل والأجهزة التي قررت ودبرت وخططت ونفذت عمليات الاغتيال والتصفية الجسدية والعمليات السرية بما تمكنه القراءة بين السطور في المذكرات والمؤلفات التي تتعلق بكبار قادة الأجهزة الأمنية من أمثال دونيس ويبو ولوروا فنفيل وغيرهم، مع العلم أن هامش التسريبات ضيق جدا وأن الاطلاع على الأرشيف في هذه المسائل ضرب من المستحيل.

أجهزة الظل

غرفة إدارة الحرب

هذه اللجنة السرية أعضاؤها يجتمعون دوريا بمقر المخابرات المركزي في باريس الضاحية، مداولاتها غير قابلة للتدوين، توصياتها شفاهية، تعليماتها إلزامية تتكون من ممثل خاص مفوض من طرف رئيس الحكومة وممثل شخصي لرئيس الجمهورية وقادة جميع الأجهزة الأمنية، مهمتها إعطاء الضوء الأخضر للعمليات

الخاصة خارج التراب الفرنسي وخاصة الاغتيالات انطلاقا من مشاريع الخطط التي تقدم لها حول الأشخاص الخطرين على المصالح الفرنسية.

في موضوع بن بولعيد كانت النية – عندما كان في الأسر – تتوجه نحو إعدامه بعد استكمال المحاكمات المتابع فيها عن طريق تنفيذ الأحكام الصادرة في حقه، لأن أحداث الجزائر كانت توصف « بعمليات حفظ الأمن ».

بعد الفرار جن جنون المسؤولين في باريس وأعطيت الأوامر بتصفيته مهما كانت الطريقة. اعتقدوا أن بقاءه حيا سببه جهل مصالح الأمن بحقيقة هويته وتواجده بالتراب التونسي في فترة مفاوضات بين التونسيين والفرنسيين حول كيفية منح تونس الاستقلال، قتل بن بولعيد هناك كان من شأنه إحراج الجانبين دوليا ومحليا. أنا متأكد أنه لو ألقي القبض على بن بولعيد في الجزائر كان سيصفى فورا دون تردد مثلما حدث مع الشهيد ديدوش مراد، كما أن بن بولعيد كان سيقاتل لآخر لحظة. لقد وقع في الأسر بسبب تعطل سلاحه كما هو معروف.

لجنة الجزائر

لغايات تطبيق المخططات السرية على أرض الواقع نصب الجنرال شال – الذي كان يومئذ رئيسا لأركان القوات المسلحة الفرنسية – هذه اللجنة الدائمة لدى مدير المخابرات الفرنسية شارع مورينيي في باريس، من أعضائها :

– العقيد لوروا فنفيل مسؤول المصلحة السابعة المختص في العمليات السرية ذات الطابع التقني.

رئيس مصلحة الجوسسة المضادة

– العقيد مورلان رئيس مصلحة العمليات كان في ذلك الوقت برتبة مقدم. اسمه الحقيقي فيل لمبيك، واختار اسم مورلان نسبة إلى قرية والدته التي تقع في جبال البريني.

هذه اللجنة تتولى مهمة هندسة المخططات وتقسيم المهام والأدوار بين مختلف المصالح والتنسيق في مجال المعلومات والتقنيات والكفاءات اللازمة لإنجاح أي عملية، وتحدد الإمكانات الواجب تجنيدها من خارج المخابرات وكيفية التعامل الميداني مع مختلف الأطراف بما يضمن السرية الكاملة للعمليات.

في حالة بن بولعيد، خلصت اللجنة بعد فراره من سجنه بأن وجهته ستكون حتما الأوراس ليلتحق بمركز قيادته قبل أن يفكر في معاودة الاتصال بالخارج،

وكانت محقة في ذلك. هذا التصور يستدعي تكثيف دائرة الاستخبارات لتعقب آثاره حول المراكز المحتملة لجيش التحرير الوطني في المنطقة. كما قررت أن تكون عملية الاستهداف من تدبير المخابرات دون سواها بما في ذلك الجيش الفرنسي نفسه وباقي الأجهزة الأمنية، لضمان أكبر حظوظ من النجاح.

مصلحة العمليات الخاصة

هذه المصلحة كان يقودها العقيد مورلان برتبة مقدم زمن الأحداث التي تهمنا. كانت تضم 150 ضابطا و450 صف ضابط وجندي عامل، بالإضافة إلى 780 احتياطيا من العناصر المتعددة الاختصاصات والكفاءات والمهن والمدربة تدريبا مستمرا في دورات منتظمة، تجمع بين الحياة المدنية العادية والحياة السرية العسكرية، وتقوم بعمليات خاطفة تحت الطلب محددة في الزمان والمكان كلما دعت الحاجة إلى ذلك، تمارس مهماتها ومأموريتها تحت غطاء أسماء مستعارة ووثائق مزورة لا تعرف هويتها الحقيقية إلا من طرف قادة الجهاز.

ليستوعب القارئ الكريم طبيعة هذا الاحتياطي الشبح والقوة الغادرة الكامنة، نقول أنه أنشئ سنة 1948 كقوة احترازية سرية على خلفية هزيمة فرنسا أمام الألمان، هدفه تنظيم المقاومة في حالة اجتياح الأراضي الفرنسية من طرف « السوفيات »، الخطر المحتمل في ذلك الوقت. هذا ما يدعيه الذين بادروا إلى تأسيسه.

في الواقع لعبت هذه الآلة الجهنمية دورا هاما متخفيا في الصراعات الداخلية الفرنسية لصالح الديغوليين، ناهيك عن عرقلة كل توجه تفاوضي أو معتدل لأي حكومة فرنسية كانت، بالإضافة إلى عمليات التصفية ضد قادة التحرر في تونس (فرحات حشاد) وفي المغرب والجزائر. يكفي أن نشير إلى أن منظمة « اليد الحمراء » الإرهابية الوهمية كانت الغطاء الذي تحركت تحت ظله عناصر المخابرات. لعبت هذه المصلحة كذلك دورا هاما في تغليب النزعة العسكرية وسيطرة الجيش على مقاليد الحكم في الجزائر من خلال زرع عناصرها في مختلف الوحدات القتالية والإدارة وجهاز العدالة وغيرها، كما لعبت الدور المحوري في عودة الجنرال ديغول سنة 1958 للسلطة، وانتهى بها الأمر إلى القيام بدور عفن في إنشاء وتسيير منظمة الجيش السري عشية استقلال الجزائر. باختصار كانت وراء كل العمليات الدنيئة خلال حرب التحرير وهذا موضوع آخر.

القوة الضاربة الحادية عشرة

شكلت هذه القوة الجناح العسكري للمخابرات الفرنسية. في بداية الثورة استقدمت منها المجموعة الخفيفة للتدخل، ثم نصف اللواء للمظللين الكومندوس الحادي عشر، هذه الوحدة أنشأها وقادها العقيد قودار بين 1953 و1955 ثم العقيد بيار دوكورس بين 1955 و1957 ثم المقدم دوبوير. لأكثر دقة في الفهم ضمت هذه القوة :

- الفيلق الحادي عشر المظلي الضارب المرابط أصلا في بربينيان وكوليون وجبل لويس.
- الفيلق الثاني عشر الضارب في كالفي
- مركز تدريب الاحتياطيين المظليين المتطوعين في سيركوت التابع للمخابرات والذي كان يشرف عليه بول أوزاريس المشهور عندنا بقمع المواطنين بعد أحداث 20 أوت 1955 في سكيكدة وقتل العربي بن مهيدي على إثر معركة الجزائر سنة 1957.

العملية التي تحدث عنها كلود فور قامت بها المجموعة الخفيفة للتدخل مثلما سنعرف.

هذه الإسهابات لا نرمي من ورائها إلى إثقال كاهل القارئ الكريم بتفاصيل قد تعني المختصين أو مشوقة لتظليله، بل نريد أن نرسم حقيقة المشهد التاريخي بواسطة تسليط الضوء على الترسانة التي تولت مهمة اغتيال قادة الثورة. المجاهد العقيد مصطفى بن بولعيد سقط أمام جهاز جبار امتهن دون رحمة ولا شفقة مهنة القتل الجبان تجنبا لمواجهة الرجال.

مخطط الاغتيـال في صيغته الأولى

التاريخ	1955/12/26
المكان	إحدى غرف منتجع سري تابع للمخابرات بغابات أورليان.
الموضوع	جلسة عمل لدراسة مخطط اغتيال العقيد مصطفى بن بولعيد قائد منطقة الأوراس النمامشة.

اسم الشارة	كونتات أوبيراسيون (Cantate Opération)
الخلفية	أوامر ملحة من أعلى مستوى سياسي للتعجيل بتصفية بن بولعيد بعد تمكنه من الفرار من سجن الكدية بتاريخ 1955/11/10.
الحضور	– المقدم مورلان : رئيس مصلحة العمليات. – النقيب كروتوف نائب مورلان ومسؤول مركز التدريب في سيركوت والمكلف بإعداد مشروع مخطط الاغتيال. – المقدم إفرارد أحد قدماء الجهاز في الهند الصينية وقائد المجموعة الخفيفة للتدخل GLI الوحدة المرشحة لتنفيذ العملية والتي تتوفر على محطات سرية لخدمات مصلحة العمليات في سكيكدة وتيبازة وذراع الميزان وباتنة. – النقيب دوروي المكلف بالتنسيق العام الميداني بين مختلف مصالح المخابرات وقادة وحدات القوة الضاربة في الجزائر.

لقد طلب المقدم مورلان من نائبه التفكير في عملية هدفها الوصول إلى أعلى مستوى ممكن باستهداف قائد ولاية من أجل زعزعة استقرارها كخطوة أولى تسمح بتشتيت صفوف المجاهدين، « الضرب في الرأس » حسب التعبير الشائع في قاموس المخابرات التي توصلت في ذلك التاريخ إلى تحديد هوية القادة الفعليين ونواياهم وحددت أخطر العناصر وأكثرها قدرة على التأثير. النقيب كروتوف وهو يستعرض المخطط : « **لقد درست العديد من الخيارات، الغاية تحقيق ضربة مضمونة في أعلى مستوى** » هذا الأسلوب في التعبير نجده لدى غالبية ضباط المخابرات في العالم الذين يتصرفون ببرودة دم وأعصاب وبواقعية كبيرة. « **مبدئيا لا أستهدف شخصا بحد ذاته لأن الأمر يتوقف على الفرص المتاحة في الميدان وخاصة على الوضعية العسكرية محليا** » هذا التحفظ أمر طبيعي لأن العملية لا تعتبر مضمونة النجاح مسبقا، بالإضافة إلى الخوف من الفشل وعدم الثقة في المعلومات المتاحة. على كل بلغة عصرنا تنفيذ عملية بهذا الحجم ليست « لعبة

فيديو »، كروتوف شخصيا سيدفع الثمن غاليا كما سنعرف. « **لقد انطلقت من فكرة قاعدية بسيطة، الوصول إلى الهدف بواسطة فخ لا يشتغل إلا بحضور قائد** » ويضيف إلى مستمعيه « **لقد درست بعناية كل الأشياء وكل السبل التي تخضع لهذه المعايير، من البندقية إلى غاية مدفع 106 مم مرورا بطرود المؤونة والملفات المزورة، أقترح صيغة جهاز الإرسال، لكن ليس أي جهاز عاديّ، جهاز أكثر حداثة قادر على جلب اهتمام قادة التمرد، جهاز أكثر تعقيدا يتطلب تشغيله وجود عامل مختص. هؤلاء الأشخاص يكتسون أهمية كبيرة فلا يجازف بهم في المعارك وعادة ما يعملون في الجوار المباشر للقادة. ومن أجل احتياطات أكبر أقترح نموذج جهاز لا يعمل إلا بواسطة التيار الكهربائي (مولدات أو بطريات خاصة) مما يعطي ميزتين :**

أولا: لا يستطيع الثوار تشغيله في أي مكان مما قد يبطل مفعول العملية.

ثانيا: بما أن الثوار لا يملكون التيار الكهربائي في معاقلهم الثانوية سيتحتم عليهم نقل الجهاز إلى مركز قيادة مهم ».

مخطط النقيب كروتوف ارتكز على مواصفات تقنية مبنية على معايير استخباراتية هامة.

1. جهاز نادر كطعم للجريمة لأنه يعلم أن الاتصالات اللاسلكية البينية كانت منعدمة في ذلك الوقت لدى جيش التحرير وأن وسيلة من هذا النوع لا يمكن أن يكون مكانها إلا مستوى عاليا. من المفيد تذكير القارئ الكريم بأن شبهة استغلال أجهزة الاتصال قد حامت حول ملابسات تعقب مسار الشهيدين عميروش وسي الحواس قبل مقتلهما بجبل ثامر يوم 28 مارس 1958. يبدو أن مصالح التصنت الفرنسية قد اعترضت مكالمة بين مركز قيادة الولاية الثالثة وقيادة الثورة في الخارج مما سمح لجيش الاستعمار بمطاردتهما. كذلك تحديد مكان الشهيد « سي امحمد » الجيلالي بونعامة من طرف القوة الضاربة للمخابرات جاء بعد عملية تصنت على جهاز الإرسال الخاص بالولاية الرابعة والنتيجة استشهاد القائد يوم 8 أوت 1961. على ما يبدو كانت هذه الأجهزة اللعينة السبب في مقتل 4 قادة رئيسيين في الثورة الجزائرية.
2. العامل المختص. تعي المخابرات الفرنسية أن الثورة تفتقد للكفاءات التقنية القادرة، فالعناصر المؤهلة على قلتها عادة ما تشكل التأطير اللازم

لمراكز القيادة وتتحرك في المحيط الضيق والمباشر للقادة. استغلال هذا المعيار كسابقه يضمن شروط الاختراق الناجح لأي عملية.

3. التموين بالطاقة (كهرباء/بطاريات) كوسيلة لتشغيل الأداة ظرف ضروري للغدر وتجاوز يقظة الضحية وإعفاء المنفذين من هاجس الزمن، لأن الجهاز سينفجر في اللحظة التي يقرر المستهدف تشغيله.

لنعد إلى غرفة العمليات، يتساءل المقدم مورلان عن نوع الجهاز وحول كيفية تفخيخه، يجيب العقل المدبر كروتوف : « **اخترنا جهاز بث واستقبال من نوع SCR 694 بعيد المدى، عادة ما تجهز به المدرعات والآليات، ولا يشتغل بواسطة بطاريات عادية بل بمولد كهربائي أو مولدة يدوية، أما التفخيخ فهذه مسألة تقنية تدخل في صميم اختصاصات الرائد لوزيرك** » المسؤول المباشر على المصالح التقنية التي تملك مخابر وورشات ذات قدرة عالية على صنع وابتكار وتفخيخ لوازم العمليات السرية، في هذا المجال يروي العقيد الطاهر زبيري بأنهم عثروا ذات مرة على علب كبريت مفخخة، كما يروي الكثيرون ممن عاشوا أحداث الثورة وقائع الأعمدة الهاتفية والكهربائية الصاعقة (لمنع قطعها) والطرود الملغمة الموجهة لكثير من أنصار الثورة الجزائرية. هذه التكنولوجيات الشيطانية كانت تصنع في ورشات المخابرات في فرنسا.

سيناريو العملية

يقترح العقل المدبر للعملية السيناريو الآتي : « **نتظاهر بتضييع الجهاز أثناء عملية إنزال جوي للعتاد والمؤونة لصالح وحدة عسكرية تتموقع قرب مركز هام لجيش التحرير، نفتعل عملية بحث فاشلة لإثارة الانتباه لدى قادة التمرد الأقربين الذين من دون شك سيستولون على الجهاز ويوصلونه إلى قائدهم في أسرع وقت** ».

عندها يتدخل الرائد دوروي لرسم أوضح صورة ممكنة حول منطقة الأوراس مجال العملية : « **المعلومات المتوفرة لحد الساعة من مختلف المصادر الأمنية وخاصة من « المكتب الثاني » (المخابرات العسكرية) تجعلني متأكدا بأن أنسب مكان لمثل هذه العملية في الأوراس هو واد عبدي انطلاقا من قرية منعة** » هذا المكان الذي يعتقد أنه يحتوي على مركز قيادي هام يتميز بصعوبة تضاريسه

وقلة سكانه وسيطرة جيش التحرير عليه وانخراط غالبية الأهالي في تنظيم جبهة التحرير الوطني حيث لا يمكن الثقة في أي كان في تلك المناطق. حسب تقرير المكتب الثاني فإن المعلومات المتعلقة بحركة الجيش الفرنسي يتم نقلها أولا بأول على مدار الساعة إلى قادة التمرد الذين هم على علم بكل أعمالنا ونشاطاتنا، كل الجزائريين مهما اختلفت أعمارهم من ذكور وإناث يقومون بواجب التبليغ وهذا ما يسميه الفرنسيون الهاتف العربي. رغم التطمينات يبدو المقدم مورلان غير متحمس للخطة، يمد يده إلى ملف بن بولعيد ويقرأ الملاحظة المسجلة في أعلاه بخط واضح : « **هدف مستعجل، عنصر خطير، للتصفية بكل الوسائل** » يفتح الملف ويرفع الصورة التي التقطت لبن بولعيد عندما ألقي عليه القبض في تونس ويتأمل كثيرا في الإشارة اللغز التي رسمها بأصابعه وهو مكبل بالقيود. ماذا تعني الإشارة ؟ لمن وجهت ؟ وهذه قصة أخرى. يستفيق المقدم مورلان من تفكيره العميق : « **طيب ! بما أنكم تتصورون أن الأمر ممكن، قوموا بذلك، سأتولى إقناع العقيد مورسيي** » عندها يتدخل كروتوف : « **بعد إذنك حضرة المقدم، سأتولى بنفسي تنفيذ العملية، فاسمحوا لي بذلك** ».

سير العملية

أسندت قيادة المهمة للنقيب كروتوف شخصيا نزولا عند طلبه. في الأسبوع الأول من شهر فيفري 1956 تم تكوين كومندوس خاص من بين عناصر مجموعة التدخل السريع التابعة للقوة الضاربة الحادية عشرة تم انتقاء 30 عنصر وفق معايير محددة :

- مظهر عام يوحي بأن العناصر من المجندين الجدد.
- تأطير يملك خبرة قتالية عالية تحسبا لأي طارئ.
- القدرة على التحكم في النفس والطاعة العمياء للأوامر لأن المهمة – كما تبين للقراء – هي التظاهر فقط.
- سرعة التأقلم مع بيئة الأوراس القاسية.

يتوجه فريق المهمة الخاصة يوم 19 فيفري 1956 من الجزائر نحو قسنطينة بواسطة القطار بزي يوحي بأنهم من سلاح الاتصالات ومن ثمة التوجه برا بواسطة

الشاحنات نحو بسكرة التي وصلوها يوم 22 فيفري 1956 وهم يحملون أسماء وألقابا ورتبا مستعارة مزيفة حفظوها عن ظهر قلب.

اندمجت الوحدة في التنظيم العسكري للمنطقة التي انتشر فيها نصف اللواء الثالث عشر للفيف الأجنبي الذي كان تحت إمرة الجنرال فانوكسيم مهندس ما أصبح يعرف بالمناطق المحرمة ورأس الحربة سنة 1958 لحرب الحدود. وهذا موضوع آخر.

تمركزت المجموعة بقيادة النقيب كروتوف ومساعديه النقيب دوروري والملازم دنجلاد بمنعة. لم يكن أي جندي على اطلاع بطبيعة المهمة سوى كروتوف وديروي.

في 1 مارس 1956 وصلت برقية من القاعدة الخلفية للمخابرات بزرالدة هذا نصها : « نطلب منكم موافاتنا في حدود العاشر من الشهر الجاري بجرد للأغطية **« Vous demandons de fournir pour le 10 du mois un état des couvertures »** و المعنى الحقيقي للبرقية « **لقد استكمل الرائد لوزيرك إجراءات تفخيخ الجهاز في مخابر باريس، استعدوا لتسلمه يوم 10 مارس** ».

تعثر المهمة

كان كل شيء يسير بشكل عادي، بعد المعركة التي وقعت في « إفري البلح » يوم 13 جانفي 1956 صار تواجد بن بولعيد في المنطقة أمرا مؤكدا، فالشهيد قاد بنفسه المعارك وخرج سالما من الحصار المحكم الذي ضرب حول المجاهدين الذين كانوا تابعين لقيادة محمد بن مسعود بلقاسمي مسؤول منطقة مشونش. في يوم 18 جانفي حدث اشتباك آخر بـ« غار علي أوعيسى » مع نفس المجموعة، بالرغم من الإمدادات الضخمة التي وصلت على جناح السرعة إلى المكان، وبعد قنبلة كثيفة تمكن الأشاوس من الثأر لشهداء المعركة الأولى. في المعركة الثانية خلّد التاريخ اسم المجاهد محمد بن صالح بن سالم القناص الذي تمكن من تصفية عدد كبير من الجنود الفرنسيين. بعد هاتين المعركتين لاحظ ضباط الجيش الفرنسي أن مقاتلي جيش التحرير الوطني ازدادوا بسالة واستماتة في القتال مما يرجح حضور القائد بن بولعيد بينهم، ولهذا تم اختيار منعة كمكان تعسكر فيه وحدة المخابرات.

الاشتباك الذي يخلط الحسابات : يوم 8 مارس 1956

على الساعة الخامسة مساء تقع دورية من اللفيف الأجنبي في كمين نصبه لها أفواج لجيش التحرير الوطني بقيادة محمد بن مسعود بلقاسمي وبن جديدي علي وحسوني رمضان وأوصايفي أحمد وبرفقتهم 200 مجاهد بالمكان المسمى « فم تغروفت ». الحصيلة مقتل 5 عساكر وفرار 6 آخرين من جنسيات مختلفة وغنم كمية معتبرة من الأسلحة، بعدها انسحب المجاهدون إلى أسفل الجبل الأزرق غربا قرب أمنطان.

مقتل النقيب كروتوف

في يوم 9 مارس 1956 عند الفجر تتمكن طائرات الاستطلاع من رصد تحركات المجموعة جنوب غرب أمنطان ولاحقت قوات الاستعمار المجاهدين بتجنيد ما لا يقل عن 3 كتائب وسرب من طائرات T6 القادمة من بسكرة والتي أمطرت مواقع المجاهدين بوابل من القنابل.

تطوع النقيب كروتوف للانخراط في المعركة لمساعدة كتائب اللفيف الأجنبي، والتحق بالمكان بواسطة مروحيات H 24 على طريقة المظليين ظنا منه أن العملية لن تكون سوى نزهة سياحية مبالغا في تقدير قوة مجموعته ومخالفا لشروط المهمة الأصلية التي جاء من أجلها والتي تلزمه بعدم المشاركة في الاشتباكات المباشرة في المعارك الميدانية إلا دفاعا عن النفس أو في حالة حصار أو عند الوقوع في الكمائن المختلفة.

وصلت وحدة كروتوف إلى مسرح العمليات على الساعة 11سا و34د ليجد نفسه محاصرا بين خطي نار لأنه بكل تهور وسوء تقدير اختار النزول بين جبهتي قتال. لتفادي القصف الجوي العنيف وإبطال مفعوله تلتحم مجموعات مجاهدين بالقوات الفرنسية. على الساعة 12سا و5د يلقى النقيب كروتوف مصرعه دون إصابة مجاهد واحد، نفس المصير لقاه مساعده وحارسه الشخصي المكلف بحمايتة الجسدية العريف فوسي.

الحصيلة حسب المصادر الجزائرية 50 قتيلا في صفوف الاحتلال وإصابة 25 مجاهدا بين شهيد وجريح. دامت المعركة يوما كاملا اختتمها العدو بالانتقام من الأبرياء حيث اغتال من المدنيين في قرية أمنطان ما يقارب 30 فردا سجلوا في تقارير الجيش الاستعماري كمتمردين.

وهكذا، وبهذه الكيفية العفوية والشريفة يتمكن جيش التحرير الوطني بقيادة العقيد مصطفى بن بولعيد من تصفية ضابط المخابرات الذي خطط لقتله وجاء لتنفيذ ذلك. لعلها الحالة الفريدة من نوعها في تاريخ الحروب أين تنتقم الضحية من المتآمر قبل وقوع الغدر، ولعلها حادثة فريدة من نوعها أيضا في ظلم الرجال حيث سيكون بطل هذه المعركة القائد الشهيد محمد بن مسعود بلقاسمي أول من سيدفع ثمن اغتيال بن بولعيد بعد ذلك، وهذه قصة أخرى.

لم تكن الثورة في ذلك الوقت تملك جهازا للمخابرات قادر على كشف عملاء مخابرات في مستوى النقيب كروتوف النائب الأول للمقدم مورلان والمسؤول المركزي على تدريب القوة الضاربة وأحد أساطير العمليات الخفية. في الجزائر لم يكن أحد من قيادات الجيش الاستعماري يعرف الهوية الحقيقية للضابط المقتول. نقل جثمانه إلى فرنسا بصفة ضابط اتصالات. في باريس كانت الصدمة قوية حيث اعتبر فقدان كروتوف هزيمة شخصية لمورلان ومرسيي وانتكاسة لجهاز المخابرات. نظمت للقتيل جنازة رسمية حضرتها وفود رفيعة المستوى تمثل مصالح المخابرات الغربية الحليفة. في عالم المخابرات الذي لا مكان فيه للعواطف كان الجميع ينظر إلى جثة كروتوف العميل المقتول في مهمة لكن في العقول كانت ترتسم صورة الثائر الأسطورة مصطفى بن بولعيد.

ينسحب مورلان من قيادة مصلحة العمليات برتبة عقيد في شهر ماي 1956 بسبب المرض الذي أنهكه وهو يجهل موت بن بولعيد. رفاق الشهيد ضاربوا طوقا من السرية الكاملة حول الفاجعة حارمين بذلك المتآمرين من تذوق نشوة تحقيق المهمة الدنيئة. خبر استشهاد بن بولعيد لم يصل إلى مسامع الفرنسيين إلا بعد استسلام عجول في نهاية السنة.

استئناف المهمة

في أعلى المستويات حصل التوافق على مواصلة المهمة وكلف العقيد دوكورس الرائد إفرارد بقيادة العمليات الميدانية للاعتبارات الآتية :

- كونه ملما بتفاصيل المخطط.
- توفر معلومات استثنائية تفيد بوجود بن بولعيد في المنطقة لتحضير اجتماع هام.

– عودة الحيوية لنشاط جيش التحرير بكل منطقة الأوراس النمامشة على إثر عودة بن بولعيد.
– رغبة جهاز المخابرات في إعادة الاعتبار لنفسه بعد مقتل كروتوف، خاصة وأن العملية سهلة وغير مكلفة بشريا بصيغتها الأصلية.

يصل إفرارد إلى الأوراس في أمسية 1956/03/11 ويلتحق بالوحدة الخفيفة للتدخل المتنكرة في ثوب وحدة اتصالات ويبادر إلى تحريك مركز المجموعة بسبعة كيلومترات في اتجاه الشمال الشرقي من قرية منعة لتحط رحالها عند نقطة الالتقاء بين وادي عبدي وبوزينة في أعالي دوار نارا، المركز المحتمل لجيش التحرير حسب التقارير الاستخباراتية.

بعد ثلاثة أيام يوجه الرائد إفرارد برقية للقاعدة الخلفية بزرالدة يخبرها باستكمال دراسة الميدان الجديد وصلاحية الخطة وفق السيناريو الأصلي وجاهزية المجموعة للعب دورها دون تغييرات ويحدد موعد التنفيذ : مساء 1956/11/15 الساعة الخامسة.

يتنقل إلى مركز عمليات القطاع العسكري ويطلب من العقيد المسؤول :

1. أن يمتنع عن برمجة أي دورية على محور تامشت – منعة – نارا في أمسية وليلة 1956/03/15.
2. أن يبقي خط الاتصالات اللاسلكي مفتوحا على الموجة المعهودة ابتداء من الساعة الخامسة من نفس اليوم.
3. أن يكون على استعداد وتحت الطلب جاهزا للخدمة لتقديم جنوده للمساعدة عند فجر 1956/03/16.

يتعجب قائد القطاع مذهولا من هذا التصرف المفاجئ ويطلب من الرائد أن يوضح له بأي سلطة يطلب منه ذلك ويسمح لنفسه بإعطاء أوامر لضابط أكثر منه رتبة.

في الحين يقدم إفرارد الأمر بالمهمة ورسالة الخدمة التي تضع العقيد لمدة 48 ساعة **تحت التصرف المباشر لرئاسة الجمهورية في باريس ممثلة في شخص الرائد إفرارد**. يتفاجأ العقيد بهذه الخرجة التي لم يكن يتوقعها أبدا وبعد تفحص الوثائق وحفاظا على ماء الوجه وعلى سلطته يذكر بأن هذه المستجدات لا تمنعه من البقاء تابعا للقيادة العسكرية في منطقة الأوراس النمامشة تحت قيادة الجنرال

فانوكسيم. عندئذ ينزل رد إفرارد كالصاعقة : « **أعرف ذلك ولكنني مضطر لإبلاغكم بأن الأمر سري للغاية وعليكم تفهم ذلك. لا تبليغ لقيادتكم ولا إعلام لمرؤوسيكم الآن وفي المستقبل. نفذوا ما طُلب منكم خلال اليومين القادمين وبعدها اعتبروا الموضوع منتهيا وكأن شيئا لم يحدث. هذا ما يمكنني إخباركم به. العملية التي ستنطلق في الغد لن تعطي نتائجها إلا بعد مدة ولا نستطيع تقدير نجاحها الذي يتوقف على السرية المطلقة** ».

في يوم 15 مارس صباحا يقوم عناصر المجموعة بدوريات روتينية قرب مركزهم ويمتنع القطاع عن القيام بأي نشاط.

على الساعة الخامسة يخرج إفرارد من مكتبه مهرولا ويأمر العريف نيور بتكوين مجموعة لتهيئة الميدان وتعيينه لألواح الإشارة والمدخنات، والتأهب لاستقبال إنزال جوي للعتاد والمؤونة. لم تستغرق هذه العملية أكثر من 10 دقائق.

في الأفق يسمع صوت طائرة من نوع داكوتا الخاصة بالعمليات الاستثنائية والموضوعة تحت التصرف الدائم للقوة الضاربة الحادية عشرة.

في غرفة قيادة الطائرة كان اثنان من الرماة والمدربين جيدا للمشاركة في مسرحية تضييع العتاد، ودار بينهما الحديث التالي :

الربان : « إلى نقطة الاستقبال، الطائرة مستعدة لسماعكم، حوّل ».

القاعدة :« هنا القاعدة، الاقتراب جيد، الارتفاع جيد، جاهزون للاستقبال، نقطة التنزيل قرب المنحدر، ارموا البضاعة بسرعة، حوّل ».

الربان :« جيد سنقوم بـ 3 تحليقات. انتهى ».

هذه الجزئية تم التخطيط لها بالكيفية الآتية :

– عملية إنزال أولى ناجحة على إثر التحليق الأول بها طرود مؤونة موجهة للمجموعة.

– عملية إنزال ثانية فاشلة تسقط حمولتها من أكياس أرز قرب المركز هدفها امتحان ردة فعل الأهالي المحيطين به وقياس سرعة الاستيلاء على البضاعة.

– عملية إنزال ثالثة فاشلة تحتوي على الطرد الذي وضع بداخله جهاز الإرسال المفخخ مع بريد مزيف موجه للجنود.

بعد المرور الأول يوحي العريف فندلونغ مسؤول فرقة الالتقاط نجاح العملية.

بعد التحليق الثاني في الوادي في مكان بعيد عن المركز (وبالفعل تم العثور على أكياس الأرز وتم إعادتها لمركز المجموعة من طرف الشامبيط والذي أعدمته الثورة بعد ذلك) .

وفي المرة الثالثة تعود الطائرة وهي تحرك جناحيها بما يوحي بوجود خلل تقني . في واقع الأمر يشد المكلف بالرمي المكبس الأتوماتيكي لمنعه من تحرير الشحنة، تواصل الطائرة الميلان يمينا وشمالا وكأنها تريد التخلص من الحمولة ويتهاوى الطرد لكن فوق المشاتي على بعد كيلومترات من نقطة الإنزال وتبتعد الطائرة لتختفي وراء ضباب بدأ يتشكل بفعل الرطوبة .

يتظاهر إفرارد بإعطاء الأوامر للبحث عن الحمولة الضائعة ويتمكن جنوده من العثور على آثار للأزر المتطاير ومظلتين تم إخفاؤهما من طرف السكان تحت أكوام من الخشب مع بداية حلول المغرب .

يسارع إفرارد للاتصال بقيادة القطاع العسكري لإعطاء الصيغة الرسمية المزيفة للحادث : « **ولقد ضيعنا عتادا هاما أثناء عملية إنزال فاشلة ، اعتقد أنه من باب الحذر علينا إيقاف عمليات البحث هذا المساء بسبب خطورة المنطقة على الجنود وسنستأنف الدوريات عند الفجر** » .

من الواضح أن الضابط يريد – وفقا للخطة – إعطاء متسع من الوقت لسكان المشاتي للعثور على الجهاز وتوصيله للمجاهدين الذين يعرف أنهم غير بعيدين عن المكان على أمل أن يصل الفخ إلى مركز قيادة بن بولعيد .

هنا تنتهي الرواية الفرنسية للأحداث وتبدأ الرواية الجزائرية لكيفية وصول الجهاز إلى مقر قيادة سي مصطفى بن بولعيد . في هذه النقطة بالذات لم نعثر على أي رواية فرنسية إلا ووجدناها قد استندت إلى مراجع جزائرية .

قصـة وصول الجهاز وانفجاره ومقتل الشهيد مصطفى بن بولعيد

لنسرد الظروف التي استشهد فيها العقيد مصطفى بن بولعيد من خلال ثلاث روايات رئيسية :

روايـة عبد المالك عنانـي[81]

الانفجار الذي أودى بحياة سي مصطفى قد وقع يوم 22 مارس 1956 . على الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم، كان سي مصطفى في اجتماع مع مسؤولي

81) يومية المجاهد الصادرة يوم 28 مارس 1991.

الناحية الجنوبية (الصحراء)، اجتماع آخر كان سيعقد مع الحاج لخضر عبيدي ومساعديه في اليوم الموالي. على الساعة التاسعة ليلا وثلاثين دقيقة التحق سي مصطفى بمكتبه الواقع في الجهة الأخرى من البيت. في نفس المكان الذي كان يوجد فيه الجهاز المشهور المفخخ الذي رمته الأجهزة السرية الفرنسية. للإشارة فإن الجهاز من نوع SR300 قد وجده مسؤول الناحية محمد حبة...

رواية محمد عباس[82]

رواية الأستاذ محمد عباس استندت ككل مؤلفاته على الشهادات الحية التي تحصل عليها هو شخصيا من شهود عيان أو شخصيات عايشت الأحداث نتيجة تحقيقات ميدانية ذات مصداقية عالية.

يقول محمد عباس في هذا الصدد : « **في يوم 22 مارس 1956 كان سي مصطفى بتافرنت ينتظر وصول بقية المسؤولين لعقد الاجتماع المقرر مع قادة المناطق الجنوبية والغربية للأوراس. كان بعض المسبلين قد عثروا قبل ذلك بأيام على جهاز إشارة من الطراز الطويل المدى وسلموه إلى مسؤول المنظمة المدنية بدشرة نارا المدعو علي مجغو بن باشا، والذي سلمه بدوره إلى مسؤول جيش التحرير بالناحية التي ستستضيف الاجتماع وهو بلقاسمي محمد بن مسعود. جيء بالجهاز إلى سي مصطفى ففحصه جيدا وبعد أن عرف خصائصه أمر الجنود بحفظه في مكان آمن حتى لا يسترده العدو ريثما يحين وقت استعماله والاستفادة منه.**

وحسب شهود عيان من مجاهدين أن الجهاز يشتغل بالبطاريات ويغطي حوالي 200 كلم، وكان سي مصطفى ينوي تكوين شبكة اتصال تمتد إلى الحدود التونسية. نقل بعض المجاهدين الجهاز إلى الأدغال بحثا عن مكان مناسب لإخفائه، لكن رداءة الأحوال الجوية حالت دون ذلك فعادوا بالجهاز إلى مقر إقامة سي مصطفى ورفاقه ».

يضيف الأستاذ محمد عباس معتمدا على شهادة مصطفى بوستة : « **جاءنا الشهيد علي بعزي بن لخضر بمصباح بحجم رحاة قهوة يعمل بالبطاريات فأخذته منه وفتحته فوجدت بداخله بطاريتين مسطحتين وبينما كنت أفحص المصباح دخل سي مصطفى فرآه في يدي وعرف أنه يشتغل بالبطاريات** ».

82) محمد عباس، ثوار... عظماء، مرجع سابق، ص58-59-60.

واستنادا هذه المرة إلى شهادة المجاهد علي بن شايبة، يكتب محمد عباس : « **إن المناضلين وجدوا مع الجهاز مجموعة من الرسائل الموجهة إلى جنود الاحتلال (من باب التظليل) فأخذ سي مصطفى يقرأها وهو متكئ وكان يبتسم من حين لآخر عندما تستوقفه عبارة طريفة. وفجأة تبادر إلى ذهنه أن يستحضر البطاريتين من المصباح لتجربة جهاز الإشارة، ركّب سي مصطفى البطاريتين وأمسك سماعة الجهاز باليسرى وأخذ يدير الأزرار باليمنى بينما كان بقية الرفاق يمسكون أنفاسهم في انتظار النتيجة السارة. ولكن النتيجة كانت لسوء الحظ انفجارا رهيبا هز المقر بمن فيه في حدود الساعة السابعة والنصف مساءً. وقد ذهب ضحية هذه المكيدة الاستعمارية بالإضافة إلى سي مصطفى الشهداء : علي بعزي، محمود بن عكشة، عبد الحميد العمراني، فُضيل الجيلالي المدعو أحمد القبايلي، وكان هذا الأخير من المجاهدين الذين هربوا من الجيش الفرنسي... وجرح في نفس الحادثة 8 من المجاهدين من بينهم مصطفى بوستة وعلي بن شايبة** ».

ويشير الأستاذ محمد عباس إلى وجود رواية ثانية تتعلق بالبطارية مفادها أن سي مصطفى طلب استحضار بطارية مناسبة للجهاز فجيء بها من بسكرة.

رواية محمد العربي مداسي[83]

في تافرنت في أعالي بلول يُستقبل سي مصطفى من طرف بن عيسى، بن ناجي، عمار معاش... في المساء يلتحق بهم علي بعزي وهو في قمة السعادة. « **أخبار سارة يا سي مصطفى لقد أهدى لنا الفرنسيون جهاز إرسال جيد ومجانا** » **يطلب سي مصطفى توضيحات أكثر** « **طائرة تابعة لهم رمت طردا بريديا فوق** « **واركة** » **لكنهم أخطؤوا الهدف، أحد المناضلين استولى عليه وسلمه لي، فتحته فوجدت مجموعة رسائل وجهازا جميلا وجيّدا** » رد سي مصطفى : « **عليك بتخبئته، اكتم السر. سنجربه في نارا، أكيد أن الضباب قد أدى إلى تغليطهم** ».

في 21 مارس كان سي مصطفى في نارا (بضع كيلومترات شرق منعة بالجبل الأزرق). كل الظروف جاهزة لاحتضان الاجتماع المقرر مع قادة النواحي 1 و3

(83) Mohamed Larbi Madaci, *Les tamiseurs de sable*, Editions ANEP, Alger, 2001, p. 173 à 175

و4 و5 كامل الاحتياطات الأمنية قد اتخذت، حظر التجول عند حلول المغرب والمكوث بالبيوت المخصصة لكل وفد. يوصف محمد العربي مداسي ظروف إيواء سي مصطفى « **بيت مساحته حوالي 20 م² سقفه يرتفع على 4 دعائم من الأشجار تتوسطه نار لمقاومة البرد، كان فيه 12 مسؤولا من بينهم مصطفى بوستة، علي بن شايبة، عبد الحميد العمراني، علي بعزي، محمد الشريف بن عكشة والعريف الأول محفوظ الهارب من الجيش الاستعماري. كان سي مصطفى مستلقيا على الأرض متكئا على مرفقه الأيسر يطلب إحضار الجهاز. اثنان من الجنود يخرجانه من كيس ويضعانه برفق فوق حزمة من المنشورات (صحف).**

يلاحظ علي بعزي بأنه يزن 40 كغ ويفككه أمام الجميع، فارغ من الداخل يتكون من لوحين صفراويين تربط بينهما أسلاك، وهوائي طويل وسماعة متحركة تشبه سماعة الهاتف العادي. على واجهته الخلفية يحسب بعزي 14 زرا. يطلب سي مصطفى من العريف محفوظ رأيه في كيفية التشغيل، يلاحظ هذا الأخير بأن الجيش الفرنسي يملك الكثير من الأجهزة الشبيهة به كما رأى العديد منها في الهند الصينية، ويمكن أن يشتغل بواسطة بطاريات أو بطاريات صغيرة. عندها يأمر سي مصطفى بوضع الهوائي أمام الباب وليس في الخارج ».

يرسم محمد العربي مداسي ديكور الحادث بمسحة فيها الكثير من الحزن : « **خارج البيت تشعر بهدوء تام وبجو مملوء بالرطوبة وتسمع أمطارا رقيقة تتساقط بين الأشجار ونباح الكلاب ولا تشتم سوى رائحة التربة والحطب المحترق. في تلك الأثناء شرع سي مصطفى في قراءة بعض الرسائل التي وجدت مع الجهاز. علي بعزي يخرج مصباحا ضوئيا من جيبه، يأخذه منه مصطفى بوستة الذي يحاول نزع البطاريات دون جدوى، تمكن سي مصطفى من نزع البطاريتين، وركّب بعزي واحدة على الجهاز.**

في تلك اللحظة دخل جندي مكلف بالاتصال يخبر بوصول جماعة باتنة بقيادة الحاج لخضر عبيدي، حينها غادر سي مصطفى المكان برفقة العمراني لاستقبال الوافدين.

خارج البيت يكون سي مصطفى قد أخبر الحاج لخضر بموضوع الجهاز حسب اعترافات الحاج لخضر لمحمد مداسي شخصيا عدة سنوات بعد

الاستقلال. الشاهد يقول في هذا الصدد : لقد تأخرت في الوصول إلى الاجتماع لأنني تعطلت في جمع الاشتراكات ولا أريد القدوم بأيادي فارغة، لقد أخبرني سي مصطفى بموضوع الجهاز وقال بأن الاستعمار ضيعه خطأً، وأضاف بأنه ينوي إنشاء مصلحة اتصالات لاسلكية. عندها يتذكر الحاج لخضر ما كان يقوله بن بولعيد قبل انطلاق الثورة : إذا وجدتم شيئا في الأرض فلا تلمسوه لأنه يمكن أن يكون قنبلة حتى لو كان قلما. حينها يقول الحاج لخضر إنها مكيدة، يرد عليه بن بولعيد : لا تقلق كل شيء على ما يرام. يفترق الرجلان ويتوجه الحاج لخضر نحو المكان المخصص لجنوده للاستراحة فالرحلة كانت متعبة.

عاد سي مصطفى إلى ملجئه، وكان علي بعزي يلح على تجريب الجهاز قبل العشاء. اقترب أفراد المجموعة، علي بعزي كان دائما يقوم بإنارة المكان بواسطة مصباح زيتي. تأكد سي مصطفى من صلابة الأسلاك، أمسك السماعة باليد اليسرى وهو يدير الأزرار باليد اليمنى. بعد لحظة من ذلك حدث انفجار رهيب يشبّهه مصطفى بوستة بنفخ مفحمة وتحدث الكارثة ».

على ما يبدو لم توضع في الجهاز متفجرات بل كان الهيكل نفسه من مواد متفجرة يحدث مفعولها عندما تتلقى شحنة كهربائية انطلاقا من مصدر طاقوي عند مستوى معين من دورة الأزرار.

الانفجار المباغت أحدث تدميرا كاملا للمكان، رائحة كريهة، اختناق، غبار، صراخ، أشلاء متطايرة وأغراض مبعثرة في كل مكان. الحصيلة المحزنة :

استشهاد مصطفى بن بولعيد، عبد الحميد العمراني (الكاتب الخاص لقائد الولاية)، علي بعزي (أحد قادة ناحية مشونش ومسؤول المنطقة التي وجد فيها الجهاز)، مسعود بن عكشة (أحد إطارات الأوراس التاريخيين)، العريف محفوظ (أحد ضباط الصف الجزائريين الفارين من الجيش الفرنسي)، وجرح 8 مجاهدين من بينهم : علي بن شايبة ومصطفى بوستة وجيلالي عمار أحد حراس بن بولعيد والشريف رابحي...

استغرق علاج مصطفى بوستة وعلي بن شايبة حوالي الشهر مع بقية رفاقهم لدى بني فراح قبل أن يلتحقا بمستشفى كيمل. أما الشهداء فقد دفنوا في مكان غير بعيد.

حسب شهادة جيلالي عمار[84] من بين القتلى يوجد سي فُضيل وعلي حميزي رئيس الفوج (ربما يتعلق الأمر بعلي بعزي) .

عند مداسي نجد أن العريف الجزائري الفار هو الشهيد سي محفوظ، بينما عند محمد عباس يتعلق الأمر بالشهيد سي فضيل الجيلالي المدعو أحمد القبايلي .

يتفق مداسي ومحمد عباس على أن من وجد الطرد هو المناضل علي مجغو بن باشا، بينما يذكر عبد المالك عناني المجاهد محمد حبة وبالمناسبة المجاهد حبة هو من بين المجاهدين الأوائل في ثورة التحرير من بدايتها إلى نهايتها في المنطقة الثانية للولاية الأولى ومن ألمع أبطالها الأسطوريين .

84) Le journal *Liberté* du 24/10/2004, Nara au lieu dit « Tikhoubaï » par Mostapha Benfodil
حسب التحقيق الصحفي مازال المجاهد جيلالي عمار عند هذا تاريخ يعيش بإشمول، 21 كم شرق آريس .

المضاعفات المباشرة لاستشهاد بن بولعيد

غياب الأوراس في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956

من عجائب الزمن أن تجد الولاية الأولى التي كانت القاطرة التي جرت عربة الثورة نفسها غائبة في حدث مصيري مازالت تداعياته تتحكم في توجهات السياسة الوطنية المعاصرة. غياب لظروف قاهرة أو تغييب متعمد ؟ الجدل مازال قائما والقراءات تصل إلى حد التناقض، لكن لا أحد يستطيع أن ينكر بأن ظل بن بولعيد مصطفى بقي يخيم فوق أجواء وادي الصومام من أول إلى آخر يوم في اللقاء التاريخي.

من المعروف أن عبان رمضان أخذ على عاتقه باسم « جماعة العاصمة » منذ شهر مارس مسؤولية الدعوة الجدية لعقد مؤتمر وطني لقادة الثورة مادام الجميع يوافق مبدئيا على ذلك ومادامت الضرورة الملحة تتطلب مثل هذه المبادرة.

« الثورة كبرت » والنار التي أشعل فتيلها بن بولعيد في أول نوفمبر 1954 صارت بحجم البركان. لا ننسى بأن القادة الأوائل سبق لهم وأن اتفقوا في أكتوبر 1954 على برمجة لقاء وطني تنسيقي في آفاق جانفي 1955، لكن تسارع الأحداث حال دون ذلك، كما لا ننسى بأن بن بولعيد كان يعمل من جهته لتجسيد الفكرة في أقرب الآجال منذ فراره من السجن واسترجاع قيادته على الأوراس النمامشة.

في رسالة مؤرخة في 3 أفريل 1956[85] موجهة لأعضاء الوفد الخارجي حدد عبان رمضان القائمة الرسمية للمدعوين لحضور أشغال المؤتمر المزمع عقده »... سيشارك مسؤول القطاع الوهراني عبد الحفيظ بوصوف (سي مبروك) وكريم

85) مبروك بالحسين، بريد الجزائر، القاهرة، منشورات دار القصبة، الجزائر، 2000.

بلقاسم وعبان رمضان (عن الوسط) وزيغود يوسف ونائبه (لخضر بن طوبال) وبن بولعيد مصطفى ونائبه (عاجل عجول بعد اغتيال شيهاني) واثنان من الوفد الخارجي (بن بلة وخيضر أو بن بلة وآيت أحمد) – الاقتراح لعبان – ومسؤول العتاد وعضو من جبهة التحرير الوطني (دون ذكر أسماء)... ».

دون الخوض في تفاصيل وخلفيات المؤتمر ولا في رهاناته، ومن الزاوية التي تهم موضوعنا، تؤكد هذه المراسلة بأن جماعة العاصمة على غرار القادة الكبار مازالوا عند تاريخ 3 أفريل غير متأكدين من أمر استشهاد سي مصطفى.

في إطار الاتصالات المتعلقة بعقد المؤتمر كلف عبان سعد دحلب بالاتصال ببن بولعيد عن طريق زيغود يوسف، عند وصول سعد دحلب للولاية الثانية كان قائدها قد أبلغ المبعوث الخاص بأن أخبارا قادمة من الأوراس تتحدث عن استشهاد بن بولعيد ونشوب صراع بين القادة المحليين لاستخلافه وأن الاحتقان صار خطيرا مما دفع بسعد دحلب إلى اختصار المهمة والعودة إلى العاصمة وإليكم شهادة المعني.

شهادة سعد دحلب حول مهمة الاتصال ببن بولعيد[86]

« ... التحقت ببن خدة وعبان في مدنية الجزائر وقد شرحا لي... أنه كان يستلزم علي الذهاب إلى الأوراس في الولاية الأولى عبر الولاية الثانية للشمال القسنطيني، وأنه كان من المحتم الاتصال بمصطفى بن بولعيد الذي لم تصلنا أية أخبار عنه منذ شهور والذي كانت تروج عنه الكثير من الإشاعات. وأن يوسف زيغود رئيس الولاية الثانية سيتدبر الأمر كي يوصلني إليه... كنت أعرف جيدا مصطفى بن بولعيد الذي كان عضو في اللجنة المركزية عشية الفاتح من نوفمبر 1954 والذي طالما تحدثت معه عن مشكلة مصالي وعن اللجنة المركزية قبل وبعد تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، كانت الثقة متبادلة بيننا... دامت مهمتي حوالي 20 يوما... أعلمني زيغود أنه قد بعث بوفد لدى مصطفى بن بولعيد منذ

86) سعد دحلب، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام ووزير الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة الثالثة. وردت الشهادة في مذكراته « المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر »، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 34-35.

شهرين وأنه لم يتلق أي خبر عنه، ونصحني بالتخلي عن مواصلة مهمتي نحو الولاية الأولى على أن يتحمل كامل المسؤولية عن ذلك، وانتهى قائلا لي بكل هدوء أن بن بولعيد قد توفي ومن ثمة فإن إتمام المهمة إلى الولاية الأولى صار بلا جدوى... بعودتي إلى الجزائر قدمت تقريرا كاملا وتاما إلى عبان وبن خدة. »

لا يعطي سعد دحلب تاريخا محددا لنهاية المهمة والمرجح أنها كانت في النصف الأول من شهر أفريل 1956. من جهة أخرى يستوجب التذكير بأن بن دبولعيد قبيل استشهاده كان قد أرسل محمد لعموري إلى الولاية الثالثة لضرورات التنسيق وتحضير سفر كان ينوي القيام به شخصيا إلى الولايتين الثالثة والثانية. عاد محمد لعموري إلى الأوراس في منتصف شهر ماي 1956 مصحوبا بأربعة جنود اتصال حاملين لبن بولعيد بعد شهرين من مقتله[87]، الدعوة تسلمها أخوه عمر المسؤول الجديد للإدارة في الأوراس.

انتقل عمر بن بولعيد في بداية جوان 1956 إلى جرجرة بناء على هذه الدعوة الموجهة أصلا لأخيه حاملا وكالة من توقيع قادة الأوراس (سنعود لموضوع مصداقية الوكالة في النقطة الموالية). في حقيقة الأمر كان عمر يأمل أن يلقى تزكية من قادة القبائل تدعم صفه ضد غريميه ومنافسيه على القيادة عاجل عجول وعباس لغرور. عند اللقاء امتنع عمر عن تبليغ كريم بلقاسم خبر مقتل سي مصطفى وتصرف على أساس أنه مازال حيا. هل أخفى عمر الحقيقة لحسابات معينة أم أن الظرف لم يكن مواتيا لذلك ؟ كل ما نعرفه أن الزيارة تزامنت مع شروع القوات الفرنسية في سلسلة من العمليات العسكرية الكبيرة مما عجل بفض اللقاء وعودة عمر ومرافقيه على جناح السرعة إلى الأوراس[88]. العمليات العسكرية تلك وقعت بين 6 و11 جوان وسميت بعمليات Arquebuse - Zoulou - Basque - Espérance، جرت في عدة مناطق من الولايتين الثالثة والرابعة، ادعت فيها قوات الاحتلال حينها أنها قضت على أكثر من 300 مجاهد، الحقيقة غير ذلك تماما غالبية الضحايا كانوا من المدنيين العزل قتلوا بسبب القصف المدفعي والجوي والتصفيات العشوائية.

---

87) محمد العربي مداسي، مرجع مذكور، ص183.

88) Belaïd Abane, « Le congrès de la Soummam où l'étape de la maturité de la révolution », *EL Watan* du 23/08/2009.

في بداية جويلية تلقى عمر بن بولعيد دعوة للتوجه إلى الولاية الثالثة، نفس الدعوة حظي بها عاجل عجول الذي أرسل جنديين مكلفين بالاتصال لمعرفة مكان اللقاء لكنه لم يتلق الجواب حسب تصريحه شخصيا لعميروش آيت حمودة بعد ذلك بتاريخ 1956/11/03.

توجه عمر بن بولعيد بمعية بعض المسؤولين ومجموعة مرافقة نحو القبائل، لكنه حسب شهادة إبراهيم كابويا[89] تصرف بشكل متعمد للوصول متأخرا وعدم حضور اللقاء. القادة في الصومام انتظروا وفد الأوراس دون جدوى. فما الذي كان يخشاه عمر بن بولعيد ؟ ربما أن يحاسب أمام القيادة على إخفاء أمر استشهاد سي مصطفى أو تحميله رفقة عجول مسؤولية الصراع الدائر في الأوراس لحسم مسألة الاستخلاف بما قد يؤدي إلى عزلهما معا، الاحتمال الأخير أن يكون هذا التماطل جاء بإيعاز من جهات كان من مصلحتها تغييب الأوراس عن المشاركة في مؤتمر الصومام. الحقيقة في هذه النقطة بالذات لا يعرفها إلا عمر بن بولعيد دون سواه. الثابت أنه وصل متأخرا.

أثناء أشغال المؤتمر أخبر زيغود رفاقه بما وصلته من معلومات حول استشهاد سي مصطفى. كريم بلقاسم من جهته يذكر بأن عمر قد جاءه إلى جرجرة وأكد له حضور أخيه المؤتمر المزمع عقده. بن طوبال أسر لعبان وبن مهيدي : « ... **يبدو أنه من حكم المؤكد بأن مصطفى بن بولعيد قد قتل وأن شيهاني بشير قد قتل أيضا من طرف نائبه عاجل عجول، ومنذ هاتين الحادثتين تعيش منطقة الأوراس صراعات داخلية دامية**[90] ... ».

هذا الغموض والتضارب في المعلومات يكون قد دفع بزيغود إلى الاعتذار عن عضوية لجنة التنسيق والتنفيذ الهيئة القيادية الجديدة المنبثقة عن مؤتمر الصومام : « **مادام الشك يكتنف موت بن بولعيد، لا يمكنني بأي حال من الأحوال تمثيل القطاع القسنطيني لأن هذا الشرف من حق سي مصطفى**[91] ». وتشاء الأقدار أن يستشهد زيغود بضعة أيام بعد مؤتمر الصومام في 1956/09/23 وهو يستعد للذهاب للأوراس النمامشة في إطار مهمة بتكليف من ذات المؤتمر.

---

89) محمد العربي مداسي، مرجع سابق، ص 184.

90) J.Finnois "*Historia Magazine*" du 2 Mars 1975 P3

91) Ali Chérif Deroua (Ancien responsable au MALG), *Le 20 Août 1956, « L*e congrès de la Soummam vu autrement », *L'Expression* du 18 Août 2007, p. 6.

هذا الغموض وغياب ممثلين عن الأوراس أدى إلى تثبيت سي مصطفى بن بولعيد مذكورا بالاسم كعضو أساسي في المجلس الوطني للثورة الجزائرية دون سواه من قادة الأوراس[92].

نفس المؤتمر يقرر إيفاد لجنتين لتقصي الحقائق في أوضاع منطقة الأوراس النمامشة بصلاحية تمثيل القيادة الجديدة واتخاذ كل التدابير لترتيب الأمور بما يتماشى مع المقررات واللوائح وينسجم مع الهيئات والتنظيمات التي استحدثها المؤتمر.

1. مهمة زيغود يوسف صحبة إبراهيم مزهودي باتجاه النمامشة وسوق أهراس (تبليغ النتائج وشرحها وفض النزاعات المحلية، التحقيق في مقتل شيهاني، توضيح الصلاحيات، تحديد النطاقات الجغرافية بين الولايتين الأولى والثانية ووضعية منطقتي سوق أهراس والخروب والحدود الشرقية عموما). هذه المهمة لم تتم كما كان مقررا لها بسبب استشهاد زيغود. المهمة يستأنفها من بعده إبراهيم مزهودي مرشد الولاية الثانية (أصله من تبسة) لكنها تأخذ مسارات وأبعاد أخرى وتكون تونس مسرحا لها. وهذا موضوع آخر.
2. مهمة عميروش آيت حمودة القائد العسكري للولاية الثالثة صحبة عمار أوعمران قائد الولاية الرابعة وسي الشريف القائد المكلف بالولاية السادسة. المهمة كذلك لم تتم بالوفد المقرر لها. عمار أوعمران يعتذر لأسباب تتعلق بأوضاع الولاية الرابعة وتكليفه بعد ذلك من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ بمهمة استعجالية نحو تونس لتطويق الصراع الناشب بين قادة الثورة هناك. أما سي الشريف ملاح الذي لم يكن حاضرا في مؤتمر الصومام فكانت أوضاع ولايته سيئة للغاية مما أدى إلى استشهاده لاحقا، وهذا أيضا موضوع آخر. مهمة الأوراس إذن قام بها عميروش آيت حمودة لوحده.

مهمة عميروش في الأوراس وتداعياتها

ما من شك بأن هاتين المهمتين كانتا تصرفا منطقيا وإجراءً ثوريا رفيع المستوى من قادة الثورة للوقوف على الحقائق وتطبيع الأوضاع وترتيب البيت الداخلي وفق

92) انظر محضر مقررات مؤتمر الصومام وتركيبة المجلس الوطني للثورة الجزائرية الأول.

توجهات المؤتمر، لكن الدافع الجوهري الذي حتم هذه المهمات يتمثل بالأساس في غياب سي مصطفى عن الساحة وما تبعه من انشقاق في الصف المحلي وبروز المناورات السياسية من داخل منطقة الأوراس النمامشة وخارجها.

اختلف المؤرخون في تقييم زيارة عميروش كما تعددت الشهادات في سرد وقائعها إلى حد الاختلاف والتضارب. في الموضوع الذي يهمنا سنركز على جوانب الزيارة التي يمكن لها أن تضيف إضاءات جديدة حول ظروف وملابسات مقتل الشهيد مصطفى بن بولعيد.

جاء عميروش موفد لجنة التنسيق والتنفيذ بصفته قائدا عسكريا للولاية الثالثة بعدما تعذر السفر على العقيد عمار أوعمران وسي الشريف ملاح. هذا التوضيح يعطي فكرة حول ظروف الرحلة. مثل هذه المهمات لم تكن جولات سياحية بل كانت إنجازات ثورية بطولية من الطراز الأول. زيغود يستشهد، مزهودي يجد نفسه رفقة بن عودة عمار في مواجهة تطورات لم تكن على بال أحد، أوعمران تجبره الأحداث على التوجه إلى تونس لتطويق احتقان درامي بين الثوار، سي الشريف ملاح يعيش دوامة الصراع على السيطرة على الولاية السادسة، عميروش يغادر ولايته الأصلية ويتحمل مسؤولية التحقيق في واقع يجهل عنه الكثير.

دامت المأمورية قرابة الشهرين، من 1 سبتمبر 1956 تاريخ انطلاقة عميروش من أقبو (بجاية) إلى غاية العودة إلى جرجرة في نهاية شهر أكتوبر.

هذان الشهران شهدا أحداثا هامة على الصعيدين المحلي بالأوراس النمامشة والوطني العام، أبرزها استشهاد زيغود يوم 1956/09/23 وإلقاء القبض على أعضاء الوفد الخارجي على إثر اختطاف الطائرة المقلة لبن بلة وآيت أحمد وبوضياف وخيضر ومعهم مصطفى الأشرف بتاريخ 22 أكتوبر 1956.

في 3 سبتمبر 1956 بقرية القصر (المعاضيد) يستقبل عميروش من طرف بعض قادة الأوراس الغربي : عمر بن بولعيد، الحاج لخضر عبيدي (باتنة) الطاهر نويشي (فم الطوب) أحمد نواورة (أريس) عبد الحفيظ طورش (بريكة) مصطفى رعايلي (بوطالب) محمد بوعزة عرعار أمين عام الولاية، علي مشيش، أحمد عزوي، محمد لعموري، إبراهيم كابويا[93].

93) أنظر تقرير عميروش للجنة التنسيق والتنفيذ.
In Colonel Ahmed Bencherif, *Parole de Baroudeur*, Editions ANEP, Alger, 2003.

أثناء الرحلة قام عميروش بإطلاع قادة الأوراس على نتائج المؤتمر ومساءلتهم في جلسات عامة أو بصورة انفرادية لتنكشف القضايا التالية :

وكالة عمر بن بولعيد

استظهر عمر بن بولعيد وكالة موقعة من طرف رفاقه تعينه قائدا على المنطقة وسأل عميروش إن كان عليه أن يبعث بنسخة منها إلى لجنة التنسيق والتنفيذ بالعاصمة، غير أن عميروش رفض ذلك، تصريحات القادة المعنيين بأمر التوقيع تطعن في مصداقية الوكالة.

– الحاج لخضر عبيدي وقع الوكالة بهدف واحد ومحدد يتمثل في مرافقة عمر للجماعة إلى الولاية الثالثة.

– الطاهر نويشي وقع الوكالة هو كذلك لغاية المرافقة والاحتكام إلى الولاية الثالثة في أمر القيادة فقط.

– أحمد عزوي وقع الوثيقة لما قال له عمر : « **لن أغادر الأوراس بدون توقيع الوكالة** ».

– عبد الحفيظ طورش وقعها دون العلم بمحتواها.

– مصطفى رعايلي أعلن مسايرة عمر بن بولعيد في سياسته.

* إن اللجنة المؤقتة التي تشكلت غداة استشهاد بن بولعيد تضم أحمد عزوي رئيسا وبوعزة عرعار كاتبا عاما وعايسي مسعود نائبا، لكن بعد شهر تنازل عزوي لصالح عمر في غياب كل من الحسين عبد الباقي مسؤول ناحية بوسعادة ومحمد بن مسعود بلقاسمي مسؤول ناحية مشونش.

هذه المعطيات تبين أن الوكالة مطعون في شرعيتها وأن أمر القيادة مازال مطروحا خاصة إذا أضفنا موقف عجول وعباس لغرور.

يسجل تقرير عميروش الوقائع التالية :

– إن عمر كتب رسائل تهديد لخصومه باسم كريم وأوعمران وعميروش مختومة بطابع المنطقة الثالثة حسب شهادة كاتبه الشخصي.

– أنه بعث في ماي 1956 من المنطقة الثالثة رسالة إلى بن بلة يبلغه فيها باتصالات هناك قبيل مؤتمر الصومام.

– أنه تلقى رسالة من المحامي على معلم الناطق باسم السيد بايي المدير العام للشؤون السياسية للولاية العامة (الفرنسية) موعدا لإجراء مفاوضات بين

الطرفين وكانت هذه الرسالة ردا على رسالة بعث بها عمر إلى المحامي رغم نفيه ذلك.

قصة الاتصالات مع السيد لوسيان باي

هذه القضية تحتاج إلى وقفة استثنائية لتسليط الضوء على خفايا وملابسات لم تلق حقها في الدراسات التاريخية بسبب حساسية الموضوع وتورط العديد من الأطراف فيها وحدوثها مباشرة بعد استشهاد سي مصطفى. تفاديا للاتهامات المجانية وإلصاق الشبهات الباطلة نعيد سردها في سياقها التاريخي مكانا وزمانا وظرفا.

كما هو معروف، كانت الحكومة الفرنسية وحاكمها في الجزائر في ذلك الوقت تبحث على أية وسيلة يمكن بواسطتها تطويق الثورة بما فيها المفاوضات الشكلية مع أي طرف يمكنه تحقيق هذه الغاية مقابل وعود من المؤكد أنها لن تتحقق أبدا.

الأستاذ علي معلم كان محاميا في باتنة، ومتزوجا من فرنسية تدرس الانجليزية في ثانوية المدينة. كان محسوبا على النخبة الجزائرية الراغبة في الوصول إلى تسوية سريعة للنزاع القائم مادامت تحافظ على مركزها الاجتماعي وتقويه.

في ربيع سنة 1956 استقبل السيد لوسيان باي المدير العام للشؤون السياسية والوظيف العمومي لدى ديوان الحاكم العام الفرنسي بالعاصمة، الأستاذ علي معلم المحامي في باتنة صحبة الأستاذ حمزة بوبكر أستاذ في اللغة العربية (مصدر العلاقة بين الأستاذين يتمثل في كون المحامي أحد قدماء تلاميذ الأستاذ حمزة في ثانوية بيجو – الأمير عبد القادر حاليا –).

حمزة بوبكر عبّر على استعداده للدخول في اتصالات مع قادة « التمرد » في الأوراس، والذين – حسب تصريحاته للسيد باي – يبدون استعدادا لوقف القتال مقابل بعض الضمانات.

للإشارة، فإن السيد حمزة بوبكر كان أيضا سنة 1955 أستاذا محاضرا حول الإسلام لفائدة عناصر المكتب الخامس للجهاز الاستخباراتي المكلف بالعمل النفسي والدعاية[94].

SAHAT 1H 2408, Programme d'instruction du stage AFN de guerre psychologique, (94 octobre 1955.

بغرض التهدئة وتنقية الأجواء طلب الأستاذ علي معلم من المسؤول السامي الفرنسي إطلاق سراح 9 سجناء من جيش التحرير كعربون حسن نية من الجانب الفرنسي. هذا الإجراء دون شك سيسهل عمل الوساطة حسب رأيه. كلف الأستاذ معلم المدعو « بوساعد » الذي اتصل مرتين بعمر بن بولعيد ليقترح عليه الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين.

يضمن السيد باي تفاصيل الموضوع في رسالة يوجهها للجنرال برلانج القائد المدني والعسكري للأوراس النمامشة بتاريخ 1956/07/09. الأستاذ بوبكر كان يرغب في لعب دور في تمثيل الأوراس على ما يبدو بعدما تعذر عليه ذلك في جهات أخرى من الوطن. وهذا موضوع آخر.

من جانب الفرنسيين كانت هذه اللعبة في صالحهم إذا نجحت المبادرة في عقد سلم منفصل في الأوراس، هذا سيسمح بوجود نموذج يمكن تعميمه على الجهات الأخرى، أما إذا فشلت فهذا سيؤدي إلى حدوث بلبلة وتسميم الأجواء في أوساط المقاومة.

بعد عملية اختطاف طائرة الوفد الخارجي في 22 أكتوبر 1956 واستشهاد القائدين بن بولعيد وزيغود قدرت مصالح المخابرات أن الثورة دخلت مرحلة الاحتضار و« الربع ساعة الأخير »، وبالتالي قطع الطريق على كل اتصال مع الثوار الذين ما عليهم سوى الاستسلام دون شروط.

في نهاية عام 1956 تعترض مصالح الأمن البريد الخاص بالأستاذ بوبكر والذي يشير إلى اتصالات مع المتمردين بالأوراس، عندها يقوم المظليون بمداهمة منزل هذا الأخير بحي لارودوت بالعاصمة.

عند استنطاقه يصرح المعني بأنه تصرف بطلب من شخصيات بارزة من الديوان المدني للوزير المقيم روبرت لاكوست كاشفا القناع على محاولة خفية لإخماد الثورة.

العقيد بول شوان ولوسيان باي تجنبا تبني المشروع خوفا من تحمل تبعات مبادرة فاشلة[95] استطاعت الثورة رغم الظروف العصيبة أن تجهضها في مهدها.

ما احتواه تقرير عميروش في هذه النقطة لم يكن إلا جزءًا من مخطط رأسه المدبر العقيد شوان تفطن له قادة الأوراس قبل غيرهم.

(95 SAHAT.1H. 1610, Archives des services historiques de l'armée de terre française à vincennes.

نفس السيناريو نجده مطبقا في ولاية أخرى من الوطن سنة 1960 مع الرائد سي صالح (محمد زعموم) الذي تفاوض مع ديغول نفسه. الخطة فشلت أيضا بفضل تبصر وفطنة قادة الولاية الرابعة أنفسهم. وهذا موضوع آخر.

الأستاذ بوبكر الذي حشر نفسه في موضوع يتجاوزه بكثير يغادر الجزائر في بداية 1957 خوفا من ردة فعل جبهة التحرير الوطني ويعين من طرف السلطات الفرنسية عميدا لمسجد باريس.

لوضع الأمور في نصابها نقول أن البحث عن الوساطات اللينة لتطويق الثورة كان الشغل الشاغل للسلطات الاستعمارية، كما أن كثيرا من الجزائريين المحسوبين على النخبة لم يتمكنوا حينها من استيعاب أن قطار الثورة قد ركب مسارا لا رجعة فيه، وأن الحل والربط أصبح بيد قادة جبهة التحرير دون سواهم.

من جهتنا نعتقد أن هذه الاتصالات غير المثمرة لم تكن سوى واحدة من مخططات الاستخبارات الفرنسية الرامية إلى زعزعة استقرار القيادة في منطقة الأوراس والزج بها في طريق المساومة والاستسلام. لكن رغم دهاء الأجهزة وقساوة الظروف ومعاناة المواجهة بقيت الشعلة التي أوقدها الشهيد مصطفى بن بولعيد موقدة أمام الفتنة والتآمر.

قضيـة عاجل عجـول

يرتبط مصير عاجل عجول مباشرة بمهمة عميروش في الأوراس. بعد حوالي الشهر من بداية المهمة قابل عميروش عاجل عجول يوم 2 أكتوبر 1956 بضواحي سيدي علي وأطلعه بالمناسبة على محضر مؤتمر الصومام وبدأ معه التحقيق بحضور اللجنة السباعية المرافقة له (الحاج لخضر، نويشي، مشيش...).

تتلقى اللجنة الإجابات التاليـة :

– حول مقتل الشهيد بن بولعيد، يعترف عجول بأنه لم يعلم بالأمر سوى في نهاية شهر ماي 1956 – أي بعد حوالي شهرين من وقوع الحادثة – عندما جاءه إلى كميل كل من مصطفى بوستة وعلي بن شايبة لاستكمال العلاج بعد إصابتهما في الانفجار الذي أودى بحياة سي مصطفى. قال عجول : « **لقد قمت بالتحقيق في الموضوع وبحثت على المناضل الذي وجد الطرد المفخخ معلقا بمضلة (أسرعت زوجته إلى خياطة فستان لها من**

قماش المظلة) وأسر هذا المواطن بأنه سلم الطرد لعلي بعزي مسؤول المنطقة ».

- حول علاقته بقياد المنطقة. يصرح عجول بأن قائد مشونش في اتصال مع المجاهدين ويقوم من حين آخر بتقديم المساعدة (مؤونة، ثياب، أخبار...) الشك كان يراود أعضاء لجنة المرافقة بأن عجول استلم الطرد بواسطة القايد معاوي.
- حول موضوع القيادة، يصر عجول على أنه صحبة عباس لغرور يمثلان القيادة الشرعية للأوراس النمامشة بعد مقتل بن بولعيد، وأن عمر بن بولعيد وبن عيسى مسعود تمردا على هذه القيادة منذ سفر سي مصطفى وسجنه لما كان شيهاني خليفة له. أما شيهاني فلقد تم إعدامه بعد محاكمة أدانته بسبب قيامه بأعمال منافية للأخلاق.
- حول موضوع التنحي عن مسؤوليته بكميل ومرافقه عميروش إلى تونس، وافق عجول في بداية الأمر. لما صارت الطريق مقطوعة باتجاه الشرق من طرف مؤيدي عمر بن بولعيد، طلب عميروش من عجول أن يتوجه نحو جرجرة، غير أن عجول غيّر رأيه وهدد بقتل بوعزة عرعار الذي استخلفه على رأس قيادة كميل إن لم يغادر المنطقة.

عند هذه المرحلة من المهمة تختلف الروايات اختلافا جذريا بين ما جاء في تقرير عميروش وما جاء في كتاب محمد العربي مداسي الذي اعتمد على شهادة عجول شخصيا والحاج لخضر عبيد، لذا اكتفينا بسرد الوقائع المتفق عليها في المصدرين.

محاولة اغتيال عجول واستسلامه

يبدو أن عناصر المهمة قد اقتنعت بضرورة تحييد عجول وعزله كشرط أولي لتطبيع الأوضاع. حسب الخطة التي أعدها عميروش مع سي الطاهر نويشي وسي علي مشيش كان من المقرر استخلاف عجول بمحمد بوعزة عرعار (من يابوس) على رأس منطقة كميل بعد إلقاء القبض عليه وإرساله إلى جرجرة ليمتثل أمام لجنة محاكمة لتحديد مصيره.

في يوم 19 أكتوبر 1956 طلب عميروش من عجول قضاء الليلة مع المجموعة لتصفية المسائل العالقة بشكل نهائي. الدعوة كانت تهدف إلى عزل عجول عن

جنوده. أقام المعني مع الحاج لخضر، حيحي المكي، يوسف لعلاوي، إبراهيم كابويا، مرفوقا بأربعة جنود حراسة. في بيت آخر كان يوجد عميروش، نويشي، بن عيسى، عمار معاش، مشيش وآخرون...

كلف عميروش فوجا من 6 عناصر يقوده علي مشيش بتقييد عجول وإلقاء القبض عليه. بمجرد اقتراب المجموعة من المأوى وقع تبادل إطلاق نار أسفر على مقتل المرافقين الأربعة لعجول ومصرع أحمد أزروال أحد المهاجمين، وتمكن عجول من الفرار بعد إصابته بجروح بليغة في يده.

استسلام عجول

بعد هذا الحادث بدأ أنصار عجول يتخلون عنه المجموعة تلو الأخرى، فعاد إلى عائلته محاطا بوالده وابنه وأبناء عمومته ليتلقى العلاجات الأولية. أراد الذهاب إلى تونس لكن الطريق كان مقطوعا عليه من طرف خصومه.

حسب اعترافاته لمحمد مداسي : « **لما سمعت بأنني سأسلم لعمر بن بولعيد ومسعود عايسي طلبت من أبي تبليغ الفرنسيين بنية تسليم نفسي لهم** ».

وحدث ذلك فعلا يوم 19 نوفمبر 1956 بزريبة الوادي. للدفاع عن نفسه أضاف عجول : « **لم أفشي أي سر ولم آخذ معي أي شيء ولم أخبر الفرنسيين إلا بما كانوا يعرفونه**[96] ».

استغلت السلطات الفرنسية هذا الاستسلام في حملة دعائية كبيرة وهللت لموت مصطفى بن بولعيد وراحت تنشر الأكاذيب مستغلة الفتنة التي حلت بالأوراس. يوضع عجول تحت الإقامة الجبرية، وبعد مدة يحاول الاتصال بجيش التحرير لمعاودة نشاطه في صفوف الثورة، لكن طلبه يلقى الرفض لما صار الحاج لخضر عبيدي قائدا للولاية الأولى. وفي زمن قيادة العقيد الطاهر زبيري للولاية، حاول هذا الأخير الاستفادة منه من جديد لكن الظروف حالت دون ذلك[97].

حسب الجنرال فانوكسيم أحد العسكريين الفرنسيين الأشد بطشا في جهات الأوراس النمامشة والحدود الشرقية يكون عجول قد صرح عند استسلامه[98] :

96) محمد العربي مداسي، مرجع سابق، ص200.

97) الشروق اليومي، نهاية مأسوية لبطل معركة الجرف، 1 نوفمبر 2009، العدد 2787، ص 15 وكذا مذكرات العقيد الطاهر زبيري.

98) Général Vanuxem, *Mémoires inédites*, in Colonel Henri Le Mire, *Histoire militaire de la guerre d'Algérie*, *op. cit.*, p.84.

« أعتقد أن الكفاح صار دون أمل يذكر وإلا لما سلمت نفسي للسلطات. أصبحت الأوضاع في الجبال سيئة للغاية بحيث انعدمت الثقة تماما. نسمع كثيرا عن السلم. لقد وصلتنا نداءات روني لاكوست. نعتقد مخلصين بأن الأحداث كانت ساخنة وبأن فرنسا أصبحت مستعدة أكثر من أي وقت مضى للشروع في تطبيق إصلاحات ضرورية. الكفاح لا معنى له. لو كنت متيقنا بأن فرنسا لن تلتزم بتعهداتها لما سلمت نفسي وفضلت أن أقتل في الجبال هناك... كانت مهمة عميروش وضع الأوراس على خط جبهة التحرير الوطني، لكنه فشل ».

فليقل الجنرال فانوكسيم على لسان عجول ما يريد ويكتب العقيد لومير المتحيز بشكل مفضوح لأطروحات الجيش الفرنسي ما يشاء، عجول لم يكن يفكر بهذه الطريقة. عميروش لم يفشل لأن الأوراس النمامشة رغم المحن والمآسي لم تخرج أبدا على خط جبهة التحرير الوطني إلى غاية تحقيق الاستقلال.

مصير محمد بن مسعود بلقاسمي

تعتبر النهاية المأسوية التي آلت إليها حياة الشهيد محمد بن مسعود بلقاسمي مسؤول ناحية مشونش واحدة من التبعات المؤسفة لعملية اغتيال الشهيد الرمز سي مصطفى.

جاء في تقرير عميروش المرفوع للجنة التنسيق والتنفيذ بتاريخ 1957/01/14 : **« أنه تقرر مصير محمد بن مسعود بلقاسمي بإرساله إلى جرجرة بعد اتهامه بنقل جهاز اللاسلكي الذي أدى إلى استشهاد بن بولعيد، وقد قتل في الطريق أثناء قصف من العدو ».** تقدم الدراسة الميدانية التي أعدها الأستاذ تابليت عمر حول دور غسيرة في ثورة التحرير إضاءات جديدة.

حول هذا الموضوع، تساهم الدراسة في تصحيح بعض الحقائق[99] عين محمد بن مسعود قائدا لناحية مشونش في شهر ماي 1955 من طرف شيهاني وعجول وعباس على إثر اجتماع مركز برقوق في جبل أحمر خدو وخلفا لحسين برحايل الذي عين قائدا لناحية خنشلة.

---

99) الأستاذ عمر تابليت، دور غسيرة في ثورة التحرير 1954-1962، مطبعة المعارف، الجزائر، عنابة، 2008، ص 354-355-356.

أشرف على الفروع التالية :
– فرع بلعلة وغسيرة (جديدي علي بن الحاج) .
– فرع سيدي عقبة، سريانة، قارصة، مشونش (أحسوني رمضان) .
– فرع بسكرة، جمورة، برانس (الحاج عمر عساسي) .
– فرع الجبل الأزرق (عڤوني عبد الله) .
– فرع بني فرح والقنطرة (محمد بن بولعيد) .
– فرع ڤديلة (بن عبد السلام الحسين) .

في نهاية ماي 1955 يحل بناحية مشونش أحمد بن عبد الرزاق – العقيد سي الحواس – ليعرض خدماته على الثورة في المنطقة التي ينحدر منها. لم يفصل محمد بن مسعود في الموضوع وأحال ضيفه على مسؤوليه المباشرين. في ذلك الوقت كان أحمد بن عبد الرزاق محسوبا على المصاليين. عمر بن بولعيد القائد الشرفي للإدارة زمن شيهاني يكلف سي الحواس ببعض المهام الثورية. الإدماج الكامل لأحمد بن عبد الرزاق لم يتم إلا عندما اقتنع به بن بولعيد مصطفى شخصيا عندما استعاد قيادته بعد فراره من السجن.

وفق تصنيفات الصراع الناشب بين القادة المحليين بعد سجن سي مصطفى ومقتل شيهاني كان محمد بن مسعود محسوبا على جماعة عجول وعباس ضد جماعة عمر بن بولعيد وعايسي مسعود.

عملية اغتيال سي مصطفى تمت في الجهة التي كان محمد بن مسعود مسؤولا عنها رفقة الشهيد علي بعزي.

في 2 أكتوبر 1956 يسلم محمد بن مسعود لعميروش من طرف عايسي مسعود بعدما تم القبض عليه من طرف كاتبه بوبكر مسعودي ونوابه محمد بن بولعيد وبن جديدي علي. يمثل المتهم أمام عميروش بقرية سيدي علي بحضور عايسي مسعود وبن عكشة محمد الشريف، الحسين بن عبد السلام، عمار أمعاش ومصطفى بوستة. توجه له تهمة نقل الجهاز الذي أدى إلى مقتل سي مصطفى ورفاقه. يرجح الأستاذ عمر تابليت موت محمد بن مسعود إلى تصفيته جسديا في الأسبوع الأول من شهر نوفمبر 1956 من طرف رفاقه في الطريق بين الأوراس وجرجرة رغم ما جاء في التقرير الذي يتحدث عن قصف جوي بواسطة طائرة

فرنسية وشهادات مسعود بلعقون (هو كذلك كان أسيرا) وبوبكر مسعود، التي تؤكد هذه الصيغة[100].

استشهاد محمد بن مسعود بقاسمي يؤدي إلى فقدان ورقة هامة في ملف اغتيال سي مصطفى. هذه القصة الدرامية تبين حجم التداعيات العرضية لمقتل قائد الولاية الأولى التي مازالت تثير الكثير من ردود الأفعال لحد الساعة.

انقسام الأوراس النمامشة

من الآثار الوخيمة لاستشهاد سي مصطفى التشتت التنظيمي للولاية الأولى وفقدان وحدتها ودخولها في دوامة من الصراعات البينية تشابكت فيها العوامل العشائرية والجهوية مع الاعتبارات السياسية على خلفية مهمة عميروش وإفرازات مقررات مؤتمر الصومام ودخول عامل التحريض الخارجي على الخط.

الفراغ الكبير الذي تركه سي مصطفى كان أوسع من أن تستوعبه الجهود المخلصة للم الشمل.

الانزلاقات صارت خطيرة. وهذه المحطات كفيلة لرسم الواقع المتردي.

مقتل جبار عمر : المقدمات والنتائج

نتذكر أن مصطفى بن بولعيد كان قد ترأس اجتماعا في كيمل يوم 13 مارس 1956 ضم الوردي قتال مسؤول ناحية سوق أهراس ونوابه جبار عمر ونواورية عبد الله وسيدي حنى (بشير ورتان) عن ناحية تبسة والتيجاني عثماني (خنشلة) وعلي بن شايبة وبن عكشة (أريس) ومصطفى بوستة (كيمل) وعبد الوهاب عثماني، عبد الحفيظ السوفي، ساعي فرحي (بابانا ساعي) عاجل عجول، الهادي عمراني، تاج الدين، موسى حواسنية، عباس لغرور كان غائبا لأنه كان مجروحا ويعالج في الجبل الأبيض.

من نتائج اللقاء تجميد قيادة الوردي قتال لناحية سوق أهراس بتهمة ارتكاب تجاوزات في حق السكان والمجاهدين المحليين[101] وتشكيل لجنة لتقصي الحقائق تضم كل من عبد الوهاب عثماني (ممثلا لعجول) محمد دونة (ممثلا

100) عمر تابليت، مرجع سابق، ص 361.

101) Mohamed Larbi Madaci, *Les tamiseurs de sable*, *op.cit.*, p. 57.

لعباس) ومحمد العيفة (رفيق سي مصطفى في عملية الفرار من سجن الكدية، ممثلا شخصيا له في اللجنة ومكلفا بمهمة اتصال بعلي مهساس في تونس) .

في هذا الشأن – كبقية الشؤون – تختلف الروايات . الوردي قتال المعني الأول ينفي أمر تنحيته من القيادة ويؤكد أنه هو الذي كلفه مصطفى بن بولعيد بمهمة دراسة إمكانية التحضير لمؤتمر وطني في منطقة سوق أهراس[102]، محمد العيفة يؤكد أن الاتهامات الموجهة للوردي قتال كانت باطلة[103] . محمد قنز أحد القادة في الناحية (الكاف لعكس) يشهد أن المعني باشر مهامه بشكل عادي لما عاد من الأوراس[104] .

عندما كان وفد ناحية سوق أهراس يستعد للعودة إلى قواعده أمره عجول بالمرور في طريق العودة على عباس لغرور بالجبل الأبيض، عند المكان المسمى الكنازرة (جنوب خنشلة) قرر عمر جبار مواصلة الطريق دون الانصياع للأوامر. من المؤكد حسب الوردي أن جبار عمر كان خائفا على حياته من عباس، لما علم هذا الأخير بغياب جبار يكون قد صرح أمام عبد الله نواورية والوردي قتال « تحاسبوني به حيا أم ميتا[105] » .

تختلف أيضا الروايات في سرد كيفية مقتل جبار عمر وفي تحديد الأسباب والجهة الآمرة بذلك لكنها تجمع على أن عبد الوهاب عثماني هو من نفذ الإعدام.

حسب ما جاء في شهادة عبد المجيد بلغيث[106] عندما حل عبد الوهاب فإنه نزل عند الوردي قتال في ولاد بشيح في المكان المسمى « المزيرعة » حيث أجرى اتصالات بقادة النواحي كالزين عباد وعمارة بوقلاز والطيب جبار وعمر عون (البوقصي) . في هذا اللقاء اتفق عبد الوهاب مع الوردي على أن يستدعي له عمر جبار ليمثل أمام لجنة الرقابة لتحقق معه في بعض القضايا التي اتهم بها كالتمرد والخروج عن طاعة القيادة المحلية .

---

102) محمد زروال، مرجع سابق، ص 252 .

103) محمد العيفة، جريدة الوطن يوم 19 ماي 2009 .

104) محمد زروال، المرجع نفسه، ص 252 .

105) محمد زروال، المرجع نفسه، ص 256 .

106) محمد زروال، مرجع سابق، ص 257 .

بعد هذا اللقاء يقول الوردي : « **اتصلت بجبار عمر وأقنعته بالتخلي عن تعنته والتفرغ لما هو أهم والشروع في الإعداد للمؤتمر كما أمر بذلك سي مصطفى بن بولعيد. أبدى موافقته على مصاحبتي إلى اللجنة وما كدنا نصل إلى هذه الأخيرة حتى قلت لرئيسها ها هو جبار عمر قد أتى طائعا وتركته وذهبت لشأني، ولم يمر إلا ربع ساعة حتى جاء « صالح الباي » مهرولا وأخبرني بمقتل جبار عمر** ».

الصادق رزايقية[107] أحد الشهود العيان يقول : « **كنا ثلاثة، المتحدث والأزهاري شريط وعمر جبار واقفين عندما وصل إلينا أحد جنود الوردي وشهر سلاحه فينا وأمرنا أن نرفع أيدينا في الهواء ففعلنا تحت تهديد السلاح ونحن نجهل الأسباب الحقيقية لذلك. وتم بعد هذا وضع القيد في يدي عمر جبار كما تم سوقه إلى مكان مجهول وبعد وقت قصير علمنا أنه قتل. وذلك بأمر من عبد الوهاب عثماني** ».

محمود قنز في شهادته لمحمد زروال دائما يقول : « **عندما كنت في الكاف لعكس جاءني مبعوثان من مصطفى بن بولعيد بين 15 و20 مارس هما « السعودي » و« الجموعي » يحملان رسالة إلى جبار عمر يحذره فيها من الخطر الذي ينتظره على أيدي أفراد تلك اللجنة. فقلت لهما أن عمر جبار تم قتله**[108] ».

أما بشأن عبد الله نواورية فيقول قنز : « **هذا الأخير كان مكلفا بالربط والاتصال بين سوق أهراس والقيادة في الأوراس (عجول/عباس). بعد أن اغتيل عمر جبار فقد صدر الأمر إلي أنا شخصيا بوجوب قتله، وبعد أن اتصلت به فإنني قلت له : لقد تلقيت الأمر بقتلك، فانج بنفسك. فعلا فقد هرب الرجل من منطقة سوق أهراس إلى المنطقة الثانية حيث أكرم يوسف زيغود وفادته عليه وبقي هناك مدة ثم رجع بعد ذلك إلى سوق أهراس بعد أن عادت الأمور إلى مجراها** ».

هذا الحدث المؤسف يسمح بالقراءات التالية :

107) محمد زروال، مرجع نفسه، ص 257.

108) محمد زروال، مرجع نفسه، ص 258.

1. أن زيغود صار مطلعا على الصراعات في الأوراس من خلال عبد الله نواورية بما يسمح له من إدراك أن بن بولعيد نفسه أصبح في خطر كبير.
2. أن اللجنة لم تكن متوازنة بالشكل المطلوب وأن عبد الوهاب عثماني انفرد بسلطة القرار.
3. أن أمر اغتيال جبار عمر وعبد الله نواورية قد صدر من عجول من وراء ظهر مصطفى بن بولعيد. عجول وعباس رأيا في عمر وعبد الله عناصر مناوئة لسلطتهما وتحسب لصالح مصطفى بن بولعيد.
4. حاول سي مصطفى إنقاذ حياة جبار عمر بإرساله « الجموعي » و« السعودي » لتحذيره، لكن مع الأسف بعد فوات الأوان.

ماذا يعني تجاوز سلطة بن بولعيد والتصرف بشكل يتعارض مع توجيهاته ؟ ألم تكن هنالك نية مبيتة لعرقلة جهد تنظيم لقاء وطني بمنطقة سوق أهراس ونسف المبادرة من أساسها بخلق جو من البلبلة والأحقاد بالإقدام على قتل واحد من أكثر القادة شعبية في المنطقة واستهداف حياة رفيقه نواورية عبد الله ؟ ثم الترويج لفكرة أن عمر جبار أعدم لأنه ضبطت معه رسالة من الضابط الفرنسي المسؤول عن قسم الشؤون الأهلية SAS[109] والتهمة باطلة. استدعي جبار عمر للمثول أمام اللجنة لفض الخلاف الذي كان بينه وأحد جنود الوردي قتال.

انفصال منطقة النمامشة

بعد مقتل جبار عمر تتأزم الأوضاع في ناحية سوق أهراس ويقرر القادة النمامشة العودة إلى الجبل الأبيض ويعقدون اجتماعا خلال شهر جوان 1956 بأرقو ويعلنون فك الارتباط مع قيادة عجول وعباس. من الحاضرين لزهر شريط، الوردي قتال، الباهي الحراثي، الحاج علي شريط، الحبيب عباد، صالح بن علي سماعلي، عمر عون، الزين العابد، الأزهاري دريد، محمود قنز وربما محمود الشريف.

وهكذا بعد الانفصال العملي لناحية سوق أهراس تنفصل ناحية النمامشة لأن قادتها حمّلوا عجول والتيجاني عثماني مسؤولية المآسي التي لحقت بالثورة من جراء سلوكهما المتسلط، ويتم إبعاد ممثل عجول من ناحية تبسة بشير ورتان (سيدي حنى).

109) محمد زروال، مرجع سابق، ص 265.

حاول قادة النمامشة حضور مؤتمر الصومام بصفة مستقلة حيث راسلوا في هذا الشأن إبراهيم مزهودي مرشد الولاية الثانية باعتباره واحدا من أبناء تبسة وطالبوه بالتحدث باسمهم، لكنه اعتذر عن ذلك. بعد المؤتمر تم استيعاب ناحية تبسة في تنظيم الحدود وصار محمود الشريف مسؤولا عن مجلس الولاية الأولى في تونس ثم عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ ووزيرا في الحكومة المؤقتة بعد ذلك. كما هو معروف، كانت الخلافات بين النمامشة وقيادة عجول/عباس تجد لها تطبيقات عملية في صيغة تناحر درامي فوق الأراضي التونسية. ينضم عباس لغرور إلى مجموعة السوافة (عبد الكريم هالي، عبد الحي السعيد، طالب العربي) ضد مجموعة تبسة. وتصفى الحسابات بواسطة الاحتكام للسلاح. وهذا موضوع آخر.

لما كان بن بولعيد في السجن يكون عباس لغرور قد أمر الوردي قتال مسؤول ناحية سوق أهراس يومئذ بتشكيل مجموعة من الفدائيين لاغتيال بورقيبة – الزعيم التونسي – بسبب سياسته المهادنة للاحتلال الفرنسي في تونس. لما علم بن بولعيد بالأمر بعد ذلك اعتبر المشروع تهورا كبيرا غير محسوب العواقب وخطأ سياسيا فادحا في حق الشعبين التونسي والجزائري[110]. هذه التطورات السالفة الذكر ما كانت لتحدث بهذه الكيفية ولا بهذه الصيغة البائسة لو بقي سي مصطفى حيا.

الانشقاق في الأوراس

من المخلفات الكارثية لاستشهاد بن بولعيد وإفرازات مهمة عميروش وردود أفعال بن بلة وبروز معارضة صريحة لنتائج مؤتمر الصومام نشطها مهساس في تونس في أوساط الأوراسيين والنمامشة وقادة ناحية سوق أهراس ظهور حركة انشقاق كبيرة في الأوراس وبروز مجموعات لا تعترف بأية سلطة وأخرى تعلن التمرد على القادة المحليين المعينين من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ (الحاج لخضر، محمد لعموري، حيحي المكي، علي النمر...). لرسم صورة الانشقاق نسوق العينات التالية :

– لدى بني ملول يقوم قائدهم محمد أمزيان حليف مسعود عايسي بعدة تجاوزات تنتهي بقتله من طرف رجاله.

110) محمد عباس، فرسان الحرية ، دار هومه، الجزائر، 2001.

– أحمد عزوي ابن عم مدور عزوي قائد مجموعة المتطوعين يشتهر بعد عودته من تونس بتغذية الانشقاق بسبب ما تعرض له من سوء معاملة من طرف القادة هناك.

– مسعود بن عيسى (عايسي) أخطر حالة. هذا القائد كان عميروش قد جرده من مهامه بسبب تجاوزات كبيرة كان قد اقترفها. كان من حلفاء عمر بن بولعيد. عند عودته من تونس بعد التقاء مهساس اتخذ من جبال الشليا معقلا له. تسبب في متاعب جمة واشتهر بتغذية الأحقاد بين الولاية الأولى وجرجرة.

حسب شهادة المجاهد التيجاني الصغير لمحمد زروال[111] يكون عيسي قد صرح : « **إنني سأدخل إلى الجزائر وأعتصم بجبال الأوراس، وإني أعاهدكما (التيجاني الصغير والطيب زلماط اللذان كانا يحاولان ثنيه عن التمرد) أني سأقتل الطائر الذي يحلق في السماء إذا تأكدت أنه أتى من بلاد القبائل، وإنني متأكد بأنني سأموت غير معترف بسلطة قيادة الثورة علي** ». هذا الحقد الأعمى يؤدي بعد ذلك إلى الانتقام من دورية من الولاية الثالثة كانت مارة بالأوراس بعد عودتها من تونس محملة بالسلاح ومقتل حوالي 100 من عناصرها[112].

هذه الحالة وعلى فظاعتها لم تكن سوى فعلا معزولا لا يغتفر تسببت فيه عوامل الجهل والتسلط والأنانية وانعدام الوعي السياسي بطبيعة رهانات المرحلة وغياب الالتزام الثوري. على كل هذه ملامح « أمراء الحرب » وهذه هي البيئة والنماذج التي لم يكن قادرا على التعامل معها سوى بن بولعيد الذي كان يعتبر قبل استشهاده أن عجول وعايسي هما سبب متاعب الأوراس. عايسي تم قتله من طرف رجاله بعدما اكتشفوا حجم الضرر الذي تسبب فيه.

من قادة التمرد الآخرين الشريف رابحي، أحد رفقاء الشهيد سي مصطفى والذي جرح معه أثناء عملية الاغتيال. اتخذ من منطقة بوحمر معقلا له.

لقد عانت الأوراس كثيرا من حركة التمرد (التشويش) والتي لم تنتهِ ولم تعد الوحدة إلا بعد عام 1958 بفضل مجهودات قادة الأوراس من أمثال الحاج لخضر وعلي النمر.

111) محمد زروال، مرجع سابق، ص 309.

112) حمو عميروش، جريدة الشروق اليومي، 16 أوت 2009.

مصـير عمر بن بولعيـد

نتذكر بأن عمر كان متحمسا لقرارات مؤتمر الصومام وكان من المستقبلين والمرافقين لعميروش في مهمته، لكن مجريات التحقيق معه والاتهامات الموجهة له حسب التقرير المرفوع للجنة التنسيق والتنفيذ جعلته ينخرط في صف المعارضين لنتائج المؤتمر على خط بن بلة – مهساس. هذا الموقف يكلفه غاليا. عبان رمضان في تقرير للمجلس الوطني للثورة الجزائرية يذكر 13 حكما بالإعدام في حق المناوئين للقيادة من بينهم مهساس وعمر بن بولعيد.

سجن عمر بن بولعيد في وجدة بالمغرب، وتمكن من الفرار من أحد المعتقلات التابعة لجيش التحرير.

كلود بايات[113] يروي محاولة لاغتياله في مدينة الدار البيضاء المغربية. بعد فراره من سجنه كان عمر تحت حماية الحكومة المغربية.

تمكنت مجموعة من جيش التحرير من العثور عليه بذات المدينة. عندما كان مارا أمام قاعة سينما في حدود الساعة الثامنة مساء اقتربت منه عناصر فوج بقيادة المدعو « الطيب » الذي أطلق عليه النار لكن المسدس لم يشتغل. فر عمر نحو عمارة مجاورة وغادر الفوج المكان. على إثر الحادث تقوم السلطات المغربية بتوقيف بعض الجزائريين وطردهم من المدينة. تتحدث الشائعات – حسب كلود بايات – أن المدعو « الطيب » رئيس الفوج ترك عمدا صمام أمان المسدس دون تحرير الطلقة. هل هذه الرواية صحيحة أم لا ؟ هل كان الفوج فعلا من عناصر جيش التحرير ؟ هل أرادت الجبهة إيصال رسالة معينة للمعني دون المساس به ؟ أسئلة من الصعب الإجابة عنها.

مـا بعد مصطفى بن بولعيد

هذا الوضع الحالك الذي عقب مباشرة مقتل الشهيد سي مصطفى لا يجب أن يغفلنا عن التذكير بحقائق ثابتة :

1. رغم المحن والفتن لم تتوقف العمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال في مناطق الأوراس والنمامشة وسوق أهراس بل زادت حدتها في النصف الثاني من عام 1956 وعام 1957 بكامله.

(113 Claude Paillat, *Le dossier secret de l'Algérie : 13 Mai 1958 / 28 Avril 1962*, Edition Le livre Contemporain, Paris, 1961, p. 489.

2. لم تنقطع الصلات بين الشرق وباقي جهات الوطن رغم الصعوبات والاحتقان، ولم تتوقف قوافل التموين بالأسلحة والذخيرة من تونس وليبيا خلال نفس المدة.
3. لم تتوقف عملية تجنيد وتعبئة الجزائريين في صفوف المقاومة. مع نهاية 1956 صارت الأوراس النمامشة وسوق أهراس والوادي تحت لواء جبهة التحرير الوطني بالكامل.
4. مقتل بن بولعيد لم يؤدِّ إلى إخماد الثورة كما كان مقررا. حتى الانشطار التنظيمي يجب النظر إليه من حيث لا يحتسب الاستعمار، لامركزية القيادة ساعدت على خلق بؤر توتر مستقلة عديدة في وجه الآلة الاستعمارية.
5. مقتل جبار عمر كان بداية الخيط الذي أدى إلى إنشاء القاعدة الشرقية.
6. انفصال النمامشة كان الضربة القاضية لطموح عجول للانفراد بالسلطة وإنشاء إمارة حرب. عودة الارتباط التنيظمي في الأوراس جاء في صيغة جديدة تحت اسم مجلس الولاية بقيادة محمود الشريف ومحمد لعموري وأحمد نواورة والحاج لخضر وأخيرا الطاهر زبيري.
7. انفصال المنطقة الثالثة (بسكرة – بوسعادة – مشونش...) أدى إلى تشكيل الأرضية العملية التي بنيت فوقها الولاية السادسة بقيادة الشهيدين أحمد بن عبد الرزاق وعاشور زياني اللذين تم تجنيدهما في هذه المناطق من طرف سي مصطفى شخصيا.

كل الأحداث التي رافقت مسيرة الشهيد مصطفى بن بولعيد تخللتها وقائع أليمة ومؤسفة ضيعت الكثير من الرجال الذين عملوا معه، لكن عند كل نكبة تراكمت ظروف لقفزة نوعية عبّدت الطريق الشاق نحو الاستقلال وفقا للمنهج الذي آمن به سي مصطفى رحمه الله.

الخاتمـة

من الصعب أن نختم عملا مثل هذا لأن القضايا التي أثيرت على مدار المحطات الأربعة عشرة من مسيرة الشهيد الرمز مصطفى بن بولعيد مازالت كل واحدة منها تحتاج إلى وقفات خاصة علها تزيل الغموض على كثير من نقاط الظل التي لازمت تاريخ ثورة التحرير الوطنية الكبرى.

ليس في نيتنا أبدا الادعاء بلوغ الحقيقة الكاملة، نأمل أن يشكل هذا الإسهام المتواضع دافعا قويا لبلورة تصور جديد لدراسة تاريخنا الوطني وفقا لحاجيات الأجيال الحاضرة المتعطشة لمعرفة تاريخية موضوعية. حياة بن بولعيد لم تكن لا مسلسل عنف ولا حلقات من المؤمرات، بل كانت كمًّا هائلا من التجارب والتراكمات بدأت بمواقف أشخاص وانتهت باستقلال وطن وهو كان من بين الأشخاص البارزين إن لم نقل الأبرز.

حاولنا التعرف أكثر وعن كثب على بن بولعيد من خلال معرفة من كان يتعامل معهم وعلى من كان يواجههم بتواضع وصبر وعزيمة.

إذا قال جان فوجور : « لو لم يكن بن بولعيد لما صارت الأمور بالشكل الذي آلت إليه »، فأنا بدوري أجازف بسؤال افتراضي من نفس العيار : لو لم يتم اغتيال مصطفى بن بولعيد ماذا كان سيحدث ؟ وكيف كانت ستسير الأمور وتتطور ؟ السؤال طبعا بدون إجابة.

لم يعش الجيل الحالي مرحلة الاستعمار ولا بدايات الاستقلال، تركه دون معرفة تاريخية صحيحة وثقافة وطنية أصيلة ودون مرجعيات جزائرية قحة، من المؤكد أن يجعل منه ضحية حاضرة ومستقبلية لكل المغالطات والتحريف

والتزييف والتوظيف المغرض للتاريخ لخلق أمجاد مزيفة لصالح أفراد أو جماعات أو جهات أو تيارات على حساب الأساطير الحقيقية.

يقول جاك ديشومان في تحديد ملامح شخصية مصطفى بن بولعيد : « كان قبل كل شيء رجلا حذرا، كما كان حازما. لكن عنده يتغلب الحذر على الحزم، طبيعته تدفعه للاعتماد على نفسه في كل شيء، كان يعتقد بأن لا يُنجز عمل إلا بحضوره. كان يحب الحركات المفخمة وكان يصر على قسم الإخلاص على المصحف الشريف.

من أين جاءت هذه الشعبية التي كان يتمتع بها بن بولعيد في الأوراس ؟ دون إهمال الاعتبارات العائلية والاجتماعية يجب أن نفهم بأن حرارة تعامله مع الناس وتواضعه جعل من هذا الأسطوري الصلب والنزيه والمثالي يعرف كيف يعطي الانطباع لكل واحد بأنه صديقه الحميم والوحيد ».

الحقيقة التي صورها ديشومان لمسناها عند كل الذين تعامل معهم بن بولعيد من رفاقه في الكفاح. بدوري تشرفت من خلال هذا بمعرفة واحد من رموزنا الوطنية وتشرفت بتقديمه من خلال هذا العمل لكل الجزائريين والجزائريات والشرفاء في العالم أينما كانوا وأينما وجدوا.

رحم الله شهداء الثورة وشهداء الواجب الوطني.

ملحـق
الملـف التقنـي للجريمـة

I. سـلاح الجريمـة

جهاز اتصالات لاسلكي للاستقبال والإرسال مفخخ من نوع SCR 694

صنع هذا النوع من الأجهزة في الولايات المتحدة الأمريكية، تزودت به الجيوش الغربية بعد الحرب العالمية الثانية واستخدمه الجيش الفرنسي في الهند الصينية وفي الجزائر.

– تحدث مصدر واحد عن جهاز من نوع SCR 30، هذه الفرضية غير مرجحة لأن عدد أزرار هذا النوع لا تبلغ 14 حسب وصف الشهود.

– تحدثت مصادر عن جهاز بث إذاعي، هذه الفرضية ضعيفة ولا تصمد أمام القرائن المقدمة في البحث.

الخصائـص التقنيـة للجهاز

- Field Radio Set : 3.8.6 Mhz - 20 WCW - 7 WAM
- Power Out Put (Watts) : 25 CW
- Modulation : AM

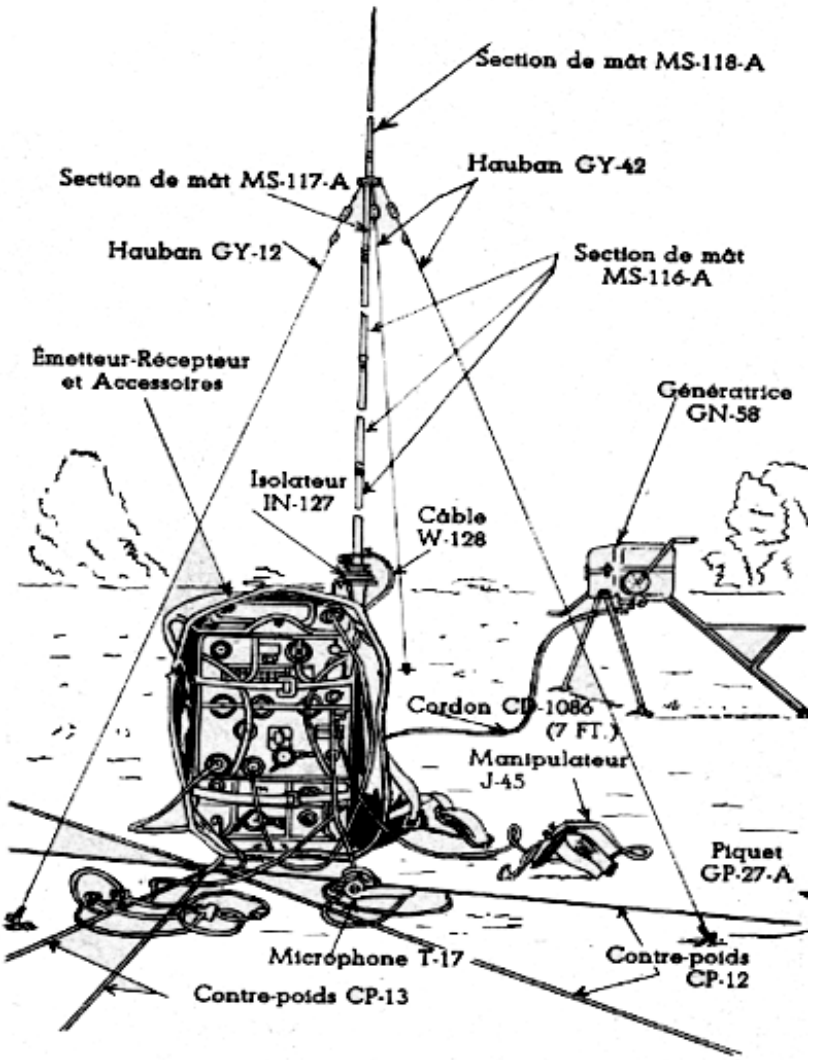

Fig. 1

Installation à terre SCR 694, avec antenne-fouet.

الاستعمالات

يمكن حمل الجهاز على ظهر الجندي أو وضعه على الأرض كما يمكن تركيبه على :

- سيارات الاتصالات لكل الميادين Jeep .
- الشاحنات العادية غير المتخصصة .
- المجنزرات نصف المطاطية .
- المدرعات .
- حاملات الجنود نصف المدرعة .

التموين بالطاقة

- Power Source :

  Dry batterie - hand generator

  Vibrator converter

(يشتغل بالبطاريات) Piles

- Génératrice manuelle : يشتغل بالمولدات اليدوية
- Groupe électrogène : محطات كهربائية مستقلة
- Piles BA.48 : نوع البطاريات
- BN 58A-ANGR69 : نوع المولدات

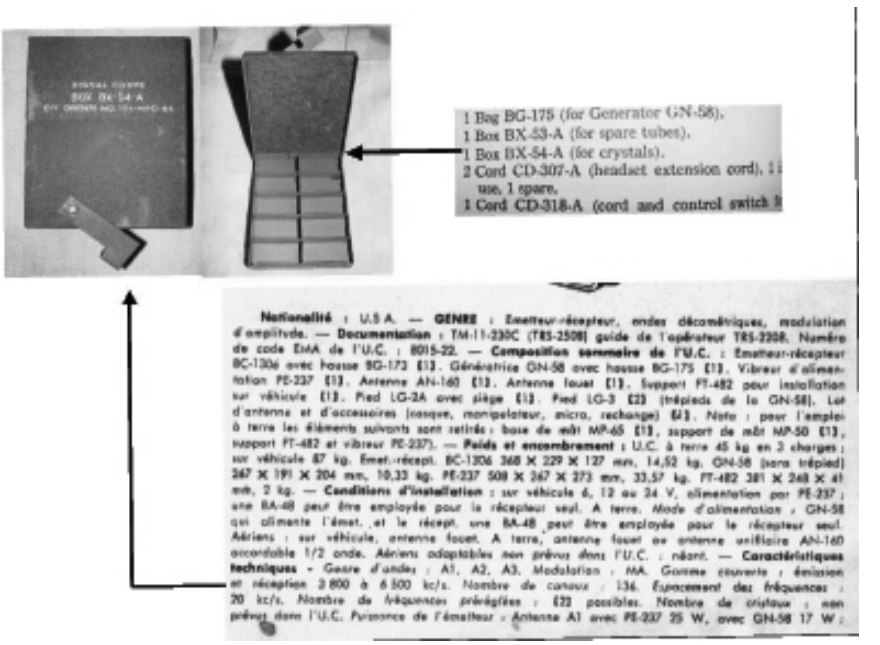

اللواحق :

– كيس الحمل (حسب الشهود نوع خيشة) .
– الهوائي .
– السماعة المثبتة .
– الحوامل .
– البطاريات .

ملاحظة : العنصران الأخيران لم يكونا موجودين مع الطرد حسب الشهود .

الوزن : حوالي 40 كغ حسب الشهيد علي بعزي.
الأزرار : 14 زرا حسب وصف علي بن شايبة مما يؤكد نوع الجهاز.

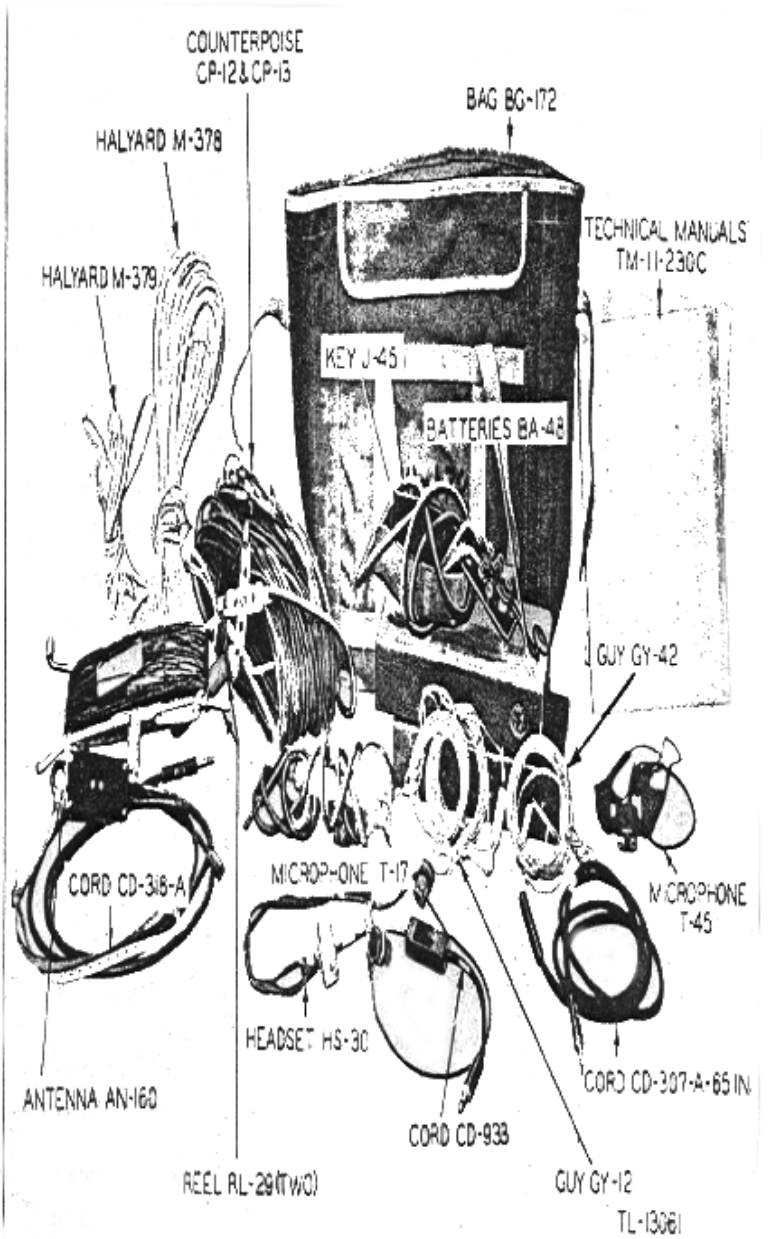

Figure 9. Accessories normally carried in Bag BG-172.

II. تقنيـة التفخيـخ

لم يلاحظ أي من الحضور حسب شهادة الناجين علي بن شايبة ومصطفى بوستة أي أجزاء أو قطع مضافة تثير الفضول أو الشبهة أو تجلب الانتباه مما يرجح فرضية صناعة الهيكل بكامله من مواد قابلة للتفجير عند تلقي شحنة كهربائية عند غلق المجال بإدارة واحد من أزرار الموجات. هذا المستوى من التكنولوجيا لا يمكن توفيره تقليديا وبلوغه لا يكون إلا في مخابر مختصة.

لم يعثر الثوار على بطاريات داخل الطرد. الشهود ذكروا بأن البطاريات التي شغلت الجهاز تم نزعها من مصباح كهربائي يشابه رحاة قهوة جاء بها الشهيد علي بعزي ونزعها مصطفى بن بولعيد. المخابرات الفرنسية تحاشت إرسال البطاريات تفاديا لتشغيل الجهاز عند العثور عليه من طرف المواطنين أو المسؤولين البسطاء.

III. طبيعـة الانفجـار

حسب شهود عيان ممن كانوا في المخبأ (بن شايبة) أو خارجه (الحاج لخضر) فإن الانفجار كان عنيفا وقويا مما يرجح وجود مواد متفجرة شديدة المفعول من آخر طراز متوفر لدى الجيش الفرنسي في ذلك الوقت. مواد يمكن دمجها ضمن تركيبة الجهاز أو في أجزاء ضيقة منه. هنا نتذكر مفعول الرسائل المفخخة التي تنفجر عند فتحها من طرف بعض أنصار الثورة الجزائرية. شبه المجاهد علي بن شايبة الانفجار بنفخ مفحمة مما يعني أن المواد المتفجرة يزيد مفعولها بملامسة الهواء. حسب وضعية الضحايا (تجمع حول الجهاز) يبدو أن الانفجار كان على شكل كرة نارية متزايدة التوهج مما يفسر الإصابات بالحروق التي طالت الناجين الذين تطلب علاجهم عدة أشهر مع بقاء عاهات وآثار مستديمة. الانفجار أدى إلى تهديم الملجأ بكامله.

VI. مناقشـة الفرضيـات من الناحية التقنيـة

1. الفرضيـة الأولى

العملية من تدبير المخابرات الفرنسية، تدعمها :

– طبيعة أداة الجريمة ونوعيتها.

– الاعتراف البعدي (اعترافات كلود فور) .
– تسريب الاعترافات على شكل روايات تمجد مصالح المخابرات الفرنسية (إروان بارقو صاحب كتاب Les commandos de choc هو واحد من قدماء ضباط المخابرات) .

2. الفرضيـة الثانية

العملية من تدبير عاجل عجول، وقع اتهام عاجل عجول وفقا لروايتين :

1. تلقى عاجل عجول الجهاز من عند الفرنسيين عبر قائد مشونش وعمل على إيصاله إلى مصطفى بن بولعيد بواسطة علي بعزي (شك لجنة عميروش من خلال السؤال عن علاقة عجول بقياد المنطقة) . هذه الرواية غذتها أطراف كانت متصارعة مع عجول وعباس على السلطة . التهمة وفقا لهذا السيناريو لم تجد أي إثبات أو دليل يدعمها .
2. أمر عجول « علي الألماني » بتفخيخ الجهاز . هذه التهمة تم تداولها في الأوراس وفي تونس بداية 1957 في زمن كان الصراع على أشده بين المساندين لنتائج مؤتمر الصومام وخصومهم . الرواية تبناها « علي الألماني نفسه » (شهادة الطاهر سعيداني، شهادة محمد العيفة)، هذا السيناريو يفتقد إلى عناصر هامة .

– هل كان علي الألماني يملك الوسائل والإمكانيات لتفخيخ الجهاز في معاقل جيش التحرير في مركز كيمل سنة 1956 ؟

– الشهيد علي بعزي بن لخضر المسؤول عن الناحية التي وجد فيها الطرد هو من حمله إلى سي مصطفى وكان من أكثر المتحمسين على تشغيله واستعمل البطارية التي كان يملكها في مصباحه . لو شك مرة واحدة بأن الجهاز جاء من جهة أخرى ما كان يتردد في تبليغ سي مصطفى بذلك وما كان ليخاطر بحياته عند تشغيل الجهاز .

ضعف الفرضية الثانية يكون قد دفع بالعقيد الطاهر زبيري للتوسط لدى الرئيس أحمد بن بلة ووزير دفاعه العقيد هواري بومدين بعد الاستقلال مباشرة لإطلاق سراح عاجل عجول . هذا الموقف كان نابعا من قناعة العقيد زبيري بعدم صحة الاتهامات الموجهة لعجول بحكم منصبه كقائد للأوراس وبقائه مدة طويلة مع

جيش الحدود أين استفسر علي الألماني وحقق معه وكذلك مع المجاهدين في الولاية الأولى.

شهادة الجنرال المتقاعد والمجاهد حسين بن معلم[114]

في سنة 1956 كان الجنرال حسين بن معلم مجاهدا ضمن الوفد الذي قاده العقيد عميروش للأوراس مما يجعله شاهد عيان رئيسيا على الأحداث، كذلك نشاطاته في القاعدة الشرقية وفي جيش الحدود تجعل منه مصدرا مطلعا على كثير من الخبايا.

– « **التقينا بقيادات من الأوراس كانت تتهم عجول بأنه كان وراء إرسال المذياع الذي انفجر على بن بولعيد، وتبين بعد ذلك أن الفرنسيين هم الذين كانوا وراء إطلاقه (المذياع) من طائرة عسكرية بمظلة. كانت هناك حساسيات شخصية دخلت في الصراع وأدت إلى اتهام عجول بالوقوف وراء اغتيال بن بولعيد** ».

« **... قد سمعنا في ذلك الوقت بأن عجول هو من قتل بن بولعيد وأن علي الألماني هو من فخخ المذياع، ولكن ظهر جليا فيما بعد أن هذا الكلام غير صحيح وأن الفرنسيين هم الذين كانوا وراء اغتيال بن بولعيد** ».

114) جاءت هذه الاعترافات في حوار مع الشروق اليومي، العدد 2861، الأحد 28 فيفري 2010.

المراجع

المراجع باللغة الفرنسية

- Guerrin Daniel, *Quand l'Algérie s'insurgeait 1952-1962*, Editions La Pensée Sauvage, Paris, 1979.
- Jacques Simon, *Novembre 1954, la révolution commence en Algérie*, Edition L'Harmattan, Paris, 2004.
- Jean Morizot, *L'Aurès où le mythe de la montagne rebelle*, Edition L'Harmattan, Paris, 1991.
- Patrick Rotman, Bertrand Tavernier, *La guerre sans nom : Les appelés d'Algérie, 1954-1962*, Editions le Seuil, 2001.
- Jacques Paillard, *Les Touaba et l'Algérie moderne*, décembre 1967 CHEAM.
- Jacques Cantier, *L'Algérie sous le régime de Vichy*, Edition Odile Edile jacob, Paris, 2002.
- Montagnon Pierre, *Histoire de l'Algérie des origines à nos jours*, Edition Pygmalion, Paris, 1998.
- Voujour Jean, *De la Révolte à la Révolution, aux premiers jours de la guerre d'Algérie*, Edition Albin Michel, Paris, 1985.
- Bromberger Serge, *Les rebelles Algériens*, Edition Plon, Paris, 1958.

- Claude Paillat, Le dossier secret de l'Algérie : 13 Mai 1958 / 28 Avril 1962, Edition Le livre Contemporain, Paris, 1961.
- Jean-Charles Jauffret et Maurice Vaïsse, Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, Editions Complexe, Bruxelles, 2000.
- Jean-Pierre Marin, *Au forgeron de Batna*, Préface de Jean Delaplanque, Edition L'Harmattan, Paris, 2005.
- Erwan Bergot, *Commondos de choc,* "*Algérie*", "*le dossier rouge*", Edition Grasset, Paris, 1987.
- Henri Le Mire (colonel), *Histoire militaire de la guerre d'Algérie*, Edition Albin Michel, Paris, 1982.
- Péan Pierre, *L'homme de l'ombre*, Edition Fayard, Paris, 1990.
- Berner Philippe, *SDECE Service 7*, Edition Presses de la Cité, Paris, 1980.
- Stora Benjamin, *Algérie 1954*, Edition Barzakh, Alger, 2004.
- Stora Benjamin, *Histoire de la guerre d'Algérie*, Edition La Découverte, Paris, 2001.
- Eveno Patrick & Jean planchais, *La guerre d'Algérie*, Edition Laphomic, Alger, 1990.

المراجع الجزائرية باللغة الفرنسية

- Belaïd Abane, *Abane Ramdane et les fusils de la rébellion*, Edition Harmattan, Paris, 2008.
- Benchrif Ahmed (colonel), *Parole de baroudeur*, Edition ANEP, Alger, 2003.
- M'hamed Yousfi, L'Algérie en marche, ENAL, Alger, 1975, T1.
- Rahal Mansour, *Les maquisards, pages du maquis des Aurès durant la guerre de Libération*, Alger, 2000.
- Mohamed Larbi Madaci, *Les tamiseurs de sable*, Editions ANEP, Alger, 2001.

- Harbi Mohamed, *1954, la guerre commence en Algérie*, Edition Barzakh, Alger, 2005.
- Harbi Mohamed, *le FLN, mirage et réalité, des origines à la prise de pouvoir*, Edition Jeune Afrique, Paris, 1980.
- Lahrèche Brahim, *Les deserteurs... espions*, Imprimerie EL Maarif, Annaba, 2007.
- Kaddache Mahfoud, *Reçits de feu*, Editions SNED, Alger, 1977.

المراجع باللغة العربية

– محمد عباس، فرسان الحرية، دار هومه، الجزائر، 2001.
– محمد عباس، ثوار... عظماء، دار هومه، الجزائر، 2003.
– الأستاذ عمر تابليت، دور غسيرة في ثورة التحرير 1962–1954، مطبعة المعارف، الجزائر، عنابة، 2008.
– تابليت عمر، عاجل عجول، أحد قادة الأوراس التاريخيين، حياته، جهاده، محنته، عنابة، 2011.
– محمد زروال، النمامشة في الثورة، دار هومه، الجزائر، 2003.
– بودوح السبتي، مذكرات : بعض حقائق الثورة المعاشة بإيجابياتها وسلبياتها، مطابع ڤرفي، باتنة، الجزائر، 2002.
– مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، 1926–1954، دار الطليعة، قسنطينة، الجزائر، 2003.
– سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
– العقيد الطاهر زبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929–1962، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
– الرائد الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2001.
– شوقي عبد الكريم، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية (1954)، دار هومه، الجزائر، 2004.

المجلات والجرائد

- Collectif coordonné par A. Merdaci, *Le 1er Novembre 1954, La nuit rebelle*, Edition *La tribune*, Alger, 2004.
- *L'expresse* - Paris « Interview de Jean Vaujour », Propos recueillis par Patrick Rotman, 27 Octobre 1994.

EL Watan, Algérie

- Abane Belaïd, Contribution, *Le congrès de la Soummam ou l'étape de la maturité de la révolution*, 23/08/2009.
- Hadj Brahim Halimi : Cela se passait le 1er Novembre 1954, par Boukhalfa Amazit, 25/08/2005.
- *Qui se souvient de l'affaire Monnerot ?*, Par Hamid Tahri, 18/09/2009.
- *Mohamed Laïfa, cerveau de l'évasion de Ben Boulaid*, Protrait fait par K. Ouhab, 19/03/2009.

Le Soir d'Algérie, Algérie

- Mohamed Mechati, *Si le peuple…*, 20/05/2009.
- *La toussaint rouge des gorges de Tighanimine, Le figaro,* France, 29-30/10/1994.

Histoire Magazine

- Article de J. Finnois, 06/03/1975.

L'Expression, Algérie

- Ali Chérif Deroua, *Le congrès de la Soummam vu autrement*, 18/08/2007

Liberté, Algérie

- Mustefa BenFodil, *Nara au lieu dit « Tikhoubaï »*, 23/10/2004.
- Nabila Ben Boulaid, *Porter le nom de Ben Boulaid est une lourde charge*, mercredi 1er Novembre 2006.

جريدة الأحداث

استجواب مع العقيد الطاهر زبيري، 2007/12/28.

الشروق اليومي

– تصريح عيسى بوضياف، 2009/06/29.
– استجواب العقيد الطاهر زبيري، 2009/11/01.
– محمد عباس، في كواليس التاريخ، مقتطفات من مذكرات العقيد الطاهر زبيري، 2009/01/26.
– محمد عباس، في كواليس التاريخ، 2009/11/10.
– استجواب حمو عميروش، السكرتير الخاص للعقيد عميروش، 2009/08/15.

جريدة الخبر

– تصريح ناصر بوضياف، نجل الرئيس بوضياف، 2009/11/03.
– محمد عباس، في كواليس التاريخ، وثيقة تقرير عميروش حول مهمته في الأوراس، 2008/01/10.

جريدة النهار

– حوار مع ابنة الشهيد مصطفى بن بولعيد، الأحد 2008/12/21.
– تصريح الأمين العام الولائي السابق لمنظمة المجاهدين بقسنطينة المجاهد عبد القادر زموري، الخميس 2009/03/12.

الفهرس

الإهداء 7
مقدمة 9
المولد، النشأة وبوادر الوعي السياسي 13
دروب الانخراط في العمل الوطني 16
المنظمة الخاصة، الحقيقة المرة 19
المتمردون الأوائل 20
قضية خياري : الخلفيات والانعكاسات 21
بن بولعيد وتحديات العمل السري 24
قصة « الخارجين عن القانون » 24
متاعب النعرات العشائرية 26
إعادة إحياء « المنظمة الخاصة » 28
قضية الشحنة الأولى للأسلحة 30
بن بولعيد والمخاض العسير لولادة الخيار الثوري 32
قصة اللجنة الثورية للوحدة والعمل CRUA 34
بن بولعيد مهندس 1 نوفمبر 1954 37
الطريق المستقل نحو نوفمبر 38
قصة مجموعة الـ 21 وقصة بن بولعيد معها 40

ملاحظات حول المجموعة 43
موقف جماعة قسنيطنة 44
قصة بن بولعيد مع مسألة انتخاب القيادة 45
التقسيم الإقليمي والهيكلة التنظيمية 47
قصة الإمكانيات الأولية للثورة 48
الترتيبات الأولية 51
بن بولعيد وملحمة انطلاق الثورة في الأوراس 55
الاستعدادات الجدية 55
الأهداف المرصودة 56
الاستعدادات والتحدي الأمني 58
عيون المخابرات في الأوراس 61
بن بولعيد وساعة الحقيقة 63
يوميات ملحمة 63
قصة الهجوم على باتنة 65
قصة حادثة « تيغينمين » 66
لهيب الثورة يشتعل في الأوراس 73
نطاق العمليات 73
رد فعل الاستعمار 74
قصة مشروع حرق إشمول 76
سفر بن بولعيد واعتقاله 79
المسار والنشاط 79
قصة التعرف على بن بولعيد في « قابس » 81
قصة الأسْرِ 82
المحاكمات 83
معجزة الفرار من السجن 86

الاستعدادات 86
التنفيذ 89
بن بولعيد يسترجع قيادة الأوراس النمامشة..... 90
العودة 90
قصة التشكيك في مصداقية فرار بن بولعيد 91
قصة اغتيال شيهاني بشير وتداعياته 92
قصة لجنة التحقيق في سوق أهراس 93
اغتيال مصطفى بن بولعيد..... 95
الروايات المتداولة 95
الروايات التي تجرم المخابرات الفرنسية 98
اعترافات كلود فور 99
بن بولعيد في ميزان المخابرات الفرنسية 101
صناع قرار الاغتيال 105
أجهزة الظل 105
سيناريو العملية 111
سير العملية 112
تعثر المهمة 113
استئناف المهمة 115
قصة وصول الجهاز وانفجاره ومقتل الشهيد مصطفى بن بولعيد..... 118
المضاعفات المباشرة لاستشهاد بن بولعيد 124
غياب الأوراس في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 124
شهادة سعد دحلب حول مهمة الاتصال ببن بولعيد 125
مهمة عميروش في الأوراس وتداعياتها 128
قضية عاجل عجول 133
محاولة اغتيال عجول واستسلامه 134

مصير محمد بن مسعود بلقاسمي 136
انقسام الأوراس النمامشة 138
مقتل جبار عمر : المقدمات والنتائج 138
انفصال منطقة النمامشة 141
الانشقاق في الأوراس 142
مصير عمر بن بولعيد 144
ما بعد مصطفى بن بولعيد 144
الخاتمة 147
ملحق : الملف التقني للجريمة 149
المراجع 157

أنجز طبعه على مطابع
chihab print - ع. ڤرفي – باتنة